قام الطالب بما طلبت منه وهو الآتي:
- حذف الشعر والشعراء ممن هم خارج فترة الدراسة
- الترجمة للشعراء
- تعديل بعض الفصول والمعلومات
- تصويب الأخطاء العلمية

مصطفى ...
١٤/٢/١٤٠٩هـ

١٥/٢/١٤٠٩هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
" فرع الأدب "

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٨٣٩
١٨٢٩

الشعر العربي في صقلية في ظل ولاية الكلبيين
(٣٣٦-٤٣٠هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب

إعداد الطالب
عيضة عبد الغفور الصواط

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الحليم حسان عمر

بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب بإصلاح ما نبه إليه من الأخطاء
والله الموفق
د. طه مصطفى أبو كريشة
١٧/٢/١٤٠٩هـ

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر

كلمة الشكـــر

إن الحمد لله ، والشكر له ،على توفيقه وكرمه ،إذْ منّ علـــيّ بإنجاز هذا العمل الذى أرجو أن يحصل به النفع ،وتتم به الفائدة .

ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري لسعادة الأستاذ الدكتـــور عبد الحكيم حسان عمر المشرف على هذه الرسالة ، على ما قام به من جهـــد مشكور وتوجيهات قيمة ،أفاد منها الباحث ،واستنار بها في هـــــذا الطريق .

كما أتقدم بجزيل شكرى وتقديرى ،الى القائمين بجامعة أم القرى الذين فسحوا لنا المجال لمواصلة الدراسة ، وورود مناهل العلم والمعرفة . وأخص منهم معالي الدكتور راشد الراجح مدير الجامعة ، وسعادة الدكتور محمد مريسي الحارثي عميد كلية اللغة العربية ، وسلفه سعادة الدكتور عليان بن محمد الحازمي ، وسعادة الدكتور حسن باجودة رئيـــس قسم الدراسات العليا ، والسادة أعضاء هيئة التدريس بالكلية .

كما لا يفوتني أن أزجي الشكر والثناء لعمادة الكلية المتوسطـــة بمكة المكرمة ،التي هيأت لنا السبيل ،وذللت لنا العقبات لاستئناف الدراسة .

أخيرا أشكر كل من أمدني بمصدر ، أو أسدى اليّ نصحا ، أو زودني بمعلومة ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ،وأجزل لهم الأجـــر والثواب ،،،

الباحـــث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

وبعد :

فلقد قامت بعض الأسر العربية بدور بارز على مسرح الحياة ، حتى لتعد من الرموز التي تحتفظ بها ذاكرة التاريخ ، وذلك بما خلدت من أعمال مشرقة ، وصنائع نبيلة . كان شارها رقي في العلوم والآداب ، وازدهار في الثقافات والفنون . ولقد لفتت هذه الأسر أنظار الباحثين ، واسترعت انتباه الدارسين ، فتصدوا لشرائح منها بالدراسة ، وتناولوها بالبحث ، وهذا ما حدا بي الى تخصيص أسرة الكلبيين بهذه الدراسة ، التي تكشف النقاب عن جوانبها المضيئة ، وتجسد أعمالها المجيدة في مجال من مجالات الفن وهو الشعر ، تلك الدولة التي نعمت صقلية في عهدها بقدر صالح من الأمن والاستقرار ، وأضحت تنافس مدن أفريقيا والأندلس في اجتذاب العلماء والمفكرين واستقطاب الأدباء والشعراء . وما كان ذلك ليحدث لولا تعهدها لهذه الفئات ورعايتها لتلك الطوائف ناهيك عن ذودهم عن حمى الاسلام ، وتصديهم لأعداء الدين المتربصين بالمسلمين الدوائر .

ولعل شعور صقلية بنوع من الاستقلال في العهد الكلبي الذى دام قرابة خمسة وتسعين عاما آزر تلك العوامل السابقة لكي تكون صقلية بيئة صالحة لتخصب فيها العلوم، وتتنامى بها الآداب والفنون،

حتى غدا هذا العصر من أزهى عصور الأدب في القرن الرابع . وعندما عزمت على تسجيل موضوع البحث " الشعر العربي في صقلية في ظل ولاية الكلبيين " صادفت عنتا مضنيا في جمع المعلومات ،وصعوبة الحصول على المصادر ولكن أصالة الموضوع وطرافته منحتني دافعا قويا في مواصلة المسيرة والصبر على وعثاء الطريق ،ولقد تيسر لي بحمد الله قدر صالح للبحث والدراسة من المادة أخذته من مصادر مختلفة مخطوطة ومطبوعة ومن أهم المصادر المخطوطة التي اعتمدت عليها " مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة في شعر شعراء الجزيرة " وقد اختار هذا المختصر الشيخ أبو اسحاق بن أغلب رحمه الله الذى ذكر فيه أنه أورد سبعة وستين شاعرا من شعراء صقلية . وفي الحقيقة أن الموجود في المخطوط ثلاثة وأربعون شاعرا فقط ويدل شكل المخطوط على فقد جزء منه وحتى ترقيم صفحاته يشير الى ذلك اذ يبدأ بصفحة ٩٧ وينتهي بصفحة ١١٠. وأوله شعر لأحد الأمراء الكلبيين وهو أبو القاسم عبدالله بن سليمان الكلبي أما المخطوط الثاني فهو كتاب (الألحان المسلية في حلى جزيرة صقليه) وهو قطعة من الجزء الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ،ومن المصادر المخطوطة أيضا معجم السفر للسلفي وقد صدر جزء منه مطبوع بدار الحرية في بغداد بتحقيق دكتورة بهيجة الحسني .

أما أهم المصادر المطبوعة التي أفدت منها ،فمنها : "خريدة القصر وجريدة العصر " وخاصة قسم شعراء المغرب ،للعماد الأصفهاني تحقيق محمد المرزوقي وآخرين ،وكذلك كتاب (المختار من شعر بشار للخالدين وقد اعتنى بشرحه أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله

التجيبي البرقي ومنها أيضا كتاب (المجدون من الشعراء) و (أنباه الرواه على أنباه النحاة) للقفطي . وكذلك (عنوان الأريب فيما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب) لمحمد النيفر التونسي . هذا خلاف المصادر التاريخية والجغرافية من مثل (تاريخ ابن خلدون) و (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي و (تاريخ الطبرى) وكتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي ، و (صورة الأرض) لابن حوقل ، ونحوها من المصادر التي أشرت اليها في مواطنها .

أما المراجع الحديثة التي أفدت منها ، فمنها (المكتبة العربية الصقلية) للمستشرق الايطالي ميشيل أمارى ، و (تاريخ صقلية الاسلامية) للدكتور عزيز أحمد و (صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية) للدكتور تقي الدين عارف الدورى .

أما الدراسات التي تطرقت للشعر الصقلي والتي أفدت من بعضها فمنها كتاب (العرب في صقلية) لمؤلفه الدكتور إحسان عباس وقد أفدت منه افادة تجاوزت المصادر الى دقة المعلومات واصابة الفهم ، ومن هذه الدراسات أيضا (الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس) للدكتور فوزى سعد عيسى ومع اختلاف فترة الدراستين إذ أن جل الفترة الكلبية كانت في القرن الرابع والذى يعد عصرها الذهبي فقد صرف الباحث جل اهتمامه لدراسة صقلية في العهد النورماندى كما تناول نصوصا شعرية لشعراء لم يكونوا ملازمين للبيئة الصقلية إما برحيلهم عنها مبكرين

كابن حمديس وأبي العرب الصقلي أو غموض حياتهم كالشاعر البنلوبي الذى لم يعكس شعره البيئة الصقلية التي نسب اليها كما عكسها غيره من شعراء صقلية . ومع هذا فقد أفدت منه نظرا لتداخل فترتي الدراسة الا أني ركزت على جانب الكلبيين . أما الدراسة الثالثة التي تناولت الأدب الصقلي فهي (تاريخ الأدب العربي في صقلية) للمستشرق الايطالي أمبرتوريزيتانو وهو ينحو منحى كتاب العرب في صقلية إذ يعنى بالناحية التاريخية أكثر من عنايته بالنواحي الأدبية .

ومن هنا تتضح قيمة هذه الدراسة التي تتناول أسرة عربية ، أخصب الأدب في ظلها، وازدهر في عهدها، بفضل رعايتها للشعر والشعراء وتعهدها للأدب والعلوم والتي نأمل أن تضيف شيئا جديدا، وترسم صورة جلية لحياة الشعر في ظل الكلبيين .

وقد اقتضت مادة البحث أن يحتوى أربعة أبواب وخمسة عشر فصلا يسبقها تمهيد يشمل التعريف بصقلية وموقعها الجغرافي . وقد سار البحث على النحو التالي :

الباب الأول : ولاية بني أبي الحسين .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : نسب الكلبيين وحكمهم لجزيرة صقلية ، وفيه أوضحت أنهم ينتسبون الى قبيلة كلب بن وبره القبيلة اليمنية ، أما مؤسس دولتهم فهو الحسن بن علي الكلبي الذى استعمله المنصور على صقلية سنة ٣٣٦ هـ فاستطاع أن يستقل عنه ويحكمها هو ومن تبعه من أمراء الكلبيين قرابة خمسة وتسعين عاما .

وفي الفصل الثاني : تطرقت للحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الكلبيين ، وعرضت لطبقات المجتمع وأجناسه كما عرضت للحركة التجارية والعمرانية والازدهار الزراعي عند الصقليين بعد أن أحالوا الأراضي الجرداء الى واحات خضراء .

وفي الفصل الثالث : درست صقلية من الناحية الثقافية مركز يتوسط بين أفريقيا والأندلس فهي بمثابة جسر تعبره الثقافات العربية والأوربية كما أن هجرة العلماء وطلبة العلم منها واليها وكثرة مساجدها وتشجيع ولاتها جعلها مصدر اشعاع تنافس به قرينتيها القيروان في أفريقيا وقرطبة في الأندلس .

الباب الثاني : يتعلق بالشعر العربي في صقلية بين المشرق وأفريقيا والأندلس وفيه فصلان :

الفصل الأول : الصلات مع المشرق العربي وفيه يتجلى الأثر الذى تركه الشعر المشرقي على الشعر الصقلي والذى كان ناجما عن ثقافة الصقليين المستمدة من المخزون الثقافي في المشرق ، فمجيء معاني الشعراء وصورهم على غرار معاني وصور وأساليب المشارقة .

وفي الفصل الثاني : عرضنا لصلات صقلية مع افريقيا والأندلس والتي من أهمها تسرب بعض الآراء النقدية الى الشرائح الأدبية في صقلية والتي هي في حقيقتها مستمدة من مقاييس النقد العام في المشرق . أما صلتها بالأندلس فتبرز في تطويع بعض الأوزان الشعرية لتستوعبها قيثارة الغناء الصقلي أيام الكلبيين .

الباب الثالث : ويختص بحياة الشعر في ظل الكلبيين .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الموهبة الشعرية بين أمراء البيت الكلبي .

فلقد حفل البيت الكلبي بنخبة من الشعراء الذين أثروا الحركة الأدبية في صقلية ،وتوجوا حدائق الشعر بما نظموا من قصائد شعرية كان لها الأثر الفعال في تنامي الشعر واستدرار قرائح الشعراء .

أما الفصل الثاني : فيتعلق برعاية الكلبيين للشعر والشعراء ، تلك الرعاية التي استقطبت جمهورا من الشعراء عاشوا في كنفهم ،ونالوا صلاتهم كما نال هؤلاء مدائحهم .

الباب الرابع : ويشتمل على موضوعات الشعر وخصائصه الفنية .

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : موضوع المدح : فقد حظي أمراء البيت الكلبي بنصيب وافر من مدح الشعراء ،وساروا فيها سيرا تقليديا مترسمين أثر المشرقيين في هذا السبيل .

الفصل الثاني : الرثاء : وقصائد الرثاء تدور حول هلاك أحد الزعماء المسلمين أو أمرائهم ،وأحيانا ينظمها الشاعر لموت قريب أو صديق وقد تشع أحيانا بالمواعظ الدينية، والدروس المستفادة من الموت والتفكير فيه وأخذ العبرة منه .

الفصل الثالث : ويتناول موضوع الوصف ،وفيه عرضنا لبعض الجوانب التي وقف عندها الشعراء كالاعجاب بالطبيعة وذم الشيب

١٨٢٩
جامعة أم القرى / مكتبة ... عمادة شؤون المكتبات قسم المخطوطات UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

والخضاب أو مدحهما ووصف بعض المظاهر الحضارية ،وفيه أشرنا الى أن الشعر الصقلي على الرغم من أنه منسى كما مني الشعر المشرقي في الوصف بجفاف العاطفة والاعتماد على الملاحظة الخارجية فبانه سجل مع ذلك أشياء تخص بيئة صقلية كالرقص ونار الفحم وما الى ذلك.

الفصل الرابع : الغزل ، وفيه يتراءى للمرء أن الشعراء في هذا العصر نهجو منهجا تقليديا إذ لم يستطع الانفكاك من أغلال التقليد ، كما أنه لا يختلف في اتجاهه عما ظهر في العصر الأموى من حيث سلوكه اتجاهين اثنين أحدهما الصريح والاخر العفيف ،ولقد شغل هذا الغرض مساحة واسعة من خريطة الشعر الصقلي .

الفصل الخامس : ويتضمن عرضا سريعا لشعر الخمر وما احتواه من وصف لأدواتها وسقاتها وألوانها ونحو ذلك.

الفصل السادس : وأفردته لشعر الفكاهة والسخرية والذى قد يحمل أحيانا نقدا لاذعا لفئات من المغنين أو ازدراء لبعض سلوكيات الأشخاص .

الفصل السابع : ويشتمل على ما قيل من شعر في الزهد ،والذى يمثل موجة ظهرت في ذلك العصر ، حيث عزف بعض الناس من الدنيا وملذاتها ،وتناول شعراء هذا اللون بعض المعاني الدينية والنصائح الارشادية التي تحذر من الاغترار بالدنيا والانخداع بسرابها اللامع.

الفصل الثامن : وفيه بينت الخصائص الفنية والسمات البارزة

للشعر الصقلي في ظل الكلبيين سواء ما كان مختصا بالمعاني أم بالخيال والأسلوب .

كما أنهيت البحث بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع والموضوعات.

وإنني بهذه الدراسة أرجو أن أكون قد أضفت لبنة جديدة من لبنات الصرح الأدبي ، وكشفت النقاب عن أسرة عربية لمع سناها وشع نورها حقبة من الزمن فكان هذا البحث اعترافا بنبلها وحسن صنيعها .

وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد ، وأن يكون عملي هذا خالصا لوجهه فبالله التوفيق ومنه العون والحمد لله أولا وآخرا .

التمهيد

تمهيـــد : صقلية : اسمها وموقعها :

ضبط ياقوت الحموى صقلية بثلاث كسرات مع تشديد اللام (١) وقال : وبعضهم ينطقها بالسين أى : سقلية .

ومن العلماء النحاة من يفتح أولها وثانيها ، كما ورد عن النحوى أبي بكر محمد بن على بن الحسن بن البر التيمي (٢).

وكان الكلمة قد حورت عن أصلها الرومى ، فقد جاء في الروض المعطار أن اسمها باللسان الرومي : (سيكه) بكسر السين وفتح الكاف وسكون الهاء و (كيليه) بكسر الكاف واللام وتشديد الياء وسكون الهاء . ومعنى المقطع الثاني : تين وزيتون ، وهو الذى أراد أبو على الحسن بن رشيق في مدح قاعدتها "بلرم" المدعوة باللسان العربي المدينه في قوله (٣):

أخت المدينة في اسم لا يشاركهـــا
فيه سواها من البلدان والتمـــس
وعظم الله معنى ذكرها قسمـــا
قلد اذا شئت أهل العلم أو فقس

والمراد بقوله تعالى : ﴿ والتين والزيتون ﴾ اذ أن البارى جل وعلا قد أقسم بهما .

----

(١) معجم البلدان مادة : صقلية ٣/٤١٦ .
(٢) المطرب في أشعار أهل المغرب : ٥٣ .
(٣) الروض المعطار : ٣٦٧ .

ومن المؤرخين من يعزو التسمية الى أصل السكان ،فالسكان الأصليون لتلك الجزيرة هم السيكان (١) بينما أرجع بعضهم التسمية الى " سيقلو "ـ الذى كان شقيق إيطال فسميت به إيطاليه ـ وكانت تعرف قبل (ترى قريا) ومعناه باللسان الاغريقي ثلاثة في أربعة وإنما ذلك لثلاثة مواضع مشرفة فيها وهي : بلرم التي هي قاعدتها ، وباجنة ولياوم (٢) والذى يهمنا أن صقلية بالصاد أو بالسين هو الاسم الذى عرفت به الجزيرة في عهد الأسرة الكلبية تلك الأسرة التي تعهدت الأدب ورعت الفنون ، وعلت صهوة المجد ،وحفرت اسمها في ذاكرة الزمن، وحكمت الجزيرة زهاء خمسة وتسعين عاما .

موقعها وتضاريسها ومناخها :

صقلية أكبر جزر البحر المتوسط ،تقع الى الجنوب من إيطاليا لا يفصلها عنها إلا مضيق صغير ،وتبعد حوالي ١٦٥ كيلا من شمال أفريقيا ،وهي في الشكل مثلثة الأضلاع على وجه التقريب ،وتبلغ مساحتها (٢٥٨١٥) ،ومعظم سطحها جبلي فيما عدا سهل (كاتانيا) الخصيب، وتبلغ ذروتها في جبل أتنا (٣) وقد أطلق عليه قدامى العرب : جبل النار . ويعد إحدى عجائب صقليه ، أعلاه سحب وثلوج في فصل الصيف أما في الشتاء فيتخذ منهما لحافا ،وحينما يثور بالنيران يجتمع فيه الضدان (الثلج والنار) في آن واحد . وقد وصف ناره ابن جبير

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة : ١١٢٦ .

(٢) الروض المعطار : ٣٦٧ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة : ١١٢٦ .

فقال : (وأما الجبل الشامخ الذى بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه أيضا عجيب ،وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين ،كالسيل العرم فلا تمر بشيء الا أحرقته حتى تنتهي الى البحر فتركب ثبجه)(١) .

وقد ألمح الى هذه الصورة أبو الحسن الربعي الملقب بابن الخياط أحد مداحي الكلبيين من أبيات له فقال (٢) :

ليسلكم أن الجزيرة بعدكم
كما قيل في الأمثال لحم على وضم
تركتم بقايا حسنكم في خرابها
كما ذبل النوار في خلل الحمم

ولقد حظيت هذه البلاد بغزارة الأمطار ،وكثرة الثلوج ،فتفجرت فيها العيون ،وجرت في أكنافها الأنهار . فتزينت جنانها وتنوعت ثمارها ، وسحرت نظارها بجمالها ،ولأجل هذا لا يستغرب حنين ابنها البار ابن حمديس حينما يقول (٣) :

ذكرت صقلية والهوى
يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة
فاني أحدث أخبارها

---

(١) رحلة ابن جبير : ٣٢٧ .
(٢) المختار من شعر بشار : ٢٨٧ .
(٣) معجم البلدان : صقلية ٣/٤٢٧ .

ومن الملاحظ أن لجغرافية الجزيرة تأثيرا كبيرا في توزيع السكان ، وتحصين المدن فحين يشرع في بناء مدينة تختار قمم الجبال غالبا لتكون قوية منيعة مثل مدينة قصريانه التي وصفها ياقوت بقوله :

" وفي وسطها جبل يسمى قصريانه ،هكذا يقولونه بكسر النون ،وهو أعجوبة الدهر ، عليه مدينة عظيمة شامخة ،وحولها من الحرث والبساتين شيء كثير ، وكل ذلك يحويه باب المدينة ،وهي شاهقة في الهواء ، والأنهار تتفجر من أعلاها وحولها ،وكذلك جميع جبال الجزيرة ".(١)

على حين تقوم المدن الساحلية على أحسن المواقع صلاحية للملاحة مثل " بلرم " التي ينحسر الجبل من خلفها ليكون سهلا من أخصب السهول .

ومناخ صقلية هو مناخ البحر الأبيض المتوسط الا أنها تستأثر بكثرة الأمطار وغزارة المياه وخصوصا اذا انصهرت تلك الثلوج فتدفقت المياه جداول وانهارا ، وأضفت على المنحدرات والسهول خضرة وجمالا تخلب الأنظار وتستدر قرائح الشعراء حتى ليصور ابن حمديس تلك المناظر الزاهية وكأنها لوحة فنان أبدع في رسمها فقال :(٢)

بلد أعارته الحمامة طوقها
وكساه حلة ريشة الطاووس
وكأن هاتيك الشقائق قهوة
وكأن ساحات الديار كئوس

---

(١) معجم البلدان مادة صقلية ٤١٧/٣.

(٢) الديوان : ٤٨٨.

والزراعة أهم موارد ثروتها ،وأهم محاصيلها الزراعية العنب والقمح والشعير والبرتقال والزيتون الى جانب ثروتها الحيوانية والمعدنية كالأسماك والمواشي والذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وقد أجمل القزويني هذه الموارد فقال : " وهي حصينة كثيرة البلدان والقرى كثيرة المواشي جدا من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوانات الوحشية . . . وبها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وكذلك معدن الشب والكحل والزاج ومعدن النوشادر ومعدن الزيتون ، وبها المياه والأشجار والمزارع وأنواع الفواكه على اختلاف أنواعها لا تنقطع شتاء ولا صيفا وأرضها تنبت الزعفران ".(١)

مدن صقلية :

مدينة بلرم من أهم المدن التي استأثرت بالتجارة ،واطمأن بها التجار ،بعد أن أحيطت بسور عظيم ،مكن التجار من مزاولة تجارتهم بحرية وأمان ، وقد شاهد ذلك السور العظيم ابن حوقل حينما رحل اليها في القرن الرابع الهجرى فقال : " ومنها المدينة الكبرى المسماه بلرم وعليها سور عظيم من حجارة ،شامخ منيع ، يسكنها التجار ".(٢)

وعندما فتح المسلمون صقلية بنوا مدينة الخالصة ،وجعلوا منها مقرا للسلطان والجيش والديوان وقد وصفها أحد الرحالة العرب فقال : " وتجاهها مدينة تعرف بالخالصة ذات سور من حجارة ،يسكنها السلطان وأتباعه ، وبها جيش السلطان ودار صناعة للبحر والديوان ،ولها أربعة

---

(١) من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد : في المكتبة : ١٤٠،١٤١ .

(٢) صورة الأرض : ١١٣ .

أبواب من قبولها ودبورها وغربها ،وشرقيها البحر وسور لا باب له.(١)

واذا كانت المدينتان السابقتان إحداهما تجارية والأخرى ذات طابع سياسي ، فإن مدينة مسينى اشتهرت بمحاصيلها الزراعية وأهمها العنب.(٢)

ومن مدنها التي اوردتها المراجع العربية ،" اطرانبش ، مازر ، عين المفطا ،قلعة البلوط ،جرجنت ،بثيره ،سرقوسة ،لنتيني ، قطانية ، الياج بطرنو ، طبرمين ،ميقش ، مسينه ، رمطة ، دمنش ،جاراس ، قلعة القوارب ، قلعة الصراط ،قلعة ابن ثور ، بطرلية ،ثرمه ،بورقاد قرليون ، قرينش ، برطنيق ، أخياس ،بلجة ، برطنة ".(٣)

وقد تميزت هذه المدن بالعمارة والمساجد والشوارع والقلاع وكستها الطبيعة حللا فاتنة تسر الناظرين ،ولا غرو أن يعجب بها ابن جبير فيقول : " هي بهذه الجزائر أم الحضارة ، والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة ، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر،ومراد عيش يانع أخضر ، عتيقة أنيقة ، مشرقة مونقة ، تتطلع بمرأى فتان ، وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان ،فسيحة السكك والشوارع ، تروق الأبصار بحسن منظرها البارع ،عجيبة الشأن ،قرطبية البنيان ، مبانيها كلها بمنحوت الحجر ".(٤)

---

(١) صورة الأرض : ١١٣ .

(٢) المغرب في حلى المغرب (مخطوط) ٤/١٧١ .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي ٢٢١،٢٢٢ .

(٤) رحلة ابن جبير : ٣٠٥ .

صقليه قبل الفتح الاسلامي :

من المؤكد أن موقع الجزيرة الهام في البحر الأبيض المتوسط، وتوسطها بين أوروبه وأفريقيا، جعلها محط النزاع بين أقوام الشمال والجنوب ،وضيق مجاز مسينة قرن تاريخها بتاريخ أوروبة ،وعند سواحلها كانت تتكسر أمواج الغزاة المتدحرجة في شبه الجزيرة الايطالية ،ومواجهة بعضها لليونان وفينيقيا ، ومواجهة بعضها لافريقيا أنشأ تفاوتا في أجزائها . فتاريخها اذن هو تاريخ الشعوب ذات الحضارات في حوض البحر المتوسط فهو جزء من تاريخ اليونان والفينيقيين والرومان والقوط والبيزنطيين والعرب .(١)

وأول من حل بالجزيرة من الأجناس البشرية الفينيقيون ،فقد أدركوا أهميتها التجارية وأنشأوا بها مراكز تجارية وقواعد بحرية ومنها تأسيس مدينة "بلرم" وكان ذلك في النصف الثاني القرن التاسع ق.م. ولما نشأت قرطاجنة على أنقاضهم ورثت هذه القواعد ،وزادت قواعد أخرى في شمال صقليه وغربها.(٢)

وقيل إن أصل سكانها السيكل والسيكان ،ثم اندمجا مع تجار فينيقية الذين استقروا في مستعمرات في الرؤوس المطلة على البحر على طول ساحله.(٣) ولكن لم يلبث مركز اليونان التجارى والثقافي أن قوى فبسطت "دول المدن اليونانية أيديها طلبا لأرض جديدة وتستقر

---

(١) العرب في صقلية : ٢٥.

(٢) تاريخ المغرب الكبير ١/١٦١.

(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٢٥٧.

في ناكسوس ٧٣٥ ق ٠م ، وقوصره وسرقوسة ٧٣٤ ق ٠م وتظل عملية الاستعمار سائرة باطراد قرونا طويلة و يصبح العنصر اليوناني في الجزيرة قويا ". (١)

وقد احتدم الصراع بين القوتين المحتلتين الفينيقيين واليونان ، وأوقدت الأطماع نار الحرب بينهما ، وحاول اليونان بسط نفوذهم على أجزاء من حيازة الفينيقيين فثار هوءلاء واشتبكوا معهم في حروب حامية الوطيس انتهت بسيطرة الفينيقيين على الجزيرة ، ولكن بعد أن طال أمد الحرب حتى تجاوزت ثلاثة قرون . (٢) وبعد أن سلمت صقلية قيادها لهم لم يهنأوا بطيب عيش إذ سرعان ما داهمهم خصم ألد ، استغل بعض خلافات أهلها فاستعان ببعضهم على بعض ، وانتهت الحرب بسيطرة روما على الجزيرة (٣) ، الا أن هوءلاء لم يحسنوا صنيعا في معاملة أهلها ، واستغلوا الجزيرة استغلالا شائنا ، وقسمت أرضها الصالحة للزراعة الى ضياع كبيرة يملكها الرومان الذين جلبوا الرقيق مما دفعهم الى إثارة الفتن التي قمعت في قسوة بالغة (القرن ٣ ق ٠م) ولكن دب الوهن في جسد الدولة الرومانية فغزاها البربر ، ثم انتقلت الى البيزنطيين ٥٣٥ م وفي ٨٢٧ بدأت طلائع الفتح الاسلامي تغزو الجزيرة . (٤)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٢٥٧ ٠

(٢) انظر تاريخ المغرب الكبير ٢/١٦١ ٠

(٣) الموسوعة العربية الميسرة : ١١٢٦ ٠

(٤) انظر نفس المصدر .

طلائع الفتح الاسلامي :

حينما بدأ اتساع رقعة الدولة الاسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كانت صقلية وجزء من جنوب ايطاليا ولايتين بيزنطيتين ، وكان عمر يهاب الزج بجيش الاسلام عبر البحار أوحتى عبر الأنهار [(١)] غير أن هذه النظرة سرعان ما تغيرت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، ذلك أن فتح مدن ساحلية كثيرة في الشام ، ومصر ، جعل من الضروري توفير وسائل حماية لها ، ولا سيما ضد البيزنطيين الذين يمتلكون أسطولا قويا في البحر المتوسط . وقد أنشئت أول قوات بحرية اسلامية " من قبل معاوية بن أبي سفيان الوالي على بلاد الشام آنذاك وعبدالله بن سعد الوالي على مصر . ولم تلبث هذه القوات البحرية أن لعبت دورا هجوميا ودفاعيا ضد البيزنطيين في شرق البحر المتوسط ".[(٢)]

وما إن انتقل قنسطانز الثاني الى صقلية واتخذها مقرا له حتى بادر باستعادة افريقيا الى سلطانه ، وأقام عليها عاملا من قبله يقال له " أوليمة " ويبدو أن نزاعا خطيرا نشب بين أهل افريقية وبين البيزنطيين بسبب تعسف أوليمة في جباية الأموال ، أدى الى قيام الأفارقة بطرد عامل الامبراطور فعاد الى بلاده [(٣)] . وعندئذ وجه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج على رأس جيش لغزو أفريقية في سنة ٤٥ هـ ، فتصدت لجيشه حملة بيزنطية بقيادة نجفور [(٤)] قدمت من صقليه ونزلت

---

(١) تاريخ صقلية الاسلامية : ٨ .

(٢) نفس المصدر : ٨ .

(٣) فتح العرب للمغرب : ١١٥ وانظر تاريخ البحرية الاسلامية : ٢٢ .

(٤) ابن الأثير ٢/ ٤٥ .

على الساحل التونسي فانهزم البيزنطيون ،وأقلعوا بسفنهم في البحر. ولم يكتف ابن حديج بما أصابه من انتصارات على البيزنطيين ،وإنما عزم على مهاجمة جزيرة صقلية ، قاعدتهم في البحر تجاه أفريقية ،والمركز الرئيسي الذى تصدر منه غارات البيزنطيين على الساحل الافريقي . فكان ابن حديج بذلك أول من غزا صقلية (١) ، اذ أنه توجه اليها بحملة بحرية قوامها مائتا مركب ،فسبوا وغنموا وأقاموا شهرا وانصرفوا بغنائم كثيرة ، وبعث بالخمس الى معاوية بن أبي سفيان ، (٢) وكان ذلك سنة ٤٦ هـ. ثم غزاها عطاء بن رافع الهذلي أيضا في مراكب أهل مصر سنة ٨٣ هـ (٣) وتوالت عليها غزوات المسلمين بعد ذلك.

وفي سنة ١٠٢ غزاها محمد بن أبي ادريس الانصارى في خلافة يزيد بن عبد الملك فقدم بغنائم وسبايا (٤) . وتلاه بشر بن صفوان الكلبي في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩ ، ثم غزاها المستنير بن الحارث الحريثي في سنة ١١٣ هـ (٥) وغزاها حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع في سنة ١١٦هـ وفي سنة ١١٧هـ (٦) ثم غزاها للكرة الثالثة مع ابنه عبدالرحمن بن حبيب سنة ١٢٢ هـ (٧) . وغزاها عبدالرحمن بن حبيب في سنة ١٣٥هـ أيام امارته على افريقية. (٨)

---

(١) البلاذرى ١/ ٢٧٨.

(٢) المؤنس في اخبار افريقية وتونس . للقيرواني ،المكتبة : ٥٢٥.

(٣) تاريخ البحرية الاسلامية : ٩٦.

(٤) نهاية الارب . في المكتبة : ٤٣١.

(٥) ابن الاثير : ٤/ ٢١٥.

(٦) نفس المصدر ٤/ ٢١٩.

(٧) المصدر نفسه ٤/ ٢٢٢.

(٨) المصدر نفسه ٤/ ٢٧٩.

وبعد هذه الغزوات خيم على الوضع فترة من الجمود ،لم يتسن لولاة أفريقية مواصلة الغزو ، بسبب انشغالهم بالفتن مع البربر ، وقد أتاحت هذه الفرصة للبيزنطيين لكي يحصنوا بلادهم وسواحلهم ويعمرونها بالمعاقل والحصون ولم يتركوا جبلا الا أقاموا عليه حصنا ،وكانت وحداتهم البحرية تطوف بسواحل الجزيرة للذب عنها وكثيرا ما صادفوا تجارا من المسلمين فأسروهم.(١)

وظل الروم يواصلون توجيه غاراتهم البحرية على الساحل التونسي حتى قامت أسرة الأغالبة ،مما حدا بالأمير إبراهيم بن الأغلب الى أن يعقد مع البطريق قسطنطين صاحب صقليه هدنة لمدة عشر سنوات ، غير أن هذه المعاهدة لم تدم طويلا ، بسبب الغزوات المتبادلة بين المسلمين والبيزنطيين ،فقد أغار المسلمون على بعض جزر صقلية ، فسير الامبراطور ميشيل الأول أسطولا بقيادة جريجورى لمحاربة المسلمين ،لكن هوءلاء تمكنوا من الاستيلاء على بعض سفن البيزنطيين قرب جزيرة لنبدوشه ، وقتلوا من كان بها ، فاضطر الروم الى المبادرة بالهجوم ،وتغلبوا في هذه المرة على المسلمين وأدت هذه الاعتداءات المتبادلة الى معاودة النظر في تجديد الهدنة مدة عشر سنوات تبدأ من سنة ١٩٨هـ في امارة أبي العباس بن ابراهيم الأغلبي ،وقد اتفق الطرفان على ضمان الأمن للتجار المسلمين في صقلية وللروم في افريقية .(٢)

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤/٣٤٥ ، وانظر المكتبة : ٢٣٠.

(٢) تاريخ البحرية الاسلامية ٩٧ .

أسباب الفتح الاسلامي لصقلية :

عقد المسلمون العزم على فتح صقلية والاستيلاء عليها ، وقد أغرت الأغالبة عدة عوامل للمضي في ذلك ومن أهمها :

١ - الجهاد في سبيل الله : كان من أثر الفتن العنيفة التي اشتعلت في افريقية فيما يقرب من منتصف القرن الثاني الهجرى أن ساد البلاد نزعة شديدة الى التفقه في الدين ، ولم تلبث افريقية أن تحولت الى بلد اسلامي تغلب عليه الروح الدينية و يسود فيه المذهب المالكي ، وظهرت في البلاد التونسية طبقة من العلماء المالكية المتفقهين المتعبدين الزاهدين.(١)

٢ - أهمية صقلية من الناحيتين الاقتصادية والحربية ، إذ أن الجزيرة تتوفر فيها الأراضي الصالحة للزراعة ، فهي غنية بمواردها الطبيعية وثرواتها المعدنية .

٣ - اتجاه الاغالبة الى اصطناع سياسية بحرية . فقد أدرك ابراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الأسرة - منذ أن أقر الخليفة العباسي الرشيد امارته على افريقية - أن امتداد إمارته من طرابلس شرقا حتى بجاية غربا يستلزم أسطولا بواسطته يتمكن من حماية هذه السواحل من غزوات الروم ، وقدر لهذا الأسطول أن ينمو و تزيد قوته في عهد زيادة الله الأغلبي ، وأصبح من الضرورى أن يقوم هذا الاسطول بتحقيق آمال المسلمين القديمة فيساهم في فتح صقلية كلها .(٢)

٤ - التخلص من العناصر الثائرة في البلاد .

٥ - استنصار فيمي قائد الاسطول البيزنطي في صقلية بزيادة الله .

---

(١) انظر تاريخ البحرية الاسلامية : ١٠١ ومابعدها .

(٢) نفس المصدر : ٩٨ .

فتح صـقليـة :

تضافرت العوامل السابقة لكي تعبد الطريق أمام الأمير الأغلبي زيادة الله لفتح صقلية ، وكان الوالي عليها آنذاك قسطنطين الذى دب الخلاف بينه وبين قائد الاسطول البيزنطي "فيمى" (١) و يرجع بعض المؤرخين هذا الخلاف الى أن فيمى كان طامعا من الطامعين ، ثارفي سرقوسـة وأخفق فلجأ الى المسلمين . وقيل إنه اختطف فتاة جميلة ،كانت قد لجأت الى دير فبلغ أمره الى الامبراطور ، فخشي بطشه وغادر صقلية الى القيروان ومن المؤرخين من يرى أن سبب ذلك علاقة حبه بالفتاة "مونيزه" التـى اغتصبها منه صاحب صقليه (٢).

ولا يهمنا سبب هذا الخلاف بقدر ما يهمنا استفادة الأسطـول الاسلامي من انضمام فيمى إليه مع مراكبه . ويبدو أن زيادة الله كان يسعى الى ترغيب الناس في غزو صقليه ،وإكساب الحملة طابعا من الجهاد في سبيل الله ،فعندما بلغه أن أسد بن الفرات أبدى رغبته في الخروج مع هذه الغزوة كواحد من المسلمين ، ولاه امرة الجيش مع الاحتفاظ بالقضاء فأصبح أسد بن الفرات قاضيا أميرا . وأقلع الأسطول الاسلامي في ١٥ من ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ من مدينة سوسه في نحو مائة مركب سوى مراكب فيمـى بقيادة أسد بن الفرات (٣) . وتختلف المصادر في عدد الجيش الـذى

---

(١) تاريخ صقليه : ١٣ .

(٢) العرب في صقليه : ٣٢ .

(٣) نهاية الأ رب : في المكتبة ١/ ٤٢ .

خرج مع أسد ولكنها تتفق في أنه كان مكونا من أشراف أفريقية من العرب والجند - ومعظمهم من الفرس الخرسانيين وأسد واحد منهم - ومن البربر والأندلسيين وأهل العلم والبصائر . ولم يرتح أسد لاشتراك فيمى وأصحابه معه في القتال فأمرهم ان يعتزلوا المسلمين (١) . وبعد أن وصل أسد الى صقليه ،استولى على بعض معاقلها ومدنها ومن بينها مازر ، ثم سار جيش المسلمين نحو سهل بلاطه مارا بقلعة بلوط ثم قرى الرفش وقلعة الدب وقلعة الطواويس ،ثم الى أرض المعركة التي سميت باسم بلاطه نسبة الى صاحب صقليه ،وأقبل بلاطه في جيش قوامه مائة وخمسون ألف مقاتل فخطب أسد في الناس وهو يحمل اللواء وقال : " هؤلاء عجم الساحل ،هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم ثم كبر المسلمون وحملوا مع قائدهم ، وتمادت عزائم المسلمين حتى هزموا بلاطه وأصحابه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما معهم ، (٢) وبعد هذا الانتصار الحاسم فكر أسد في دخول سرقوسة وحاصرها برا وبحرا وأحرق مراكبها ،وقتل جماعة من أهلها ،وجاءته الامدادات من أفريقية والاندلس غيرهما (٣) ولكنها امتنعت عليه في ذلك الحين وزاد من مناعتها وصول أسطول من القسطنطينية لنجدتها . وفي هذه الآونة حل بالمسلمين وباء شديد هلك بسببه عدد كبير منهم ،ومن جملتهم أسد بن الفرات . (٤)

---

(١) العرب في صقلية : ٣٤ .

(٢) نهاية الأرب للنويرى في المكتبة ٢٨ و تاريخ البحرية الاسلامية : ١٠٧ .

(٣) البيان المغرب في اخبار المغرب : في المكتبة : ٣٥٥ .

(٤) نهاية الأرب للنويرى في المكتبة ٤٢٨ .

هكذا هلك قائد الجيش الاسلامي ،وبهلاكه دب الوهن في صفوف الجيش ،وتفشى المرض ،ونقصت المواد الغذائية ، فعزموا على ركوب مراكبهم والعودة الى أفريقية ، فرفعوا الحصار عن سرقوسة ،وأصلحوا سفنهم وركبوها وشرعوا في الاقلاع لكن مراكب البيزنطيين والبنادقة وقفت لهم بالمرصاد على باب المرسى الكبير ومنعوهم من الخروج (١) ونتيجة لذلك لم يكن أمام المسلمين من خيار الا القتال فأحرقوا سفنهم بعد أن صمموا على القتال وبعد أن أصبح العدو أمامهم والبحر خلفهم ،وزحف المسلمون الى حصن ميناو ،ثم حصن جرجنت واستولوا عليهما ، وأشرقت في نفوسهم الآمال بعد ان استولى عليهم اليأس ،وتلقوا مددا من مسلمي الاندلس وافريقية فتعزز موقفهم عاودوا الزحف مرة ثانية بعد أن تراجع الروم الى سرقوسة ،ففتحوا بلرم سنة ٢١٦هـ تلك المدينة التي لأهميتها تمثل مفتاح الجزيرة "فقد كانت مدينة بحرية جيدة الميناء ،واتصالها بافريقية سهل ،ولذلك أصبح في استطاعتهم - أى المسلمون - أن يعتمدوا على مدد دائم من أفريقية ،وان يحصلوا على المؤن باستمرار" (٢).

وقد اتخذ المسلمون من بلرم نقطة انطلاق لتحرير الجزيرة ، ومع أن أجزاء كبيرة منها قد خضع للحكم العربي ،الا أن الادارة النظامية

---

(١) الكامل لابن الأثير المكتبة الصقليه ص ٢٢٣ .

(٢) العرب في صقليه : ٣٥ .

لم تستحدث فيها الا بعد أن وصل اليها " أبوالأغلب إبراهيم بن عبدالله من أسرة زيادة الله ،بوصفه حاكما مدنيا وعسكريا لجزيرة صقليه ، وفي عهده تم الاستيلاء على المناطق المجاورة لجبل أتنة (جبل النار)".(١) وقد واصل المسلمون جهادهم وبثوا السرايا فاستولوا على مسينة ثم قصريانه في ولاية العباس بن الفضل سنة ٢٤١ هـ وبعد عشرين عاما تسقط سرقوسة هي الأخرى في أيدى المسلمين .(٢)

وفي سنة ٢٨٩ قرر إبراهيم بن الأغلب الخروج في جهاد متسع الأطراف ففتح طبرمين ووالى ضغطه على دمنش ،ولكن منيته عاجلته " فاضطر العرب المتنازعون فيما بينهم الى أن يعقدوا معاهدة مع الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع".(٣)

وفي هذه الآونة تسقط دولة الأغالبة في شمال افريقية أمام جحافل الفاطميين ،وبالتالي تدخل صقلية في فلك الدولة الفاطمية ،ويولى عليها عبيدالله المهدى الحسن بن محمد بن أبي خنزير .(٤)

وقد آثرنا الايجاز في هذا المبحث التمهيدى لكونه ممرا لا بد منه الى دراسة الأسرة الكلبية التي رعت العلوم وتعهدت الآداب وقضت على كثير من الفتن والثورات في جزيرة صقليه ،وامتد حكمها للجزيرة ما يقرب قرنا من الزمان .

---

(١) مختصر تاريخ العرب : ٤٧٨ .

(٢) العرب في صقليه : ٣٩ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية : ٢٤٩ . كارل بروكلمان .

(٤) تاريخ ابن خلدون - العبر - ٤/٢٤٣ .

الباب الأول

ولاية بني أبي الحسين الكلبيين

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول :

نسب الكلبيين وحكمهم لجزيرة صقلية .

الفصل الثاني :

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية .

الفصل الثالث :

مركز صقلية الثقافي .

الفصل الأول

نسب الكلبيين وحكمهم لجزيرة صقلية

الفصل الأول

نسب الكلبيين وحكمهم لجزيرة صقلية

نسب الكلبيين :

قد يرتدى التاريخ جلباب الغموض ويصدف عن بعض المواقف، أو الأعمال المجيدة التي اضطلع بها بعض رجالات التاريخ ، أو بعض الأسر العربية ، فتنسى أعمالهم وتحجب آثارهم خلف ضبابية التاريخ . إن هذا القول ليصدق على أسرة عربية يمنية حكمت صقلية حقبة من الزمان توارت خلف أسوار الغموض . وليس معنى هذا أن المصادر التاريخية قد أغفلتها البتة ، ولكن ذكرها يرد عرضا في سيرة الأغالبة أو العبديين، وتحاول هذه الدراسة أن تسلط الأضواء على هذه الأسرة الكريمة التي نهضت بالفنون والعلوم والاداب وحملت لواء الاسلام في ربوع صقلية. ولكن ما نسب هوءلاء ؟ وكيف وصلوا الى حكم الجزيرة ؟

لقد ضنت كثير من المصادر التي بين أيدينا بأخبارهم، ولم تنبيء الباحث الا بالنزر اليسير، والتراجم المقتضبة . فهناك إشارة في وفيات الأعيان ترجع أصلهم الى قبيلة قضاعة، وقد وردت في معرض الحديث عن ابن المؤدب الشاعر أثناء ترجمة المؤلف له وفيها : "كان مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء ، والأحجار، وكان محروما مقترا عليه، متلافا اذا أفاد شيئا ، فخرج مرة يريد جزيرة صقلية ، فأسره الروم في البحر، وأقام مدة طويلة الى أن هادن ثقة الدولة - يوسف بن عبدالله بن محمد ابن أبي الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم ، وبعثوا اليه بالأسرى،

فكان عبدالله المذكور فيمن بعث ".(١) ففي هذا الخبر ما يفيد أن الكلبيين ينتسبون الى قبيلة قضاعة ،ويعضده ما جاء في الاستقاق: أن من قبائل قضاعة كلب بن وبر . وهو قبيل عظيم (٢) ومن بطونهم كذلك بنو عدى بن جناب وبنو عليم بن جناب .(٣)

وقد اختلف النسابون في أصل قضاعة أهي قحطانية ؟ أم عدنانية ؟ غير أنها الى القحطانية أقرب فهو المشهور والشائع كما ذهب الى ذلك القلقشندى فقال : " بنو قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية ، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم : قضاعة . وهو بنو قضاعة ابن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير . هذا هو المشهور فيه . وذهب بعض النسابين الى أن قضاعة من العدنانية ،ويقولون هو قضاعة ابن معد بن عدنان ".(٤)

ويبدو أن ترجيح القلقشندى أنها قحطانية (وذلك عندما قال: هذا هو المشهور فيه) هو الصواب ، فقد شاع عند الكلبيين أنفسهم انهم يمنيو الأصل (٥) وقد ورد ذلك على لسان الامير عمار بن المنصور الكلبي مفتخرا :

---

(١) وفيات الاعيان : ١٥٧/٦ .

(٢) الاشتقاق لابن دريد : ٥٣٧ .

(٣) المعارف لابن قتيبة : ١٠٣ .

(٤) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب : ٤٠٨ .

(٥) الخريدة . قسم شعراء المغرب ١٠١/١ .

تقول : لقد رأيت رجال نجد
وما أبصرت مثلك من يمان
ألفت وقائع الغمرات حتى
كأنك من رداها في أمان
الى كم ذا الهجوم على المنايا
وكم هذا التعرض للطعان
فقلت لها : سمعت بكل شيء
ولم أسمع بكلبي جبان

وكانت منازل كلب بن وبرة في دومة الجندل ،وتبوك وأطراف الشام كما نزحت جموع منها ونزلت على خليج القسطنطينية.(١)

وأكبر الظن أن جزءاً من هذه القبيلة قد نزل شمال افريقيا ، وعاش في كنف الدولة الفاطمية ،وهذا ما يفسر ظهور أحد الكلبيين على المسرح السياسى ،فقد قامت ثورة خارجية تزعمها أبو يزيد في شمال افريقيا كادت تودى بحكم الفاطميين ،فتصدى لها الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ونزع فتيل الفتنة فكافأه المنصور - الخليفة الفاطمي - بتنصيبه على ولاية صقليه .(٢)

---

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٩٩١/٣ .
(٢) انظر تاريخ صقليه الاسلامية / ٣٤ ومابعدها .

الولاة الفاطميون الذين حكموا صقليه قبل تولي الكلبيين :

انقضى حكم الأغالبة في شمال افريقية ،وانهزمت كتائبهم أمام جحافل الفاطميين ،وورث الفاطميون ملك الأغالبة وأرضهم ومنها جزيرة صقليه التي ظلت فيما بين (٣٠٠-٣٢٧هـ) مسرحا للشقاق والفتن ،وقد يكون ذلك نتيجة لحاجة السكان الى الاستقلال عن النفوذ الخارجي ، وأحيانا بسبب ظلم الولاة وأطماعهم في كنوز صقليه وخيراتها ،وضرب الصقليون في هذه الفترة أمثلة كثيرة في التقلب وعدم الثبات على حال.(١)

ولما استتب الأمر للفاطميين في القيروان بعث عبيدالله المهدى على جزيرة صقليه الحسن بن محمد بن أبي خنزير ،فوصل الى مازر سنة ٢٩٧ هـ وولى أخاه على كبركيت وأسند منصب القضاء الى اسحق بن المنهال ، ثم سار سنة ٢٩٨ بعساكره الى ومش فعاث في نواحيها فسادا ثم رجع فتضجر أهل صقليه ،وشكوه الى المهدى ،وثاروا به وحبسوه ،وكتبوا الى المهدى معتذرين ،فقبل عذرهم ،وولى عليهم أحمد بن قرهب الذى تمرد على المهدى وقطع خطبته ،ودعا الناس الى المقتدر العباسي فاستجابوا له ،وبعث اسطوله الى افريقية ،واصطدم مع اسطول المهدى وقتل قائده وأحرق سفنه ،وواصل سيره الى صفاقس فخربها وانتهى الى طرابلس (٢)

---

(١) العرب في صقليه : ٣٩.

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون ٤/٢٤٢ - ٢٤٥.

وفي نهاية القرن الثالث الهجرى ثار عليه أهل كبركيت وثار الناس معهم فحبسوه ، وأرسلوه الى المهدى فأمر بقتله ، وولى على صقليه أبا سعيد بن أحمد ، فعصوه فولى عليهم المهدى سالم بن أبي راشد وجعل له حرسا من كتامة.(١)

لم تدن صقليه لهذا الوالي الجديد الذى عامل الناس بالظلم والقسوة ، وعهد بحكم المدن الى ولاة غلاظ شداد ، فلم يحسنوا الادارة ، وظلموا الرعية ، فتألب عليهم القوم واستماتوا في مقاومة تعسفهم ، فثارت جرجنت ، وتبعتها بلرم فأرسل سالم الى الخليفة الفاطمي يستنجده فأمده بجيش على رأسه خليل بن إسحاق (٢) فوصل الى صقليه سنة ٣٢٥ فأطاعه أهلها (٣) وأبدوا تذمرهم من سالم وظنوا أنه المنقذ الوحيد لهم ، ولكن سالما أسرّ لأهلها بأنه جاء منتقما منهم " وتحقق لهم صدقه حينما أخذ يهدم أسوار بلرم ، ويبنى عند المرسى مدينة ويحصنها وهي التي سماها - الخالصة - وأرهق الناس في أعمال البناء ، فخاف أهل جرجنت وحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب ، فسار اليهم خليل سنة ٣٢٦ هـ وحاصرهم ثمانية أشهر ، ولم يخل يوم واحد فيه من قتال ، ولما حل الشتاء رحل عنهم الى الخالصة ".(٤)

---

(١) البيان المغرب ١/٢٤٢.

(٢) العرب في صقلية : ٤٣.

(٣) نهاية الأرب : في المكتبة : ٤٣٧.

(٤) العرب في صقليه : ٤٣.

وسعى أهل جرجنت فألبوا عليه المدن الأخرى ،وفي السنة التالية ثارت جميع القلاع وأهل مازر . واستنجدوا بملك القسطنطينية فأمدهم بالمراكب التي تحمل الرجال والطعام ، فخشى خليل انفلات صقليه من قبضة العبيديين ،فاستنجد بالقائم فأمده بجيش كبير وظل يحاصرها حتى سنة ٣٢٩ ، فسار كثير من أهلها الى بلاد الروم ،وتنصر أكثرهم ،وطلب الباقون الأمان فأمنهم على أن ينزلوا من القلعة ،فلما نزلوا غدر بهم وحملهم الى المدينة ،وبهذا الانجاز الحربي الذى دام أربعة أعوام قضاها خليل في حرب وحصار اذعنت له صقليه ، وهدأ غليانها (١) ، وعاد خليل الى افريقية بعد أن ترك على بلرم رجلين أحدهما ابن الكوفي والآخر ابن عطاف . (٢)

---

(١) العرب في صقلية : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) تاريخ صقلية الاسلامية : ٣٤ .

صقلية تحت حكم بنى أبي الحسين الكلبيين :

لم تنعم صقلية في حياتها بما نعمت به في عهد الكلبيين ،ولم تحب ولاة من قبل الخليفة الشيعي كما أحبت هذه الأسرة العربية ، التي قضت على الفتن ،وبسطت نفوذها في ربوع الجزيرة ،وازدهرت الاداب والفنون في عهدها وظلت مقصد الشعراء وملاذ العلماء . ففي سنة ٣٣٦ هـ استعمل المنصور "الخليفة العبيدى" الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي على جزيرة صقلية ،وكانت له منزلة عظيمة عنده نتيجة لتصديه لثورة أبي يزيد (١) فلم ينس الخليفة صنيعه فكافأه ولاية صقليه حيث عرف فيه الشدة والبأس والحنكة ، ما يكفل له القضاء على ثورة بني الطبرى ،وكانوا قد وثبوا على الوالي عطاف مع أعوانهم في يوم عيد الفطر سنة ٣٣٥ هـ وقتلوا جماعة من رجاله ،وأفلت عطاف منهم ولجأ الى الحصن ، فاخذوا أعلامه وطبوله وانصرفوا الى ديارهم فأرسل

----

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير : ٨/٤٧١ .
- وأبو يزيد هو الذى قاد الثورة الخارجية التي كادت تطيح بحكم الفاطميين في افريقية وكان لها صداها غير المباشر في صقليه فلما سقطت بعض المدن الفاطمية احداهما تلو الأخرى في يد أبي يزيد ،حاولت بعض العناصر الموالية للفاطميين اللجوء الى صقلية ،بينما رفضت بعض المدن دفع الجزية . وقد تمكن القائد المظفر الحسن بن علي الكلبي من هزيمة أبي يزيد وتثبيت حكم الفاطميين . انظر تاريخ صقلية الاسلامية : ٣٤ .

أبو عطاف الى المنصور يعلمه بالحال ويطلب المدد (١) . فولى على صقليه الحسن الذى تلقته بلرم كما تتلقى من قبله من الولاة ،اذ كانت أطماع كبراء البلد تتحكم في مصير كل وال جديد ،وكثيرا ما تجر هذه الأطماع الى فتن وثورات متعاقبة ،وكان آل الطبرى هم زعماء المقاومة فيها .

وقد استقبلوا الوالي الجديد ،ببث العيون وجمع الاخبار ليعرفوا مدى قدرته العسكرية ، فوفد اليهم قوم من أتباعهم ليشاهدوا من معه ، فرأوه في قلة فطمعوا فيه واستضعفوه ،وأوهموه بالعودة اليه ، ولكنه بدهائه استطاع أن يفسد خططهم " فجد السير الى المدينة قبل أن يجمعوا أصحابهم و يمنعوه ، فلما انتهى الى البيضاء أتاه حاكم البلد وأصحاب الدواوين وكل من يريد العافيه فلقيهم وأكرمهم وسألهم عن أحوالهم ،فلما سمع إسماعيل بن الطبرى بخروج هؤلاء اضطر الى الخروج اليه ،فلقيه الحسن وأكرمه ،وعاد الى داره ،ودخل الحسن البلد ومال اليه كل منحرف عن بني الطبرى ومن معهم " (٢) فكثر جمعه ،وقويت شوكته ، ومال الناس نحوه ،الأمر الذى أفزع بني الطبرى ،فأوقعوه في فخ ليصرفوا الناس عن طاعته ،ولكن الحسن بذكائه ،وحسن فطنته ، وقدرته على تصريف الأمور حول الحادثة الى تأييد له واستمال بها قلوب أهل البلد ، روى هذه القصة ابن خلدون فقال :

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٤٧١ .
(٢) المصدر نفسه ٨/ ٤٧٢ .

"ودس اسماعيل - ابن الطبرى - بعض غلمانه فاستغاث بالحسن من بعض عبيده أنه أكره امرأته على الفاحشة ، يعتقد أن الحسن لا يعاقب مملوكه ، فتخشن قلوب أهل البلد عليه ، وفطن الحسن لذلك فدعا الرجل واستحلفه على دعواه ، وقتل عبده ، فسر الناس بذلك ، ومالوا عن الطبرى وأصحابه ، وافترق جمعهم "(١) ويبدو أن سكان البلد قد استبشروا خيرا بمقدم الحسن الكلبي الذى برهن على عدله بقتل عبده ، فمال اليه الناس واطمأنت قلوبهم وقالوا : " الآن طابت نفوسنا ، وعلمنا أن بلدنا يتعمر ويظهر فيه العدل ".(٢)

في هذه الآونة التي أخذ الحسن يعزز سلطانه ، وأرسل اليه المنصور يأمره بالقبض على إسماعيل بن الطبرى ورجا بن حنا ، ويعلمه أنه قد قبض على علي بن الطبرى ومحمد بن عبدون ومحمد بن حنا - وكان هوءلاء قد وفدوا على المنصور يطلبون خلع الوالي وتولية غيره - فاستعظم الأمر على الحسن ، وكان يخشى جانب بني الطبرى وأتباعهم ، ولكنه استدرجهم بدهاء اذ نزلوا عليه ضيوفا فقبض عليهم وأخذ جميع أموالهم ، وزادت هذه الحادثة من رصيده البطولي فكثر موالوه وقل معارضوه ".(٣)

ويبدو أن هذا الامتحان الصعب الذى اجتازه الحسن الكلبي قد أنزل الرعب في قلوب الروم مما دعاهم الى دفع الجزية اليه لمدة ثلاث سنين .(٤)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٧٢.

(٣) انظر الكامل لابن الاثير : ٨/ ٤٧٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٤٦.

حروب الحسن مع الروم :

لم يكن اذعان الروم لدفع الجزية الى الحسن الا لتصحيح موقفهم وتجهيز قوتهم فاستغلوا مدة الصلح - ثلاث سنوات - لبناء أسطولهم ، وتعبئة جيوشهم ولما اكتمل ذلك ، أرسل ملك الروم بطريقا في البحر هو " السردغوس " بجيش كبير لملاقاة الحسن في صقلية (١) . فبلغ الخبر الحسن الذى بعث الى المنصور يستنجده ،فأرسل اليه اسطولا قوامه سبعة الاف فارس وثلاثة الاف وخمسمائة راجل سوى البحرية ، وجمع الحسن اليهم جمعا كبيرا وسار في البر والبحر " فوصل الى مسينى ، وعدّت العساكر الاسلامية الى ريو . وبث الحسن السرايا في أرض قلورية ونزل الحسن على جرابة ،وحاصرها اشد حصار واشرفوا على الهلاك من شدة العطش فوصله الخبر أن الروم قد زحفوا اليه ،فصالح أهل جراجة على مال أخذه منهم ،وسار الى لقاء الروم ففروا من غير حرب الى مدينة بارة ،ونزل الحسن على قلعة قسّانه ،وبث سراياه الى قلوزية وأقام عليها شهرا فسألوه الصلح فصا لحهم على مال أخذه منهم ودخل الشتاء فرجع الحسن الى مسينى وشتى الأسطول بها ". (٢)

و أكبر الظن أن المنصور لم يقتنع برجوع الحسن من قلوية دون فتحها مما حدا به الى إصدار أمره ثانية له " بالرجوع الى قلورية

----

(١) الكامل لابن الاثير . في المكتبة : ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ٨/٤٧٣ - ٤٧٤ .

فعبر الى جراجة فلقي الروم والسردغوس فهزمهم ، وامتلأ من غنائمهم ، وذلك يوم عرفة سنة ٣٤٠هـ" (١) بعد قتال شديد أكثر فيه المسلمون من قتل الكفار وغنموا أثقالهم وسلاحهم ودوابهم ،ثم دخلت سنة ٣٤١ هـ فقصد الحسن جراجة وحاصرها فأرسل اليه قسطنطين ملك الروم يطلب منه الهدنة ،فهادنه (٢) ، وعاد الحسن الى ريو ،وبنى بها مسجدا كبيرا في وسط المدينة ، وبنى في أحد أركانه مأذنه ،واشترط على الروم ألا يمنعوا المسلمين من عمارته ، واقامة الصلاة فيه ،ورفع الآذان ،وألا يدخله نصراني ،ومن دخله من أسرى المسلمين فهو امن ،سواء كان مرتدا أو مقيما على دينه وإن أخرجوا حجرا منه هدمت كنائسهم كلها بصقلية وأفريقية فأذعن الروم لهذه الشروط وبقي الحسن بصقليه الى أن توفى المنصور وخلفه المعز (٣) ، فرجع الى أفريقية وقدم على المعز" وسأله تشريف ولده ابي الحسين بالولاية فولاه في سنة ٣٤٣هـ". (٤)

حروب أبي الحسين أحمد بن الحسن الكلبي مع الروم :

واصل الأمير أحمد توسيع رقعة الاسلام بعد أبيه ،ففتح أجزاء أخرى من صقليه وفي سنة ٣٥١ هـ فتح طبرمين ،وكانت من أشد قلاع

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/٤٤٦.

(٢) الكامل لابن الاثير . في المكتبة : ٢٦٠.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير ٨/٤٧٣-٤٧٤.

(٤) نهاية الارب للنويرى . في المكتبة : ٤٣٨.

الروم تحصينا " وكان فتحها لخمس بقين من ذى القعدة سنة ٣٥١ هـ بعد أن حوصرت سبعة اشهر ونصف ونزلوا على حكم الملك دون قتال ، فأمر المعز بتسميتها المعزية ووجه الأمير أحمد بسببها وهو ألف وخمسمائة وسبعون رأسا ".(١)

وقد عزا ابن الاثير سبب استسلام أهلها مع منعتها الى أن المسلمين "عمدوا الى الماء الذى يدخلها فقطعوه عنها ، وأجروه الى مكان آخر ، فعظم الأمر عليهم وطلبوا الأمان ، فلم يجابوا اليه ، فعادوا وطلبوا أن يؤمنوا على دمائهم ويكونوا رقيقا للمسلمين ، وأموالهم فيئا فأجيبوا الى ذلك وأخرجوا من البلد ".(٢)

حصار رمطة وفتحها :

ولم يكن عهد الأمير أحمد عهد أمن واستقرار ، بل كان مشحونا بالحروب والثورات فما إن فرغ المسلمون من فتح طبرمين (المعزية) وسكنوها وعمروها حتى بادر أهل رمطة بالخروج عن طاعتهم ، وكتبوا للدمستق ملك القسطنطينية يستنصرونه . فتلقى الأمير أحمد أمر المعز بقتالهم ، فجهز جيشا وسيره اليها بقيادة الحسن بن عمار فنزل ابن عمار عليها في يوم الخميس آخر شهر رجب سنة ٣٥٢ ، ونصب عليها المجانيق والعرادات ، ودام القتال في كل يوم ، وبنى له قصرا وسكنه ، وأخذ

---

(١) نهاية الارب للنويرى . في المكتبة : ٤٣٨ .

(٢) الكامل لابن الاثير : ٥٤٢/٨ .

الناس في بنيان البيوت ،فلما بلغ ذلك الدمستق أمر بالحشود ،وجهز العساكر بصحبة منويل "(١) وكان تعداد جيشه قد بلغ أربعين ألف رجل (٢) فنزل الروم حول مدينة مسينى ثم رحلوا عنها قاصدين الحسن بن عمار بقلعة رمطة.(٣)

وفي ١٥ شوال سنة ٣٥٣ زحف منويل في جيش من المجوس والأرمن والروس في جمع لم يدخل الجزيرة مثله قط ، فلما علم الحسن بن عمار بمقدمه استعد للقاء وزحف الكفار في ستة اتجاهات وأحاطوا بالمسلمين من كل ناحية.(٤)

وبعد قتال طاحن كادت الهزيمة تلحق بالمسلمين ،لولا صمودهم وثبات أقدامهم ودعاء قائدهم "اللهم إن بني آدم أسلموني فلا تسلمني "(٥) برق النصر للمسلمين حين تمكن أحد المسلمين من عقر فرس منويل وقتل صاحبه القائد الرومي "وجاءت سحابة ذات برق ورعد وظلمة ،وأيد الله المؤمنين بنصره ،فانهزم الكفرة "(٦) وولوا الأدبار وأخذ بعضهم يقتل بعضا في حجب الظلام ،وتعقبهم المسلمون وأجهزوا عليهم حتى زاد عدد القتلى على العشرة الاف.

---

(١) نهاية الأرب للنويرى . في المكتبة ٤٣٨-

(٢) تاريخ ابن خلدون : ٤/٤٤٧.

(٣) نهاية الأرب للنويرى . في المكتبة ٤٣٩.

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر : ٤٤٠.

وقد غنم المسلمون في هذه المعركة مغانم كثيرة ثمينة " وكان فيما غنموه سيف عليه منقوش : هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا ، طالما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث به الحسن الى المعز لدين الله الفاطمي مع مئتي علج من وجوههم ودروع وجواشن وسلاح كثير "(١) . وغب هذه الموقعة توفى الحسن بن علي بن أبي الحسين - والد الأمير أحمد حاكم صقلية - مؤسس الأسرة الكلبية الحاكمة .

أما الحسن بن عمار فبعد أن أظهره الله على الروم وهزمهم فانه شدد قبضته على رمطة ،وحاصرها اشهرا حتى استسلم أهلها وفتحت للمسلمين عنوة وغنموا مافيها (٢) وتلا ذلك حروب ومناوشات انتهت بعقد صلح بين المعز والدمستق سنة ٣٥٦هـ حيث " وصل كتاب المعز الى الأمير أحمد يعرفه بالصلح ويأمره ببناء أسوار المدينة وتحصينها ، ويعلمه أن البناء اليوم خير من غد ، وأن يبنى في كل إقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعا ومنبرا "(٣)

---

(١) المصدر السابق : ٤٤٠ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤٤٧/٤ .

(٣) نهاية الأرب للنويرى . في المكتبة ٤٤١ .

وبعد أن ولي أحمد بن الحسن على صقلية مدة تزيد على ستة عشر عاما، استدعى الى افريقية، ففارقها بصحبة اهله وأولاده وماله واخوته، ولم يبق منهم بصقلية أحد (١)، ولم تعلل المصادر استدعاء الوالي الكلبي الى افريقية غير أن أماري يستنتج أن الوالي كان يقسم على الجنود - وخاصة في ولاية دمنش - اقطاعات بدلا من النقد، فأصبح الجند مشتتين في القرى يفلحون أرضهم، وانتشر على آثارهم جامعوا الضرائب، وكان هذا سببا في الفوضى وفي وقوع الحيف على الذميين، وكان من ذلك صدور الأمر من المعز الى الأمير أحمد (٢).

بعد رحيل الأمير أحمد استخلف المعز على صقلية يعيش مولى أبيه، وحينما وصل صقليه جمع القبائل في دار الصناعة، فتنازعوا فيما بينهم "وسعى يعيش في الصلح فلم يوافقوه، وتطاول أهل الشر من كل ناحية، ونهبوا وافسدوا، واستطالوا على أهل المراعي، واستطالوا على أهل القلاع المستأمنة، فبلغ الخبر المعز، فعزل يعيش، واستعمل أبا القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين نيابة عن أخيه أحمد، فسار اليها فلما وصل فرح به الناس، وزال الشر من بينهم واتفقوا على طاعته" (٣).

---

(١) نهاية الأرب للنويرى . في المكتبة ٤٤١ /٤٤٢ .

(٢) تاريخ امارى ٢/٣١٤ نقلا عن العرب في صقليه : ٦٧ .

(٣) الكامل في التاريخ ٨/٦١٠ .

وهكذا يعود الحكم الى الأسرة الكلبية مرة أخرى ،فلما توفى أحمد (بمدينة طرابلس) بعد ذلك ببضعة شهور ، ثبت أبو القاسم في الولاية سنة ٣٦٠ هـ وبذلك اعترف الخلفاء الفاطميون ضمنا بحكم الكلبيين الوراثي على الجزيرة.(١)

وفي سنة ٣٦١ هـ نقل المعز لدين الله العاصمة الفاطمية من المهدية الى القاهرة وقد زاد هذا التحول من استقلال الكلبيين ، فالأمير الزيرى بلقين الحاكم في أفريقية باسم الخليفة الفاطمي لم يمنح سلطة على صقلية ، كما أن رضا الناس عن الأسرة الكلبية أدى الى تدعيم حكمها في صقليه ،ناهيك عن الهدوء النسبي الذى ساد الجزيرة والتوسع في انشاء المدن الاسلامية ،وحاجة الفاطميين الى جماعة وفية لهم في صقلية يستفيدون من واليها في خططهم البحرية ويستطيعون أن يمنحوه استقلالا ذاتيا كما فعلوا بالنسبة لأمراء بني زيرى في أفريقية سنة ٣٦١ هـ . والكلبيون من جانبهم ظلوا على ولائهم التام للفاطميين الذين أنعموا عليهم بألقاب شرفية.(٢)

----

(١) تاريخ صقليه الاسلامية : ٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٨ .

ولاية أبي القاسم بن الحسن :

بعد أن تولى أبو القاسم الأمر على صقلية في ١٥ شعبان سنة ٣٥٩ ، نهج فيها نهج أبيه وأخيه ،وأخذ يوسع دائرة النفوذ الاسلامي ،وكانت له غزوات كثيرة ضد الروم ، أولها سنة ٣٦٥ هـ وفيها أمر بعمارة قلعة رمطة فعمرت وولى بعض عبيده عليها ،وتتابعت غزواته حتى استشهد في المحرم سنة ٣٧٢ هـ.(١) وكان حسن السيرة ، فاضلا محبا للعلماء والصالحين(٢) خلال فترة حكمه .

وبعد استشهاد أبي القاسم اختار وجوه صقليه ابنه جابرا أميرا عليهم ،و أقره الخليفة الفاطمي على ذلك ،لكن لم يكن لجابر من مقام مرموق وكفاءة إدارية ما كان لأبيه وعمه ،مما دعا الصقليين إلى خلعه ،فاستدعي إلى القاهرة حيث وقع ضحية لدسائس البلاط ،وولى العزيز على صقلية رجلا آخر من الكلبيين ، هو جعفر بن محمد(٣) الذى " كان يحب أهل العلم و يجزل الهبات لهم "(٤) واستطاع أن ينظم أمور الجزيرة و يعيد الرخاء اليها ،وكانت النخبة الصقليه تجله لعلمه ، وتحبه العامه لجوده وكرمه . وبعد وفاته خلفه أخوه عبدالله بن محمد الذى توفى هو الآخر في نفس العام ،فخلفه ابنه أبو الفتوح يوسف ، وأقرت ولايته من قبل العزيز الذى أنعم عليه أيضا بلقب (ثقة الدولة) .(٥)

---

(١) النويرى : المكتبة ٤٣٢ .

(٢) العرب في صقليه : ٤٦ .

(٣) تاريخ صقليه الاسلامية : ٣٩ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤/٤٤٨ .

(٥) انظر تاريخ صقليه الاسلامية : ٣٩ .

ولعل الجزيرة لم تشهد عهدا كعهد الأمير أبي الفتح يوسف الملقب بثقة الدولة (٣٧٩ - ٣٨٨هـ) الذى ضبط الجزيرة وأحسن الى الرعايا (١) وأنس بجلاله وفضائله كل من كان قبله من بني أبي الحسين. (٢) وكانت أيام الناس بصقليه في مدته على أفضل ما يشتهون. «وقد ضبط البلد ضبطا عظيما وأداخ الروم واستقامت له الأمور، وظهر من كرمه وجوده على سائر الناس ما لا يحيط به وصف. وكان بلاطه في بلرم مقصد العلماء والأدباء وظل قائما بالأمر خير قيام حتى أصابه فالج عطل نطقه الأيسر فتنازل لابنه جعفر». (٣)

ولاية جعفر بن يوسف الملقب (بتاج الدولة وسيف الملة):

تولى الأمير جعفر الحكم في صقلية خلفا لأبيه، وأنعم عليه الخليفة الفاطمي بلقبين (تاج الدولة) و (سيف الملة) وكان أكثر استقلالا عن الفاطميين من أسلافه (٤) وقد ضبط أحوال البلاد في أول عهده، وكانت صقليه تنعم بالاستقرار والهدوء حتى سنة ٤٠٥ هـ، ولم تلبث أن سرى التصدع في جسدها، وتفاقم الخلاف بين الأسرة الكلبية، وكان ذلك بداية النهاية للبيت الكلبي، فقد استفحل الخلاف بين

-----

(١) النويرى : المكتبة : ٤٤٢.
(٢) نفس المصدر : ٤٨٣.
(٣) العرب في صقلية : ٤٦.
(٤) تاريخ صقليه الاسلامية : ٣٩.

جعفر وأخيه عليّ الذى خرج الى موضع قرب المدينة والتف حوله البربر والعبيد ،فلقيه جعفر في جمع من جنده ودارت رحا الحرب بينهما ،وكانت الغلبة لجعفر الذى بادر بقتل أخيه " فعز ذلك على أبيه ثم أمر جعفر بنفي من بالجزيرة من البربر فنفوا حتى لم يبق منهم أحد وأمر بقتل العبيد ، فقتلوا عن آخرهم ، وجعل جنده من أهل صقليه".(١) فاستتب النظام ،وهدأت العاصفة ،ولكنها سرعان ما هبت من جديد .

خروج أهل صقليه على الأمير جعفر :

وقع الأمير جعفر في خطأ حين نفى البربر وقضى على العبيد ،واتخذ جنده من أهل صقليه ،فطمعوا فيه ،وتنمروا عليه ،واستخفوا به "،ولا سيما اطلاقه يد كاتبه حسن الباغاني الذى عامل الناس بالقسوة ، وأحدث بدعا في جمع الضرائب" وأشار على جعفر أن يأخذ من صقلية الاعشار من طعامهم وثمارهم على عادة البلاد ، ولم تجر لهم بذلك عادة ، وإنما كانت العادة ، أن يؤخذ على الزوج القرشي معلوم ،ولو أصاب ما أصاب ، ثم أظهر جعفر الاستخفاف بأهل صقليه ،وشيوخ بلادها ،واستطال عليهم "(٢) فثاروا عليه ،وحاصروا قصره ، فخرج اليهم أبو الفتح في محفة فتلطف بالناس وسكن الضغنة - وكان أهل صقلية يجلونه ويحترمونه - بتسليم حسن الباغاني اليهم ليقتلوه ، ويقتلوا حفيده أبا رافع ، وعزل ابنه جعفرا وولى عليهم ولده أحمد الأكحل.(٣)

----

(١) نهاية الأرب للنويرى. من المكتبة : ٤٤٣.

(٢) المصدر السابق نفسه ،وانظر العرب في صقلية .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٤٩.

ورحل جعفر الى مصر ، فقضى بها بقية حياته ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته غير أنه كان حيا سنة ٤٢٧ هـ ، فقد جاء في كتاب وفيات الأعيان ما نصه : " وكان لثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر ابن ثقة الدولة وكان أديبا شاعرا وله الأبيات السائرة في غلامين ، على أحدهما ثوب ديباج أحمر وعلى الآخر ثوب ديباج أسود ، وكان عمله لهذه الأبيات سنة سبع وعشرين وأربعمائة ".(١)

وقد وردت هذه الأبيات في مخطوطة بعنوان :

" الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية " حيث يقول فيها :(٢)

---

(١) وفيات الأعيان في المكتبة : ٦٤١ ومابعدها.

(٢) المخطوطه : ١٧٣.

أرى بدرين قد طلعا
على غصنين في نسق
لدى ثوبين قد صبغا
صباغ الخد والحدق
فهذا الشمس في شفق
وهذا البدر في غسق

ولاية الأمير تأييد الدولة أحمد الأكحل :

تولى الأكحل الحكم في صقلية سنة ٤١٠ هـ وكان ماضي العزيمة حازما ،فسكن الفتنة وهدأ النفوس ، فاستقامت أموره ،وصلحت حاله ، ووصله كتاب من الحاكم الفاطمي يلقبه فيه بتأييد الدولة ،ولم يقتصر نشاطه على تهدئة الوضع الداخلي بل واصل جهاده ضد الروم ، وكان اذا خرج للغزو استخلف ابنه جعفرا ،فبث روح التفرقة بين الصقليين والافريقيين ،وميز بينهما في المعاملة اذ أنه كان يأخذ الخراج عن أملاك الصقليين وحدهم ، بينما يعفى الافريقيين من ذلك فشكاه قوم من أهل صقلية الى المعز بن باديس ، وكان ذلك سنة ٤٢٧.(١) وقالوا : " نحب أن نكون في طاعتك والا سلمنا الجزيرة الى الروم ".(٢)

---

(١) نهاية الأرب للنويرى . المكتبة : ٤٤٥ وانظر العرب في صقلية ص ٤٧.

(٢) نهاية الأرب للنويرى . المكتبة : ٤٤٥.

فلبى المعز رغبتهم وأرسل الى صقلية جيشا من الفرسان والراجلة بقيادة ابنه عبدالله ، فحاصر الأكحل في قصره بالخالصة ،ثم تنازع الصقليون فيما بينهم فقتله الذين شكوه الى المعز ، لكن الصقليين ندموا على فعلتهم ،وعلى استقدام عبدالله الى الجزيرة ، فناصبوه العداء ، واجمعوا على حربه ،فقاتلوه وانهزم ،وولوا عليهم الصمصام أخاه ،واضطربت أحوال أهل الجزيرة في عهده ،فأخرجه الصقليون من بلرم ،واقتسم الجزيرة ولاة طامعون (١) وهكذا ينتهى حكم الكلبيين على وجه التقريب سنة ٤٣٠هـ بعد أن قضوا فيها خمسة وتسعين عاما .

----

(١) انظر النويرى : في المكتبة : ٤٤٥ .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية

الفصل الثانـــــي

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه

المجتمع الصقلي :

لقد وهب الله جزيرة صقلية من جمال الطبيعة ، وحسن الموقع ، ووفرة المحاصيل الزراعية ، ما جعلها مصدر اغراء للطامعين ، ومقصد الغزاة والمستعمرين منذ أقدم العصور حيث "اجتمعت فيها الحركات الكبـــرى للفينيقيين واليونان والرومان "(١) وذلك قبل دخولها في الاسلام .

وقد عانت الجزيرة كثيرا من الارهاق الاقتصادى ، وجور الغـزاة ، وظلم الكنيسة وبلغ ذلك مداه في العهد البيزنطي الذى سلب صقليه كـــل مقومات الحضارة . ومن ثم لم يكن المجتمع الصقلي في ظل الدولـــــة البيزنطية مجتمعا سعيدا ناهضا مكفول الحرية .(٢) بل فقدت صقليـــــة البيزنطية " شخصيتها ومقومات الحياة العمرانية فيها ، واختنق فيـها كـــل شعـور بالرفعـة الانسانية ، وبلغت من الانحطاط درجة ليس ثمة ما هـــــو أدنى منها "(٣).

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٢٥٧.

(٢) العرب في صقلية : ٢٩.

(٣) نفس المصدر : ٣١.

فلما فتح المسلمون الجزيرة بقيادة القاضي أسد بن الفرات ، أحدثوا تغييرا في البناء الاجتماعي ، وأضافوا عناصر جديدة ، استطاعت أن تذوب مع الأنماط المحلية وتنصهر في بوتقة واحدة ، وتكون مجتمع صقلية الجديد الذى تمتد جذوره الأولى الى أصول شرقية وغربية فما أجناس هذا المجتمع ؟ وما أهم ملامحه ؟ ذلك ما نود معرفته إيمانا منا بأن ذلك سينفع الى حد ما في هذه الدراسة ، نظرا لأن آثاره انعكست على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية في الجزيرة .

طبقات المجتمع الصقلي وأجناسه :

سبق القول أن صقلية كانت مطمح الطامعين ، ومقصد الغزاة الفاتحين ، منذ أقدم العصور ، وتعاقب على احتلالها أجناس وعناصر بشرية متنوعة ، فجاء المجتمع مزيجا من الأنماط المختلفة التي استقرت في صقلية ، وآثرت البقاء بعد رحيل الطامعين والغزاة ، ويمكننا تقسيم السكان في ظل الاسلام الى طائفتين :

الطائفة الأولى : هم السكان الأصليون الذين ثبتوا على دينهم ومعتقداتهم الموروثة من اليهودية والنصرانية ولم يدخلوا في الاسلام وهم على ثلاثة أنماط.(١) وكان النصارى يشكلون النسبة الكبرى من سكان الجزيرة في عهد الأغالبة ، وحدث عكس ذلك في العصر الكلبي ، اذ

---

(١) انظر العرب في صقلية : ٦٣ .

شكل المسلمون النسبة الكبرى . (١) ولعل السكان قد بلغوا نصف مليـــون في أواخر العهد الكلبي (٢) نتيجة لهذه العوامل مجتمعة .

أ - قسم مستقلون بأنفسهم يديرون أمورهم عن طريق مجالس بلدية وهم ممتنعون وراء الأسوار واذا رأوا فرصة على المسلمين سرعان ما ينقلبوا عليهم .

ب - قسم هم أهل الجزية الذين يتمتعون بقسط من الحريـــة والأمان طالما أنهم يدفعون الجزية وموفون بما عاهدوا عليـــه لكنهم قد ينتهزون خلاف المسلمين أو يستجيبون لتأثيـــر سادتهم فينكثون العهد ويتوقفون عن دفع الجزية .

جـ - القسم الثالث ، هم العبيد الذين كانوا يفلحون الأرض ،وقد زاد عددهم أيام الرومان لاعتمادهم عليهم في المجال الزراعـــي فلما جاء الفتح احدث فيهم أثرا كبيرا ، فقد فر بعضهم تخلصا من حيف البيزنطيين ونجاة من استعبادهم الى سماحة الاسلام وحسن معاملة أهله .

ومن الغرابة أن يطلق الدكتور احسان عباس كلمة الذمييـــن على السكان الأصليين الذين لم يسلموا ، ونحن نخالف الدكتور علـــى اطلاق كلمة ذمييـن على هوءلاء (٣) فالمعروف أن الذمي هو الذى بقي علي دينه وأذعن لدفع الجزية للمسلمين وكفلوا له الحمايـــة والحريـة ، أما هوءلاء فمنهم من بقي متحصنا في قلاعه ولم يدفع الجزية

---

(١) تاريخ صقلية الاسلامية : ٣٠ .

(٢) نفس المصدر : ٤٥ .

(٣) انظر العرب في صقليه ص ٦١ ومابعدها .

ولم يسلم ،ومنهم الموالون للقديسين الذين يذكون روح المقاومة ضد المسلمين ، فكيف نطلق على هؤلاء جميعا صفة الذمية ، يبدو أن في الاطلاق مجانبة للصواب .

أما الطائفة الثانية : فهم المسلمون وتتكون العناصر الاسلامية الجديدة التي دخلت الجزيرة مما يلي :

أ - العنصر الاسلامي الذى دخل الجزيرة فاتحا وكان منهم القواد والحكام والجنود الذين يديرون دفة الحكم ويتصرفون في شئون البلاد .

ب - التجار وأصحاب الصناعات وأرباب الحرف الذين كانوا يكونون طبقة من طبقات المجتمع في العصر الكلبي ، وقد أشار اليهم ابن حوقل في مشاهداته حينما دخل الجزيرة ابان حكم الكلبيين .(٢)

جـ - طبقة العبيد الذين أسلم عدد منهم تخلصا من رق العبودية ، وكثر عددهم في العهد الاسلامي ولا سيما عصر الكلبيين اما بالشراء أو نتيجة للحروب التي تفرز بالسبي في حجور المسلمين ،وقد شكلوا قاعدة جيدة في عهد الكلبيين ، كادوا يكونون خطرا على أمنهم مثلما حدث في أيام جعفر ابن ثقة الدولة حيث اتحدوا مع

---

(١) صورة الأرض : ١١٤ .

البربر وأيدوا عليا أخا جعفر ،وكان من نتيجة ثورتهم هذه أن قتل العبيد عن آخرهم (١) ولا يعني هذا أن الكلبيين قضوا على هذا العنصر في الجزيرة كلها ،اذ من المحتمل أن القتل أصاب من اشترك من العبيد في ثورة علي على أخيه جعفر .

أما جنسيات المجتمع الصقلي فمنهم اليونان واللمبارد واليهود والعرب والبربر ، وتتخذ العناصر الاسلامية التي دخلت الجزيرة أنسابا عدة ،منها ما ينسب الى أصول بلدية كالشامي والسوس والباغاني ،ومنها ما ينسب الى أصول قبلية كالكلبي والقيسي والكتامي واللوامي ومنهم من غلبت عليه الحرفه فنسب لها كالوثاقي والفضائرى والخراز (٢) ومنهم من ينتمي الى عنصر فارسي مثل بني الطبرى الذين ازاحهم الكلبيون عن الحكم في بلرم فهم ينتسبون الى طبرستان ، وتدل عين السندى وبلهرا على مهاجرين من أصل هندى . (٣)

أما القبائل البربرية التي اتخذت من جرجنت عاصمة لها ،فتشير أسماء الأماكن الواقعة بين مازر ولقاطه الى جنسياتهم التي استوطنت فيها ، فهناك اندرانى ، وقرقود ومزيزينو وحجر الزناتي ومليلى نسبة الى قبائل انداره ومزيزه وزنانه ومليله ،وفي أيام الفاطميين امتازت كتامة ودخلت مع خليل بن اسحاق الى صقلية (٤) وقد قويت شوكة البربر في

---

(١) النويرى : المكتبة الصقلية : ٤٤٣ .

(٢) العرب في صقليه ٦٤ .

(٣) نفس المصدر ٦٥ .

(٤) نفس المصدر ٦٦ .

أيام الكلبيين وظلوا مصدر فتن وثورات مما جعل بعض الامراء يعاقبونهم بالنفي مثلما حدث لهم في عهد الأمير جعفر بن ثقة الدولة حيث تضامنوا مع العبيد فنفى جعفر البربر وقتل العبيد.(١)

ونتيجة لهذه الفئات أصبح المجتمع خليطا ذا ألوان متعددة، وأنماط مختلفة. وقد أثرت كثرة هذه الطوائف في صقليه، فظل مناخها السياسي متقلبا ومضطربا بالفتن والمنازعات والخروج على الحكام، ويبدو أن من يحكم صقليه لا بد أن يكون على حذر منهم، وهذا ما استشعره المعز حينما أصدر أمره للأمير أحمد الكلبي - بعد ابرام صلح بين الأول والامبراطور البيزنطي - " يعرفه بالصلح، ويأمره ببناء أسوار المدينة (بلرم) وتحصينها، وتعليمه أن البناء اليو خير من غد، وأن يبنى في كل اقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعا ومنبرا، وأن يأذن أهل كل اقليم بسكنى مدينتهم ولا يتركوا متفرقين في القرى"(٢)

---

(١) النويرى : المكتبة الصقلية : ٤٤٣.

(٢) العرب في صقلية : ٦٦.

وعندما تولى حكم صقلية ولاة ضعاف في أواخر العصر الكلبي نشطت المنازعات والفتن حتى أن عبد الحليم السوسي ليصور ذلك فيقول (١) :

رزينا بذات البين حتى كأننا
نرى أن من يبغي سوى البغي آثم
يغير الفتى منا على مال نفسه
ويقتله عدوا أخوه الملائم
يجوز دليل القوم عن سبل رشده
ويمضي على المكروه من هو نادم
نروح ونغدو في أمور لوانه
رأى بعضها ما عاود النوم حالم
كأن بحارا بالوغى وكأنما
معاركنا طول الزمان مواسم
فطورا نذود الموت عنا وتارة
نموت كما مات الحماة الأكارم

---

(١) عنوان الأريب ١/١٣٦.

وقد ازداد عدد المسلمين في صقلية في عهد الكلبيين بسبب هيمنة هؤلاء على صقلية ،ورعايتهم للفئات الاسلامية ،وتفشي مرض الطاعون في افريقية واضطهاد بعض الأمراء الافريقيين لبعض العناصر العربية ، مثلما حصل للاسماعليه في عهد الأمير الزيرى المعز بن باديس .

واذا كان الروم قد أرهقوا مواطني صقلية بالضرائب وانهكوهم بالأتاوات فإن المسلمين حين طبقوا على من لم يسلم نظام الجزية كانوا يعاملونهم بالحسنى والرفق ويجبون من الأفراد قدرا يتفق مع دخولهم ،يقول غوستاف : " وتُرك لنصارى صقلية كل ما لا يمس النظام العام ، فكان للنصارى ،كما في زمن الروم قوانينهم المدنية والدينية ،وحكام منهم للفصل في خصوماتهم ،وجباية الجزية السنوية التي فرضها العرب عليهم وهي ٤٨ دينارا عن كل غني و ٢٤ دينارا عن كل موسر و ١٢ دينارا عن كل من يكسب عيشه بنفسه وكانت هذه الجزيرة - التي هي دون ما كان يأخذه الروم - لا تؤخذ من رجال الدين والنساء والأولاد ".(١)

----

(١) حضارة العرب : ٣٣٢ .

وإذا كانت سياسة حكام المسلمين في الجزيرة مع الذميين تقوم على التسامح والتلطف فلم يشقوا عليهم ،ولم يكلفوهم ما لا يطيقون ، فقد كانت سياستهم ،أيضا مع الفئات الاسلامية تقوم على الألفة ،ونبذ الفرقة والانقسام . وبالتالي فلم يحتضنوا قبيلة ،ويقصوا أخرى ، ولم يغلبوا عنصرا على آخر . ولم يكن للأصول العرقية أثر في ميزان السياسة الكلبية . ومن أجل ذلك لا نرى من يرفع عقيرته مفتخرا بالقيسية أواليمنية ، أوكونه منحدرا من أصل عربي أو بربري . لكن بعض الباحثين يذهب الى أن هذا الانقسام كان موجودا بل يبالغ فيه . يقول د. مارتينوماريو (١) : "والحال أن العرب والبرابرة كانت تفصل بينهم هوة عميقة ، ولم يلقوا عليها جسرا الا للتخلص من أوامر أمير بعيد ، وأن العرب أنفسهم كانوا منقسمين الى عدنانيين وقحطانيين ، وكان ينبغي للأشراف والعوام ان يعتبروا أنفسهم أخوة من حيث هم أبناء أرض واحدة" ويبدو

---

(١) المسلمون في صقلية : ١٥ وانظر تاريخ العرب مطول ٧١٨/٣ .

أن هذا الرأى ينتفى اذا طبق على سلسلة الحوادث التي حدثت في صقلية إبان حكم المسلمين لها ، فلم نشاهد على شريط الحوادث ما يشير الى أن هذه الحادثة أوتلك كانت نتيجة لاشتعال نار العصبية القبلية أوالدينية ، فقد ظهر شعب صقلي متسامح بفضل سياسة المسلمين التي انعكست على عناصره المختلفة " وانصهرت هذه العناصر المتباينة كلها في بوتقة الصقلية ،وكونت وحدة لا تتجزأ كما تجتمع أنواع العنب من أبيض وأحمر وورد ى في المعصرة ".(١)

ويبدو أن الروح الوطنية أخذت تتعمق في نفوس الصقليين مع مرور الأيام " وبعد أن تم شيء من الامتزاج بين الأجناس ،وشعر المهاجرون بأن صقلية هي وطنهم نشأ جيل من الناس ينتسب الى صقلية ويشعر بالرابطة العاطفية بينه وبينها ".(٢)

---

(١) المسلمون في صقلية : ٣١.

(٢) العرب في صقلية : ١٧٧.

النواحي الاقتصادية والعمرانية :

بعد أن أخضع الكلبيون سكان صقليه لسلطتهم وقضوا على كثير من الفتن والثورات ، وشعرت صقلية بالاستقرار النسبي ، تحسنت أحوال المجتمع المعيشية وازدهرت التجارة وتوسعت المساحات الزراعية ، ونهضت البلاد نهضة عمرانية واسعة .

ويصف الاصطخرى حالة صقلية الاقتصادية في القرن الرابع فيقول :

" وبصقلية من الخصب والسعة والزروع والمواشي والرقيق أكثر ما يقع منها ، ما يفضل على سائر ممالك الاسلام المتاخمة للبحر ".(١)

وتدل كثرة أسواقها وتعدد أصحاب الحرف فيها ، على انتعاشها الاقتصادى . وقد رحل اليها ابن حوقل في القرن الرابع - في ولاية أبي القاسم الكلبي - وتجول في أسواقها ، وشاهد كثرة الحرفيين فيها ، ومن هذه الاسواق الحرفية " سوق الزياتين بأجمعهم ، والدقاقين

---

(١) مسالك الممالك : ٧٠ .

والصيارفة ، والصيادلة والحدادين ، والصياقلة ،وأسواق القمح والطرازين ، والسماكين ،والابزاريين ،وطائفة من القصابين ،و باعة البقل ،وأصحاب الفاكهة ، والريحانيين ،والجرارين ،والخبازين ،والجداليين ، وطائفة من العطارين ،والجزارين ،والأساكفة ،والدباغين ، والنجارين ، والغضائريين ،والخشابين خارج المدينة ، وببلرم طائفة من القصابين والجرارين والأساكفة ،وبها للقصابين دون المئتي حانوت لبيع اللحم والقليل منهم في المدينة برأس السماط ،ويجاورهم القطانون والحلاجون والحذاؤون وبها غير سوق صالح ".(١)

ولقد بلغ من اهتمام الصقليين بالزراعة أن نسبت اليهم طريقة غرس بعض الشتلات الزراعية مثل البصل حيث يشرح أبو زكريا الاشبيلي هذه الطريقة

---

(١) صورة الأرض ١١٤ ومابعدها .

فيقول : " وصفة عمل الأهداف التي يغرس فيها نقل البصل وغيرها وهي المنسوبة لأهل صقلية ،وذلك أن يقصد الى الأرض المعمورة نعما ويقام فيها أهداف بين كل هدفين ساقية تجرى الماء عليها وتتصل تلك السواقي بساقية يدخل منها الماء اليها كلها ،كاتصال الأحواض بالساقية ".(١)

وكانت الزراعة قبل دخول المسلمين هي وظيفة العبيد الموكولة اليهم في العصر البيزنطي وكثيرا ما يلحق هوءلاء الحيف والظلم (٢) مما انعكست آثاره على النشاط الزراعي في الجزيرة " ولم تكن أقدام العرب ترسخ في صقلية حتى أقبلوا على الزراعة ،فانتشلوها من الانحطاط الذى كانت فيه ، وأدخلوا اليها زراعة القطن وقصب السكر والدردار والزيتون وحفروا فيها الترع والقنوات التي لا تزال باقية ،وأنشأوا المجارى المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم ".(٣)

وقد كان من أثر التنظيم الذى أحدثه العرب في المجال الزراعي أن زاد الانتاج ، واستفاد منه الصقليون ،بسبب خصوبة أرضها وجمال مناخها " فقد كانت صقلية تتمتع بقسط كبير من المطر وضوء الشمس . . .

---

(١) من كتاب الفلاحة لابي زكريا الاشبيلي : في المكتبة ٥٤٥.
(٢) العرب في صقلية : ٦٢.
(٣) حضارة العرب : ٣٣٢.

فتربتها غاية في الخصب فلما جاءها العرب المهرة ،وأحسنوا تنظيم أحوالها الاقتصادية ، جنوا ثمار هذا التنظيم ،وأصبحت بلرم ثغرا تجاريا عظيما بين أوربا المسيحية وافريقية الاسلامية ، وما لبثت أن صارت من أغنى المدن في بلاد الاسلام ". (١)

وبالرغم من اهتمام الصقليين بالزراعة وابداعهم في هذا الحقل فانهم لم يهملوا الجانب الحيواني ،اذ كانت صقلية غنية بالثروة الحيوانية ومن هذه الأنماط الحيوانية الخيل والبغال والحمير والغنم والحيوان الوحشي. (٢)

وتكثر الأسماك في مصائد كل من طرابنش ولنبياذة ،ويصاد سمك البورى من نهر السلة الذى تقع عليه قلعة ثرمه . والتن بصورة خاصة في مياه طرابنش وميلاص ونهر السلة ،ويكثر النوع الجيد من المرجان

---

(١) قصة الحضارة : م ٤/٢/٢٧٩.

(٢) معجم البلدان . صقلية.

في مياهها البحرية .(١)

وبجانب هذه الثروات الطبيعية التي تزخر بها صقلية ،هناك الثروة المعدنية التي غنيت بها ، وترتب عليها وجود نهضة صناعية نشطة وتشمل هذه الصناعات التعدينية الذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت والنفط وحامض الكبريتيك والكحل والشب.(٢)

ويبدو أن معظم الانتاج التعديني بتركز في منطقة جبل النار، وفيه ملح الأمونيا الذى يباع في الخارج . كما كان الخشب يجمع بكثرة من الغابات التي يغص بها الوادى العريض خلف مدينة جلفوذى.(٣)

ويكمن معدن الحديد في جبل مسينى ،ومنها يصدر ،كما يوجد بعض الحديد قرب قرية بلهرا الغربية في بلرم.(٤)

وبصقلية " معدن الكبريت الأصفر الذى لا يوجد بموضع مثله ، وهو بجزيرة البركان وله قطاعون وعمالون عالمون بتناول ذلك ، قد تمرطت شعورهم ،وتصلبت أظفارهم ،ويذكرون أنهم يجدونه في بعض الأزمنة سيالا متميعا ،فيحفرون له في الأرض مواضع يجتمع فيها ،ثم يجدونه في غير ذلك الأوان قد تحجر وحمض فيقطعونه بالمعاول".(٥)

---

(١) صقلية ،وعلاقاتها بدول البحر المتوسط : ١٥٥ .

(٢) تاريخ صقلية الاسلامية : ٤٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤٦ .

(٤) معجم البلدان : مادة صقليه .

(٥) الروض المعطار في خبر الاقطار : ٣٦٧ .

ومن الصناعات المزدهرة في صقلية صناعة النسيج التي تقدمت تقدما عظيما ،وانتشر نظام الطراز على يد حكامها العرب بين القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث أنشأ العرب في قصر الامارة بمدينة بلرم دارا شهيرة للنسيج ظلت على ازدهارها حتى غزو النورمان لها (١) . ويقول المقدسي : ومن صقلية تحمل الثياب المقصورة الجيدة (٢) ويقول ناصر خسرو : ويجلبون منها كتانا رقيقا وثيابا منقوشة يساوى الثوب منها في مصر عشر دنانير مغربية (٣) .

وموقع الجزيرة البحرى تطلب وجود صناعة السفن وقد " قامت صناعة السفن في دار الصناعة ببلرم ، معتمدة على أخشاب الجزيرة ،ويدخل الحديد المستخرج من عين الحديد بالقرب من بلهرا في صناعتها " (٤) .

ومن الصناعات التي حظيت بها صقلية في العهد الكلبي ،صناعة السيوف وصناعة جرار الخزف وصناعة دبغ الجلود ،وصناعة الأخشاب والأحذية (٥) .

ولا شك أن هذه القاعدة الانتاجية العريضة - الزراعية والحيوانية والصناعية - قد فتحت القنوات التجارية مع الأقطار الاسلامية الأخرى ،

---

(١) صقلية وعلاقاتها بدول البحر : ١٥٧ .
(٢) أحسن التقاسيم : ٢٣٩ .
(٣) سفرنامه : ٤٥ .
(٤) صقلية وعلاقاتها بدول البحر الابيض المتوسط : ١٥٨ .
(٥) صورة الأرض : ١١٩ .

فانتعشت التجارة ، وزاد الانتاج وقد وصف هذه الحركة التجارية غوستاف فقال " وقد انتعشت التجارة في صقلية واتسع نطاقها أيام العرب بعد أن كانت صفرا ، ويستدل على ذلك من جداول المكوس التي انتهت الينا والتي تثبت بلوغ تجارة صقلية - التي انحطت أيام النورمان - شأوا بعيدا في زمن العرب".(١)

ومما يسر هذا التبادل التجارى من صقلية واليها موقعها الجغرافي ، وتعدد موانئها ، وتوسط موقعها بين سواحل افريقية جنوبا ، وبلاد الاندلس غربا ، والسواحل الايطالية شرقا وشمالا .(٢)

ولعل أبرز ما يميز الموانيء الصقلية تلك النار التي تشتعل من جبل البركان ، فيهتدى بها المسافرون من البحارة من مسافات بعيدة ليلا (٣) وهذا بدوره يسهل عملية التجارة والانتقال منها واليها . وكانت الموانيء الصقلية تضخ أموالا طائلة في عهد الدولة الكلبية وتشكل موردا رئيسيا من مواردها ، وتسمى هذه الضريبة التي تؤخذ من هذا المورد مال البحر .(٤)

---

(١) حضارة العرب : ٣٣٣ .
(٢) صورة الأرض : ١١٨ .
(٣) الروض المعطار : ٣٦٧ .
(٤) صورة الارض : ١٢٤ .

ولقد مدت صقلية جسورا تجارية مع مصر ، ومن أهم الصادرات الصقلية الى مصر القمح والأطعمة ، ومعدن النوشادر الأبيض ، والحجارة التي تقذف بها براكين صقلية ، ويستخدمها المصريون في حك الكتابة من الدفاتر . ولقد جذبت الأسواق المصرية الصناعات الصقلية لارتفاع ثمنها ، فكانت تصدر المنسوجات الكتانية وكان ما يباع منها في صقلية بالخمسين الى الستين رباعيا ، يباع مثله في مصر باكثر من خمسين أو ستين دينارا .(١)

وكانت العملة المتداولة في عهد الكلبيين هي الدينار والرباعي - جزء من الدينار - وكانت لها دار تسكها تعرف بدار الضرب ، وقد وجدت مجموعة منها ترجع الى سنة ٣٤٣ هـ كما عثر أيضا على قطع رباعية تعود الى سنة ٣٤١ هـ ومعنى هذا انها كانت متداولة في العهد الكلبي ، وتشير احدى الروايات ان امير صقلية ثقة الدولة الكلبي منح احد الشعراء مائة رباعي .(٢)

وبالجملة كانت الدولة الكلبية تعتمد على قنوات ضريبية متعددة أوجزها ابن حوقل فقال " مع أن مال جزيرة صقلية وقتنا هذا وهو اجل أوقاتها وأكثره ، وأغزره بأجمعه من سائر وجوهه وقوانينه ، خمسها ، ومستغلاتها ومال اللطف والجوالي المرسومة على الجماجم ، ومال البحر ،

----

(١) صقلية وعلاقاتها بدول البحر الابيض المتوسط ١٧٢ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٠ .

والهديه الواجبة في كل سنة على أهل قلورية وقبالة الصيود و جميع المرافق ".(١)

والمقصود بالخمس "الضرائب المختصة بالثغور ،مثل ما يؤدى في مصر من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من البضائع ،بمقتضى ما صولحوا عليه ،وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مئة دينار ومئتان و خمسة وثلاثون دينارا وربما إنحط عن عشرين دينارا ويسمى ذلك خمسا".(٢) ومثل هذا محتمل الوقوع في صقلية لموقعها البحرى ،ولتشابه نظمها مع الدولة الفاطمية في مصر .

وعرف أمارى الخمس بأنه خمس الغنيمة والأرض التي أخذت عنوة.(٣)

ومال اللطف : هو الهدايا التي تحصل في مواسم معينة(٤) والجوالي : الجزية التي كانت تسمى بهذا الاسم في ذلك العهد.(٥)

وأما مال البحر " فهو ما يحصل على السفن الراسية في الموانيء الصقلية ،والقباله : نوع من الضمان ، أى أن المصائد كانت تعرض على متقبلين بمبالغ معينة ،وقد يكون المتقبل هو المباشر للعمل ، أو ينتدب له من يريد".(٦)

----

(١) صورة الأرض : ١٢٤ .

(٢) المواعظ والاعتبار : ١٧٦/١ .

(٣) Amari : S.D.M. Vol. 2, p. 169.
نقلا عن العرب في صقلية ٥٦ .

(٤) لسان العرب : لطف.

(٥) المواعظ والاعتبار : ١٧٣/١ .

(٦) العرب في صقلية : ٦٩ .

والمرافق : هي ما تعرف بالمكوس في مصر زمن الدولة الفاطمية ، وكانت المرافق في مصر تشمل المال الهلالي أيام ابن المدبر ، ثم أسقطها أحمد بن طولون وأحياها العبيديون فيما بعد.(١)

ومن الضرائب التي كانت تستوفى من العنصر الصقلي ، الضريبة العشرية ، وكانت على أراضي من اعتنق الاسلام من المسيحيين ، وأكثرها كان يحصل من ولاية مازر في القرن التاسع الميلادي ثم من ولاية نوطس ودمنش في القرن العاشر.(٢)

وهذه الضرائب كانت تستوفى على نظام دقيق ، ولكن متى ما اختل ميزانها الضريبي ثار الناس على الحاكم ، وقد مر بنا كيف أن ابن الباغاني غير نظام الضريبة على أهل صقلية في عهد الكلبيين ، فجعل الأعشار من طعامهم وشرابهم ، وكانت العادة أن يؤخذ على زوج البقر شيء معلوم ولو أصاب ما أصاب فكان ذلك حافزا دفع السكان على الثورة التي أودت بحياته.(٣)

وفي أيام الكلبيين قام التفاوت البين في الثروة بين طبقات المجتمع ، فقد ارتحل ثقة الدولة الكلبي الى مصر ومعه (٦٧٠ الف دينار) و ١٣ ألف حجرة سوى البغال وغيرها هذا مع كرم الأمير وصلته وخصوصا الشعراء

---

(١) المواعظ والاعتبار : ١/١٦٧.

(٢) العرب في صقلية : ٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ٦٩.

(٤) المكتبة : ٤٤٤.

الذين شملهم بنواله ،فقد منح أحد منشديه مائة رباعي مكافأة له على احسانه.(١)

وبالرغم من تعدد مصادر الدخل ،وتنوع موارد البلاد ، فلم يستطع الازدهار الاقتصادى زمن الكلبيين أن يغني جميع فئات الشعب ، ويدفعهم الى أبواب الثراء .

أما الطبقة الثرية فيحدثنا عنها ابن حوقل فيقول :

" وأما حال يسارهم فانهم مع قلة مؤنهم ، ونزور نفقاتهم ،وكثرة غلاتهم ليس فيهم رجل ملك الا بدرة عين ،ولا رآها قط عند سلطان ان كان ممن يدخل اليه ، ومحله محل من يؤذن له عليه ".(٢)

---

(١) وفيات الأعيان ١٥٨/٦.

(٢) صورة الأرض : ١٢٣ - ١٢٤.

ومع أن صقلية أحسن حالا في دخولها من بعض الأقطار الاسلامية (١) الا أنها تعرضت أحيانا لحالات من الجفاف ، فقد زارها ابن حوقل سنة ٣٦٢ هـ وقد استحالت الى الجدب (٢) ولكن يبدو أن هذه الحالة طارئة والا فبم نفسر الثراء الذى كان في عهد ثقة الدولة (٣٧٩ - ٣٨٨هـ) وابنه تاج الدولة ،ومن المحتمل أن يعود انخفاض الموارد أحيانا الى الحروب والفتن أو موجات الهجرة من أفريقيا الى صقلية ،والتي تضعف بدورها موارد صقليه ،وتكون عبئا ثقيلا على البلاد ،ومن هذه الهجرات الافريقية هجرة حدثت في سنة ٣٩٥ بسبب مجاعة هائلة ،وقحط شديد ،هلك فيه كثيرمن الناس " فيمم الناس شطر صقليه ،وسارت اليها المراكب يتلو بعضها بعضا ،حاملة جموع اللاجئين من عامة القوم وخاصتهم ،ومن سكان الحواضر والبوادى . فتقبل أمراء صقلية هذه الجموع اللاجئة على الرحب والسعة ،وأفسحوا لهم مكان العيش ،ويسروا لهم أسباب الارتزاق ". (٣)

أما النواحي العمرانية في صقلية ، فقد نالت هي الأخرى اهتمام الأمراء الكلبيين ،ولن ينسى الصقليون فضل العرب على جزيرتهم ، التي ازدانت بالمباني والحصون والقلاع والمساجد والمتنزهات والقنوات الزراعية .

---

(١) الاصطخرى : مسالك الممالك : ٧٠.

(٢) صورة الأرض : ١٢٤.

(٣) المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا : ١٤٥.

ولم يكتف الكلبيون بذلك بل ابتنوا مدينة جعلوها مقرا لهم ولجيشهم ،وبنوا بها مسجدا جامعا صغيرا ،ودار صناعة للبحر والديوان ، وتعرف هذه المدينة بالخالصة.(١)

وقد وصف غوستاف ما بقي من آثار الحضارة العربية فقال : " ولم يبق في صقلية من مباني العرب سوى عدد قليل ،وأشهر هذه المباني قصر العزيزة ،وقصر القبة القائمان بالقرب من بلرم ،ويثبت هذان القصران أنه لم يكن شيء من المبالغة فيما رواه المؤرخون عن فخامة مباني العرب في صقلية ".(٢)

ولم تقف جهود الكلبيين عند بناء القصور والقلاع وتحصين المدن بل شملوا برعايتهم الجوانب الدينية ،فتوسعوا في بناء المساجد حتى هال ابن حوقل كثرة عددها الذي يربو على ثلاثمئة مسجد وقال : " ولم أر هذه العدة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار . . . ولا سمعت من يدعيه الا ما يتذاكره أهل قرطبة من أن بها خمسمائة مسجد ،ولم أقف على حقيقة ذلك من قرطبة وذكرته في موضعه على شك هو فيه ، وأنا محققه بصقلية لأني شاهدت أكثره ".(٣)

---

(١) النويرى : المكتبة : ٤٤١ .

(١) صورة الأرض : ١١٤ .

(٢) حضارة العرب : ٣٣٣ .

(٣) صورة الأرض : ١١٥ .

ولا ريب أن هذا العدد الهائل يدل على النهضة العمرانية الواسعة في زمن الكلبيين . وهو توسع لم يقف عن حد المساجد ، بل تجاوز ذلك الى القصور والمباني الأنيقة " فقد عاش الأمراء الكلبيون عيشة الترف والرخاء في قصورهم الأنيقة في بلرم ،وأنشأوا المجالس الراقية في مدينتهم المزدهرة ".(١)

و للحقيقة نقول إن هذا التطور العمراني قد ترك بصماته على الشعر الصقلي وكثيرا ما نجد الشعراء يتفننون بجمال القصور ، أو براعة النوافير ، أو يصورون افتتانهم بالمتنزهات ،ولا شك أن هذه الصور العمرانية بالتحامها مع جمال الطبيعة رسمت اللوحة الفنية لصقليه ،تلك اللوحة التي حاول الشاعر الصقلي أن يصفها ويتغنى بها .

---

(١) تاريخ العرب مطول ٣/٧١٩ .

الفصل الثالث

مراكز صقلية الثقافي

الفصل الثالث

مركز صقلية الثقافي

عند ما رحل العرب ،وتجاوزوا أسوار جزيرتهم الى شمال أفريقيا ، والاندلس ،وصقلية ، رحلت معهم لغتهم وقيمهم و معتقداتهم وعاداتهم ، و إذا كانت غيرتهم على الإسلام تتمثل في الجهاد في سبيل الله فإن غيرتهم على التراث العربي تتمثل في مراجعته و إحيائه ونشره في مواطن الاغتراب والهجرة ،وعند ما وطئت أقدامهم صقلية ، بادروا بتوطين الثقافة العربية بها كما فعل إخوانهم في شمال أفريقيا والأندلس ، " فمن المعروف أن العرب لم يدخلوا بلدا من البلدان فاتحين الا فتحوه لغويا كما فتحوه سياسيا ،وأبدلوه من لغته الأصلية لغتهم العربية ،وكان القرآن الكريم هو القبس الذى يضيء في أثناء هذا الصنيع ، اذ لقنوه الأمم المغلوبة ، وبثوا في أبنائها إعجابا لا حد له بأدبهم من شعر و نثر ،سواء في ذلك من اعتنقوا دينهم الاسلامي ،ومن ظل على دينه القديم ".(١)

و من حسن الطالع أن تقع صقلية في مكان متوسط بين أفريقيا والأندلس ،وتعاصر مدينتين مشعتين بالثقافة والعلوم : القيروان و قرطبة . و إن كان ارتباطها بالقيروان أقوى وأعمق لاقترانه بالعامل السياسي ،ولأجل هذا بدت وظيفة صقلية تتمثل في نقل الثقافات المختلفة

---

(١) د. شوقي ضيف - ابن زيدون : " نوابغ الفكر العربي " ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، ص ١١ .

بين أفريقيا والأندلس والجسر الذى تعبره الثقافات العربية والأوروبية يضاف إلى ذلك تلك الحضارات العريقة التي تعاقبت على صقلية ، والتي امتزج قديمها بحديثها ، عربيها وعجميها ، يقول د . على الخربوطلي عن هذا الامتزاج : " وهي بحكم مركزها - يقصد صقلية - كانت مهيأة بصفة خاصة لتكون وسيلة لنقل علم العصور القديمة ، والعصور الوسطى . وكان من بين سكانها بعض العناصر الاغريقية العربية الاسلامية التي تتكلم اللغة العربية ، وفريق من العلماء الذين يعرفون اللاتينية ، ومن ثم نقل كثير من الكتب العربية الى اللغة اللاتينية . . . وقد شهدت الجزيرة خلال الحكم العربي امتزاج الحضارات العربية باليونانية وبالرومانية ".(١)

ومن الطبيعي أن سيادة الثقافة العربية في العصر الكلبي والتي بدورها تفاعلت مع الأنماط الحضارية القديمة جعلت صقلية تضاهي غيرها من البلدان من حيث الحضارة العربية " ويعتبر العصر الكلبي الذى سادت فيه الثقافة العربية في هذه الجزيرة هو العصر الذهبي لها ، ذلك العصر الذى بذت فيه صقلية جميع ممالك أوربا من حيث الحضارة والمدنية ".(٢)

واذا كان الكلبيون قد حكموا الجزيرة خمسة وتسعين عاما ،

---

(١) العرب والحضارة : ٣٢٠ .

(٢) تاريخ جوهر الصقلي : ٢٠ .

ثم استثنينا العقدين الأولين من فترة وجودهم في صقلية التي كان شغلهم الشاغل فيها توسيع دائرة الفتح الاسلامي ،فإن الفترة الزمنية الباقية والتي تزيد على سبعين سنة هي الفترة الذهبية للأمة العربية وثقافتها الأصيلة في جزيرة صقلية ، يقول د. كارل بروكلمان :" وفي الحق أن سنوات السلام الثلاث والسبعين التي قدر للعرب أن ينعموا بها في صقلية منذ ذلك الحين كافية لنشر حضارتهم والتمكين من ربوع الجزيرة ،الى درجة بعيدة ، حملت النورمانديين الذين قضوا على الحكم العربي سنة ١٠٦٠م في عهد الكونت رجار على أن يأخذوا عن العرب نظامهم الادارى و يقتبسوا العناصر الأساسية للثقافة الاسلامية في حياتهم الفكرية وفي فنهم أيضا ".(١)

و من المؤرخين العرب الذين سجلوا ملاحظاتهم منذ القدم عن صقلية صاحب الروض المعطار الذى قال : " وكان فيها من العلماء والعباد والفقهاء والشعراء وأعيان الناس ما لا يأخذه عد ولا يأتي عليه احصاء ".(٢)

ولم تقتصر صقلية على تعميق الثقافة العربية ،وتأصيلها في المحيط الصقلي بل لعبت دورا هاما في النهضة الأوربية اذ أنها تعد البوابة الرئيسية الثانية بعد الأندلس التي أمدت الأوربيين بالتراث

----

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ،كارل بروكلمان ٢٤٩.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ نشر أمبرتو ريزيتانو ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ،مجلد ١٢ : ١٥٨/١ ،مايو سنة ١٩٥٦م.

الفكرى والحضارى العربي وهذا ما يراه أحد الباحثين حيث يقول : " أما حلقات الاتصال بين الشرق والغرب ، والطرق التي سلكتها الأساليب الفنية للوصول الى أوروبا فهي الأندلس و صقلية ". (١)

ومادامت صقلية مصدر اشعاع واضاءة لجيلها الصقلي وحلقة اتصال بين الشرق والغرب ، فلنتلمس أسس البناء الفكرى في صقلية ، والتي تمثلت في كثرة المساجد والمعلمين ، وهجرة العلماء والكتب ودفعت الصقليين الى الاهتمام بالدراسات الدينية واللغوية والأدبية والدنيوية ، والتي أتاحت لصقلية أن تكون مركزا ثقافيا مضيئا بين الشرق والغرب في عهد السيادة العربية .

أولا : المعلمون والمساجد :

كان المسجد في القديم يقوم بوظيفتين معا ، وظيفة العبادة ، ووظيفة التعليم وقد كشف لنا الرحالة ابن حوقل في زيارته لصقلية في العهد الكلبي عن كثرة المساجد والمعلمين في مدينتي بلرم والخالصة فقال : " وبصقلية من المساجد في مدينة بلرم والمدينة المعروفة بالخالصة ... نيف وثلاثمئة مسجد ". (٢)

و يشير ابن حوقل استغرابا بهذا العدد الهائل ، والذى لم يشهد له نظيراً الا ما سمعه عن قرطبة ، ولكنه غير متأكد منه فقال :

---

(١) تراث الاسلام ٢/٢ . تأليف جب واخرين ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٦م.

(٢) صورة الأرض : ١١٥ . انظر العرب في صقلية : ٨٧.

" ولم أر لهذه العدة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار التي تستولى على ضعف مساحتها شبها ، ولا سمعت من يدعيه الا ما يتذاكره أهل قرطبة من أن بها خمسمئة مسجد ، ولم أقف على حقيقة ذلك من قرطبة ، وذكرته في موضعه على شك مني فيه ، وأنا محققه بصقلية لأنني شاهدت أكثره ".(١)

ولكن الاستغراب يختفي اذا علمنا أن بناء المساجد صاحب استيطان المسلمين في كل بلد من بلدان صقلية حتى كان القائد يبنى المسجد والمنبر إثر استيلائه على بلد أو حصن ، وهي ظاهرة صاحبت الفتح الاسلامي في الأقطار الأخرى ، لكنها في صقلية أشد وأعنف برسوخ المسيحيين فيها عند الفتح".(٢)

وما دامت المساجد تقوم بمهمة التعليم الى جانب دورها الأساسي ، فليس بمدهش إذن أن تتعدد المساجد في عاصمة صقلية بلرم التي يربو عدد سكانها على ثلاثمئة ألف نسمة أيام الكلبيين (٣) والتي كانت تستقبل طلبة العلم من داخل البلاد وخارجها .

---

(١) صورة الأرض : ١١٥ .

(٢) العرب في صقلية : ٨٧ .

(٣) تاريخ صقلية الاسلامية : ٤٧ .

وفي هذه المساجد كثر المعلمون حتى كان عددهم في بلرم لا يقل عن ثلاثمئة معلم وقد شن ابن حوقل حملة على هوءلاء المعلمين وسخر منهم فقال : " ومن أرث ما رأيته بها وأغثه خمسة معلمين في مكتب واحد يعلمون فيه الصبيان ،شركاء متشاكسون على باب عين شفا يرأسهم شيخ يعرف بالملطاط ".(١)

وأكبر الظن أن فكرة ابن حوقل عن المعلم مستمدة من الصورة الساخرة التي رسمها الجاحظ له ،وهي فكرة وجدت سبيلها الى الأندلس حيث نجدها عند أبي عامر بن شهيد حين يقول في تصوير ثقافة المعلم " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو وحفظ كلمات من اللغة ،يحثون على أكباد غليظة وقلوب كقلوب البعران ،ويرجعون الى فطن حمئة وأذهان صدئة سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص والايقاع ".(٢)

ومما يوءيد وجود هذه الفكرة ،وتخمرها في ذهن ابن حوقل عن المعلمين نعته للمعلمين بالصراع والخباط بصفة عامة لكن معلمي صقلية في نظره أشد وأنكى " والغالب على البلد المعلمون ،

------- -----------

(١) صورة الأرض : ١٢٣. انظر العرب في صقلية ص ٩٠.

(٢) الذخيرة لابن بسام القسم الأول ٢٠٥/١ . والعرب في صقلية : ٨٨.

والمكاتب به في كل مكان ، وهم فيه طبقات ومنازل شتى متباينة من الصراع والخياط على ما يفوق جنون معلمي كل بلد وحمق كل ناحية ".(١)

ويعلل كثرة المعلمين في صقلية بفرارهم من الجهاد ، وذلك أن الجهاد واجب تفرضه طبيعة البلاد ولم يعف منه الا المعلمون فقال: " وليس لهذه العدة بمكان من الأماكن ولا في بلد من البلدان ، وإنما توافرت عدتهم مع قلة منفعتهم لفرارهم من الغزو ورغبتهم عن الجهاد ، وذلك أن بلدهم ثغر من ثغور الروم وناحية تحاد العدو ، والجهاد فيها لم يزل قائما ، والنفير دائما مذ فتحت صقلية ".(٢)

ومهما يكن من أمر - وبغض النظر عن غلو ابن حوقل - فان هذه الكثرة الكاثرة في عدد المعلمين والمساجد والكتاتيب تدل على نهضة علمية واسعة ونشاط تعليمي كبير ، وكان المعلم هو الذى يحمل رسالة التعليم في صقلية مما جعله في موضع تقدير واحترام من الصقليين أنفسهم وهي نظرة تخالف الصورة التي رسمها ابن حوقل مع أنه هو يقول عنهم أنهم يعدونهم " أعيانهم ولبابهم وفقهاءهم ومحصليهم وأرباب فتاواهم وعدولهم ، وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام وتعقد الأحكام وتنفذ الشهادات وهم الأدباء والخطباء ".(٣)

---

(١) صورة الأرض : ١٢٠ . وانظر العرب في صقلية ٨٨ .

(٢) العرب في صقلية ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) المرجع نفسه : ٨٩ .

ولا يخفى ابن حوقل أثر هوءلاء على الصعيد السياسي والوسط الاجتماعي واستحواذهم على الرأى العام وهي اشارة أطلقها في ظل السخرية، لكنها في واقع الأمر تعطي مدلولا آخر هو تعاظم منزلة المعلم في المجتمع الصقلي ،وجرأته في القول حتى ولو مس شخصيته السلطان دل على ذلك قوله "حتى أنهم المتكلمون على السلطان في سيره واختياراته والاطلاق بالقبائح من ألسنتهم بمعايبه ، وإضافة محاسنه الى مقابحه".(١)

ويصف ابن حوقل صبيان المكتب بأنهم كثيرون (٢) وتشير بعض الروايات بشيء من التفصيل أن عدد الطلبة كان يصل أحيانا الى ثمانين طالبا في الحلقة الواحدة وأن هذا العدد كان يضم طلبة من بلدان مختلفة (٣).

واذا استأنسنا بما رواه المازرى عن نفسه في تأليف كتاب "المعلم" قدرنا أن المدرسين كانوا يلقون العلم الى الطلبة املاء ، وأن الطلبة كانوا يدونون ما يلقى اليهم من محاضرات ، والتي تصبح بدورها كتابا ينشر باسم الاستاذ الذى أملى (٤).

وفي هذه المكاتب وفي حلقات الشيوخ والمساجد كان الصقلي يتلقى علومه الأولى ،فاذا نزعت به في مستقبل حياته نزعة علمية ،

---

(١) صورة الأرض ١٢٠ . والعرب في صقلية ٨٩ .

(٢) صورة الأرض ١٢١ .

(٣) ابن الأبار ،التكملة رقم ١٥١٢ ،والعرب في صقلية : ٩١ .

(٤) ابن بشكوال ـ الصلة رقم ٣٥١ . نقلا عن العرب في صقلية ٩١ .

غادر صقلية الى المشرق فدرس على أساتذة مشهورين ،ورجع يحمل اجازات كثيرة ،أو كاتب هؤلاء الأساتذة دون أن يرحل ،واستجازهم كتبهم ، أو طمح الى زيارة الكعبة فالتقى في رحلته بالشيوخ المشهورين ،فسمع منهم وتلقى عنهم ،وعاد الى بلده فزادت الرحلة من مكانته ،وقصده الناس لعلمه ».(١)

وهكذا يؤدي المسجد والمعلم دورهما في نشر الثقافة والقيام بدور التعليم في صقلية ،وهذا التهافت الى حلقات الدرس من قبل طلبة العلم أفضى الى جيل صقلي جعل من صقلية مشعلا من مشاعل الحضارة متوهجا بالدراسات الدينية والعربية والدنيوية ،والتي أعطت بعدا ثقافيا بالمنظور الاسلامي والأوربي .

ثانيا : الهجرة العلمية :

تنامت الثقافة الأصلية وازدهرت ،وصبت في مجراها روافد جديدة ، فبالإضافة الى نشاط الحركة التعليمية في الجزيرة ،ودورها في تنشئة أجيال تشب على حب العلم وطلبه ، غذت الهجرة العلمية هذه الروح العلمية وأذكت روح التنافس بين الشرائح المتعلمة ، ولقد أفضى موقع صقلية المتوسط بين نهضتين متعاصرتين في شمال أفريقيا والأندلس الى استفادتها من حركة السفر والترحال بين القيروان وقرطبة ،

----

(١) العرب في صقلية : ٩١ .

والتي تتخذ في الغالب صقلية طريقا لها . ولا ريب أن القيروان كانت سراجا منيرا فقد كانت "دار العلم بالمغرب اليها ينسب أكابر علمائه، واليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه وذكر علمائه، ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتبا مشهورة ككتاب أبي محمد بن عفيف، وكتاب ابن زيادة الله الطبي وغيرهما من الكتب، فلما استولى عليها الخراب، تفرق أهلها في كل وجه فمنهم من قصد بلاد مصر، ومنهم من قصد صقلية والأندلس".(١)

أما الأندلس فلا تقل وزنا عن بلاد المغرب إذ أنها تزخر بالعلماء والمفكرين وبدا التنافس جليا بين أبنائها في التهافت على التحصيل، وعلى أعلى المستويات وامتلأت خزائن الموسرين بالكتب التي تحمل صنوف العلم والمعرفة، فقد "أنشأ الأندلسيون في كل ناحية المدارس وخزائن الكتب، وأقاموا في العواصم الجامعات التي كانت وحدها مواطن العلم في أوربا زمنا طويلا ... حتى أصبحت قرطبة مدة ثلاثة قرون أكثر مدن العالم القديم نورا، وكانت حضرة ملوكها، وقصور خلفائها لكثرة عنايتهم بالعلم وحرصهم على استجلاب العلماء اليها من كل فج وصوب أشبه بمجامع علمية، وقاعات خزائن كتبهم كأنها دور محكمة، فيها معامل كبيرة، خصت بالنساخين والمجلدين والمذهبين والنقاشين، ومن خزائنهم ما كان جرائد أسمائها تستغرق عشرات من المجلدات".(٢)

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب : ٣٥٦.

(٢) الاسلام والحضارة ١/٢٦٢.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات المتداخلة اذ ما فتئت قوافل الطلبة والعلماء صادرة وواردة عبر صقلية ، وربما أقام بعض العلماء في صقلية لتمتعها بمناخ سياسي شبه مستقر في ظل ولاية الكلبيين ، وخصوصا عندما تعصف ببعض مراكز الثقافة عواصف سياسية أو طبيعية ، فيتخذون من صقلية ملاذا لهم ، وأحيانا تتوق نفس العالم الصقلي الى الاستزادة بالعلم فيشرق أو يغرب لاشباع نهمه العلمي ، ومن هؤلاء أبو عبدالله محمد بن عيسى بن مطر المعلم في مسجد الزهرى بالسماط ، فقد رحل نحو المشرق وكتب الحديث ، ومثله أبو الحسن علي بن بانه المعروف بابن ألف سوط (١) . وقد وصف هذا التداخل في الهجرة واستفادة صقلية من ذلك أحد الباحثين فقال " وكانت النخبة الحاكمة من الأغالبة والكلبيين تضم أشخاصا لم يكونوا رعاة للأدب فحسب ، بل كانوا هم أنفسهم أيضا كتابا وعلماء مبدعين . وكانت صقلية مأوى أمينا يلجأ اليه العلماء المضطهدون في شمال أفريقيا ، ومن ناحية أخرى كان علماء صقلية يرحلون أثناء فترات الاضطراب الى شمال أفريقيا أو مصر ، لا بل انهم كانوا يرحلون الى جهات أبعد شرقا طلبا للعلم أو لتأدية فريضة الحج . وقد استفادت صقلية في القرنين الرابع والخامس للهجرة على وجه الخصوص من التيارات الفكرية الكبرى التي نمت في القيروان ".(٢)

----

(١) صورة الأرض : ١٢١ .

(٢) تاريخ صقلية الاسلامية : ٤٩ .

وفي القرن الرابع وفد على صقلية عالم من علماء المشرق ذلك هو علي ابن حمزة اللغوى الذى احتضنته بلرم وتوفى بها سنة ٣٧٠ هـ وكانت بعض كتبه ردودا على العلماء كالرد على ابن السكيت في اصلاح المنطق والرد على الجاحظ في الحيوان ،والرد على ثعلب في الفصيح (١) . وفي تلك الحقبة عرفت صقلية ديوان المتنبي ،ولا يستبعد أن يكون هو الذى قام بتدريسه لطلبة العلم. ومن المحتمل أن تكون دواوين كثيرة قد أخذت سبيلها الى صقلية ذلك أن المادة المغناة مادة شرقية ،فقد كان المغنون يغنون أشعارا لقيس بن الخطيم ،وابن الرومي ،وذى الرمة ،وسحيم عبد بني الحسحاس ،وكثير عزة و جميل والشريف الرضي وغيرهم. (٢)

---

(١) العرب في صقلية : ٩٣.

(٢) نفس المصدر : ٩٤.

وعندما رحل ابن عبد البر الصقلي الى المشرق كان كتاب "اليتيمة" للثعالبي أحد مروياته عن شيخه أبي محمد اسماعيل بن محمد النيسابورى، وتلقاه عنه في صقلية تلميذه ابن القطاع (١)، ودخلت "المدونة" في الفقه المالكي عند فتح صقلية أو قريب منه، وكان كل نشاط الفقهاء يدور حولها اختصارا أو شرحا، أو بيانا، لما فيها من غريب، أو نسجا على منوالها وظل الأمر كذلك حتى اخر أيام العرب في صقلية .

ومن الطبيعي أن الموطأ كان يدرس في صقلية، ولذا شاع عندهم نطقه بدون همز كما كانوا ينطقون "الملخص" بفتح الخاء والصواب كسرها ورد في تثقيف اللسان، (٢)

---

(١) بدائع البدائة على هامش معاهد التنصيص : ١/٩٢، نقلا عن العرب في صقلية: ٩٢.

(٢) العرب في صقلية : ٩٣ .

ولا نريد أن نتوسع في هذا الباب وإنما نرجئه في مكانه المناسب ، وبالجملة فان هاتين الدعامتين - المعلمون والمساجد والهجرة العلمية - وربما يضاف بعض عناصر الفتح الاسلامي التي واجت صقلية ،قدأسهمت الى حد كبير في بناء صرح الثقافة الصقلية ،والتي دارت على ثلاثة محاور، دراسات دينية ،ودراسات لغوية ،ودراسات تتعلق بالعلوم الدنيويـــة كالطب والهندسة ونحوها ،وسنتناول هذه الجوانب الثلاثة مشيريـــن الى جهود العلماء الصقليــن أوالوافدين في إثراء هذه العلوم فـــي جزيرة صقليه .

أ - الدراسات الدينيـة :

أخذت العلوم الدينية في صقلية تستحوذ على اهتمام الصقلييـــن وعنايتهم فقد انصرفوا الى كتاب الله حفظا وقراءة وتفسيرا ،وكانت لهم في الحديث آثار جليلة وألف كثير منهم في القراءات ،ورحلوا الى البلاد المجاورة كمصر والاندلس لما انتشر عقد الجزيرة فكانوا فيها موضع الاكبار والاجلال (١) لكن جهودهم في مجال الفقه كانت أبرز من غيرها . ففـي الدراســة الفقهيـة اعتمد الصقليون على المذهب المالكي .

----

(١) المقتطف : م ٦٢ ، يناير الى يونيو سنة ١٩٢٣ (المدينـــة العربية) ص ١٤٦ .

"والذى استطاع أن ينشر ظله على أفريقيا فقد "كان يغلب على أفريقية في القديم مذهب الكوفيين ومذهب الأحناف ، ثم أخذ جماعة ممن درسوا مذهب مالك يحاولون نشره ، ولكن هذا المذهب لم يستطع أن يبسط ظله على أفريقية إلا أيام أسد بن الفرات وسحنون اللذين استمدا ثقافتهما الفقهية من المشرق" (١) ، ومن الآثار العلمية التي ورثها أسد للصقليين كتاب (المسائل الأسدية) التي درسها الصقليون وأخذوا عنها (٢) .

ويرى د. احسان عباس "أن أصحاب سحنون هم الذين نشروا مذهب مالك في صقلية . فكان عبدالله بن حمدون (أو حمدويه) الكلبي الصقلي أحد من سمع منه (ت سنة ٢٧٠هـ) من أوائل فقهائها ، وكان من أصحابه أيضا دعامة بن محمد الفقيه الذى ولى القضاء لبني الأغلب ، ومنهم أيضا محمد بن ميمون بن عمرو الأفريقي قاضي القيروان أولا ثم قاضي صقلية (٣٢٠هـ) ، وكان لقمان بن يوسف الغساني يدرس المدونة ويأخذها في اللوح مدة أربع عشرة سنة أقامها في صقلية ، ويقال أنه كان عالما

----

(١) العرب في صقلية : ٩٥
(٢) تاريخ صقلية الاسلامية : ٥٣ .

باثني عشر صنفا من العلوم" (٣١٩هـ).[١]

ومن العلماء الذين أرسوا دعائم المذهب المالكي في صقلية القاضي سليمان بن سالم القطان المعروف بابن الكحالة "من أصحاب سحنون.. كان ثقة، كثير الكتب والشيوخ. وله تاليف في الفقه، وتعرف كتبه بالكتب السليمانيه... وتولى قضاء صقلية فخرج اليها ونشر بها علما كثيرا.. قال الشيرازى: وعنه انتشر مذهب مالك بها".[٢]

ولا ريب أن جهود هوءلاء كانت واضحة في نشر المذهب المالكي في الجزيرة لكن هناك من يرى نقيض ذلك، فقد أفادت بعض الروايات أن الغالب على أهل صقلية اتباع مذهب أبي حنيفة وصاحب هذه الرواية هو المقدسي [٣]. والمعروف أن المقدسي قد ألف كتابه هذا بعد ظهور الدعوة الفاطمية في افريقيا فكيف نوفق بين المذهبين.[٤]

والذى نظنه أن المذهب المالكي كان قويا ومستحكما في الأوساط الافريقية والصقلية إبان حكم الأغالبة، وفي ظل مدرسة أسد بن الفرات وسحنون، فلما حل الفاطميون محل الأغالبة، أخذ هذا المذهب في الانحسار في أفريقيا، وربما كان في صقلية أقلية من أتباع أبي حنيفة فلما ضعف المذهب المالكي ظهروا على غيرهم، وربما لجأ المالكيون

---

(١) العرب في صقلية : ٩٥، ٩٦.
(٢) تراجم أغلبية : ٢٢٠، ٢٦١. وانظر الشعر العربي في صقلية ٨٥.
(٣) أحسن التقاسيم : ٢٣٨. في المكتبة الصقلية.
(٤) العرب في صقلية ص ٩٦.

الى مذهب أبي حنيفة فرارا من ترك السنه لأن بني أبي عبيد كانوا متسامحين مع الأحناف متشددين مع المالكية (١) ولكن يبدو أن هذا الفتور الذى لحق بالمذهب المالكي في صقلية كان مرحليا ، فلما ولي الأمر الكلبيون لم يتدخلوا في شئون الناس المذهبية ، وبالتالي أخذت مدارس الفقه المالكي يشتد ساعدها مرة أخرى . ولم تكن صقلية قد شهدت تعصبا مذهبيا أفضى الى خلافات مذهبية في الفترة التي خضعت فيها للفاطميين بين دعاة الشيعة وأنصار السنة كما ذهب د . أمبرتوريزيتانوا اذ يقول : " أما في عهد الأئمة الفاطميين فكانت صقلية تنعكس عليها الاضطرابات السائدة في افريقية ،والخلافات الدينية التي قامت في القيروان ،فأصبحت صقلية ميدانا للشقاق الذريع بين أنصار سنة النبي ودعاة الشيعة ،أى بين الجموع العربية التي كانت قوام الدولة الأغلبية ،والعناصر البربرية التي كانت ترى أنها هي أقطاب الدولة أيام الفاطميين ". (٢) ويبدو أن هذا الرأى لا يخرج عن دائرة الغلو "فبلاط صقلية - وصاحبه فاطمي الهوى - كان يؤوى الفقهاء الذين يميلون الى بني عبيد أو الذين لا يقفون منهم موقف المتشددين . ولم يصل به التعصب الى محاربة المذهب المالكي في صقلية عموما ،حتى أن العلماء المتساهلين في المذهب لم توصد أبواب الكلبيين في وجوههم ،فعندما كره علماء القيروان المتشددون

---

(١) العرب في صقلية : ٩٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في صقلية : ٥٣ .

البرادعي (خلف بن أبي القاسم الأزدي) لأنه كان يصحب سلاطين القيروان ولأنه - فيما يقال - تمثل في بعض كتبه مشيرا الى العبيديين:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنـــا

وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وأفتوا بطرح كتبه [1] خرج الى صقلية ،وقصد أميرها ونال عنده حظوة وهذه بادرة تدل على ترحيب البلاط الصقلي بمن كان يسالم المذهب والسياسة الفاطمية [2].

وقيل إن سبب كراهية خصوم الفاطميين له ، تأليفه كتابا في تصحيح نسب الفاطميين بعدما جمع الخليفة القادر بالله العباسي علماء النسب والعلويين والقرشيين فأجمعوا على أن الفاطميين ليسوا من قريش ولا من غيرهم من العرب ،وإنما هم من ذرية ميمون القداح الأنصاري من يهود سلمية [3] وإذا صحت هذه الرواية فتدل على مرونته المذهبية وعدم التعصب للفقه المالكي ،وتدل أيضا على تقريب الفاطميين لكل من سالمهم مع اختلاف المذهب .

وفي صقلية ألف البرادعي جميع كتبه ومن أشهر هذه الكتب التي وصلت " كتاب تهذيب المدونة " أو " كتاب التهذيب في

---

(١) ابن فرحون ،الديباج المذهب : ١١٢ .

(٢) العرب في صقلية ٩٧ .

(٣) معالم الايمان ٣/١٨٨ .

اختصار المدونة الذى ألفه في زمن حكم الكلبيين لصقلية سنة ٣٧٢ هـ واتبع فيه طريقة شيخه ابن أبي زيد في اختصاره للمدونة . الا انه حذف ما زاده شيخه.(١)

ويحدد الموءلف الغاية من تأليف هذا الكتاب ،وأنه قصد به التيسير على طلبة العلم فيقول :(٢) " هذا كتاب قصدت فيه الى تهذيب مسائل المدونة ،والمختلطة خاصة دون غيرها ،إذ هي أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين ،واعتمدت فيها على الايجاز والاختصار ، دون البسط والانتشار ،ليكون ذلك أدعى لنشاط الدارس ،وأسرع لفهمه ،وعدة لتذكرته .. وجعلت مسائلها على التوالي حسبما هي في الأمهات الا شيئا يسيرا قدمته أو أخرته ،واستقصيت مسائل كل كتاب فيه ، خلا ما تكرر من مسائله أو ذكر منها في غيره ،فاني تركته مع الرسوم وكثير من الاثار كراهية التطويل".

وقد امتدح هذا الكتاب صاحب الديباج فقال(٣) " وطارت هذه الكتب بصقلية وذكر أن المناظرة في جميع حلق بلدانها إنما كانت بكتاب البرادعي التهذيب ".

وقد امتدح هذا المختصر ابن ناجي بقوله : ومن ينظر مدونة سحنون الذى هو اختصارها يعلم فضيلة البرادعي في اختصاره ".(٤)

----

(١) صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط : ١٨٣ .
وانظر العرب في صقلية ٩٧ .

(٢) البرادعي : تهذيب المدونة (نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٤٠٥ فقه مالكي) الورقة الأولى .

(٣) الديباج المذهب : ١١٣ .

(٤) معالم الايمان : ٨٤/٣ .

ومع هذا الثناء فقد ألف الفقيه الصقلي عبدالحق بن محمد كتابا اسمه (استدراك على مختصر البرادعي) انتقد فيه تهذيب البرادعي ، وبين أوهامه على المدونة «ولم يتكون لصقلية مدرسة فقهية من أبنائها الا في أواخر القرن الرابع حين نجد أمثال الحصائرى ، وأبي بكر الصقلي الفرضي الذى كان عليه اعتماد الطلبة الصقليين في دراسة الفرائض ، وأبي بكر بن أبي العباس الفقيه الذى كان يشتغل بالتدريس ، وكل هوءلاء استمدوا ثقافتهم من أساتذة غرباء في صقلية أو غيرها ، ثم كان لهم الفضل في تخريج أكبر فقهاء صقلية ومحدثيها في القرن الخامس ، فمن تلامذتهم ابن يونس ، وعبد الحق الصقلي والسمنطارى . وعلى يد هوءلاء تخرج متأخروا الفقهاء الصقليين الذين أدركهم الفتح النورماني ، ومنهم من بقي في صقلية كابن الحكار الصقلي وابن مفرج وابن الكلاعي وابن القابلة ومنهم من رحل عن صقلية عند الفتح النورماني كأبى الحذاء القيسي الصقلي ، وأبى البهاء عبد الكريم بن عبدالله بن محمد المقرىء وأبي القاسم السرقوسي» (١) .

---

(١) العرب في صقلية ص ٩٨ وانظر مراجعه .

ولا شك أن هذه الدراسات الفقهية في صقلية قد انعكست بدورها على الأسلوب الشعري الصقلي ، ولم تكن بمعزل عن ثقافة الشاعر المستمدة من البيئة وهذا ما يفسر ظهور بعض المصطلحات الفقهية على سياق

" ويبدو أن عناية العلماء ودراستهم فاقت في الفقه سائر فروع الدراسات الدينية . فلم يلق الحديث والتفسير والقراءات نفس العناية التي توج بها الفقه . وما لدينا لا يعدو أن يكون إشارات وتلميحات كقولهم مثلا "إن عمار بن المنصور الكلبي كان ذا يد في الفقه والحديث" [1].

وما قيل عن الحديث يقال عن القراءات ، مجرد اشارات قليلة ،

---

(١) العرب في صقلية ص ٧٦.

لا تدل على طويل باع الصقليين في هذا الفن ،ومن تلك الإشارات ما ورد في ترجمة محمد بن خراسان أبو عبدالله النحوى الذى سكن صقلية ،وتصدر للاقراء ،وأبوه مولى لبني الأغلب " سمع بمصر محمد بن بدر القاشي ،ومروان بن عبد الملك بن بحر بن شادان المكي وأحمد بن مروان المالكي ،وأخذ القراءة عرضا عن المظفر بن أحمد بن حمدان وسمع من أبي جعفر أحمد بن محمد بن النحاس ،وحدث بصقلية ،سمع عنه يوسف بن أبي حبيب بن محمد ،وخرج عنه في شرح الشهاب لـه ، وسمع منه بها أيضا أبو الحسن غيلان بن تميم الفزارى ومات بصقلية سنة ٣٨٦هـ".(١)

والظاهر أن الدراسات القرانية نشطت في القرن الخامس ،وبرز صقليون مهاجرون في الأندلس منهم اسماعيل بن خلف الصقلي المقرى (٤٥٥هـ) وأبو بكر الصقلي الذى قام بتعليم القران في قرطبة حتى ٤٦٠ هـ.(٢)

---

(١) انظرا المقفى للمقريزى في المكتبة الصقلية : ٦٦٥.والعرب في صقلية ١٠٤.

(٢) صقلية وعلاقاتها بدول البحر الأبيض المتوسط : ٢٢١.

ب - العلوم اللغوية والأدبية والنقدية :

عندما تفشى اللحن في اللسان العربي في صقلية ، وخشي الغيورون من فساد اللغة ،هب الحريصون من العلماء على رتق فتق اللسان ، ورأب تصدع اللغة ،فأولوا الدراسات اللغوية عنايتهم ، وشرق أبناء صقلية المخلصون وغربوا في سبيل تقوية دعائم المدرسة اللغوية التي تحفظ اللسان من الخطأ وتعيد اليه عافيته . ولقد أفضت هذه الجهود اللغوية الى تأسيس مدرسة لغوية لا تقل عن مدرسة صقلية الفقهية ، التي نالت شهرة واسعة .

وليس بمدهش حقا أن ينزعج العلماء من استشراء اللحن ، فقد بلغ مداه حتى على مستوى أئمة المساجد وخطبائها في صقلية ،وعندما رحل ابن حوقل الى صقلية رسم لنا صورة من هذه الأخطاء فقال : " ولقد رأيت ولدا كان لاسحاق بن الماجلى المعلم القاضي . . . يخطبهم حولين ، يجزم الأسماء مع الصلة ،ويجر الأفعال من أول خطبته الى آخرها . وخاطبت أديبا كان من أهلها يسعى ويدعي الدراية بجميع الأحوال ،وقد نصب هذا الخطيب ما لم يسم فاعله أو رفع منصوبا ،وأظنه كان مفعولا به ،فقلت: أما سمعت الخطيب ؟ وما كان منه ؟ وذكرته له ،وقد ذهب عني اللفظ فقال : كأنه والله يا سيدى كما تقول ، غير أنا نحن لا نأبه لمثل هذا.(١)

---

(١) صورة الأرض : ١٢١ . انظر العرب في صقلية ١٠٦ .

ويبدو أن نواة هذه المدرسة اللغوية قد بدأت مع بداية فتح الأغالبة للجزيرة لكنها لم تبرز الى حيز الوجود الا في نهاية القرن الرابع، وأوائل القرن الخامس. وتشير المصادر الى أن من أوائل اللغويين الذين قدموا الى صقلية أبو سعيد بن غورك العالم بالقرآن، ولكن شهرته في النحو طغت على سائر معارفه، وكان قد صحب أبا الأغلب إبراهيم بن عبدالله من القيروان، واستقر معه في صقلية وكان الأمير ذا سخاء وكرم فاستفاد هذا من وجوده وسخائه حتى أغناه وأغنى عقبه.(١)

وممن صحب إبراهيم الثاني الأغلبي من القيروان إلى صقلية إسماعيل ابن يوسف القيرواني النحوى المعروف بالطلاء المنجم، وكان عالما بالعربية، وشهد مع الأمير معركة المجاز وفتح طبرمين.(٢)

ووفد على القيروان علماء صقليون نهلوا من منبعها اللغوى، وبالتالي أثروا الدراسات اللغوية في صقلية، منهم الشيخ أبو بكر محمد بن على بن الحسن بن البر الذى درس وتتلمذ على يد أبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بالقزاز (ت سنة ٤١٢هـ) وقد كان إماما في اللغة والنحو وله عدة مصنفات(٣)، وممن أخذ عن ابن البر وأكثر تلميذه "على بن جعفر بن علي السعدى المعروف بابن القطاع اللغوى الصقلي- نزيل مصر- وكتاب الصحاح بمصر لا يروى الا من طريق ابن البر هذا".(٤)

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٥١ ومابعدها.

(٢) انباه الرواة ٢٣٦/١.

(٣) تثقيف اللسان : ٨٤.

(٤) انباه الرواة : ١٩٠/٣.

ويعد ابن البر [١] رائد المدرسة اللغوية في صقلية ، وشيخها بلا منازع درس اللغة على جماعة من اللغويين منهم النجيرمي ، وأبوسهل محمد بن المروزي ، وصالح بن رشدين وعلى هذا الأخير سمع شعر أبي الطيب المتنبي ، ولقي القاضي أبا محمد عبد الوهاب بن علي [٢] ، ويبدو أنه تزود بقدر كبير من العلم في مصر حتى أصبح أحد الأئمة في علم العربية واللغة والآداب وجمع الى ذلك جودة الضبط ، وحسن الخط ، وشهد له مترجموه بأن كل ما وجد له من تقييد في غاية الإفادة والإمتاع" [٣] .

ويحدثنا أبو طاهر التجيبي البرقي - شارح كتاب المختار من شعر بشار - أنه اتفق معه على مغادرة مصر معا من الاسكندرية الى المغرب في أوائل القرن الخامس الهجري فقال : [٤] " كان أبو بكر محمد بن الحسن التميمي الفوثي عقد لي على نفسه بمصر سنة ٤١٥ هـ أنه يسافر معي في بعض المراكب من الإسكندرية الى المغرب وفارقته على ذلك وانحدرت الى مدينة الاسكندرية ، واتفق لي بعد مفارقتي أن صحب فتيانا من أهل القيروان ،

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن البر التميمي الفوثي ، ولد بصقلية ، ثم رحل عنها في طلب العلم الى المشرق وروى كثيرا من اللغة . انظر انباه الرواة : ٣ / ١٩٠ .

(٢) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار : ٣٦٧ .

(٣) العرب في صقلية : ١٠٩ .

(٤) شرح المختار وشعر بشار : ٣٠٦ .

فألفهم وآثر صحبتهم يسهل عليه حل ذلك العقد . وقدر أن أقلعنا من الاسكندرية في يوم واحد بريح طيبة شرقية ،وتغيرت من بعد فدخلنا مرسى يعرف بمرسى الشقراء ،وأرست السفينة التي هو بها قريبا من سفينتنا فنظرت نحوها فرأيته وهو يشير الّي بالسلام فرددت عليه إشارة وحركني صنيعه فصنعت بديها أبياتا أنفذتها اليه ،والتقينا بعد الوصول بمدينة المهدية فقضى كل واحد منا من حق صاحبه ما انبغى له أن يقضيه" ثم استقر في نهاية المطاف في مازر بصقلية ،وذاع صيته في الافاق ، وتهافت عليه طلبة العلم ،ينهلون من مدرسته اللغوية . وينتفعون من علمه الجم.

ويفسر هذا مدى الضعف الذى احق باللغة ،مما حدا بالمخلصين من علماء العرب الى تدارك ذلك والتنبيه عليه .

ولقد عكست مرآة الشعر هذه الجهود اللغوية ،وبدت هذه المصطلحات تعلق بالأسلوب الشعرى عند الصقليين ، وقد يستلهم أحيانا الشاعر بعض صوره من حروف المعجم العربي .

أما الدراسات الأدبية في صقلية فقبل العصر الكلبي لا نجد ما يشار اليه بالبنان . فلم يحفل ساق الأدب ،ولم نسمع شعرا صقليا في مدة خمسة وثمانين عاما طواها بنو الأغلب في فتح الجزيرة وحكمها ويعلل الدكتور احسان عباس هذه الظاهرة بقوله (١) : " واذا وجد شعراء في هذه الفترة فانهم إفريقيون ،يوجه عواطفهم معنى الغربة أولا وطبيعة الجهاد ثانيا . أما الغربه فلا بد أنها بعثت في نفوسهم الحنين الى مواطنهم الأولى ،وتمثل هذا الحنين في قصائد ورسائل شعرية بعثوا بها الى أهلهم وأصدقائهم في الوطن ، وأما الجهاد فلا بد أنه أذكى روح الحماسة من ناحية وروح الحزن على من أكلتهم الحرب من ناحية ثانية ،- ويضيف قائلا - ولا يمكننا القول بخلو صقلية من كل شعر فذلك مناف لطبيعة الأشياء في حياة الناس . ولدينا من أمثلة هذا الشعر قصيدة لأسير أغلبي اسمه مجبر بن إبراهيم بن سفيان ،ومطلعها :

ألا ليت شعرى ما الذى فعل الدهر

باخواننا يا قيروان ويا مصر ."

----

(١) العرب في صقلية : ١٧٩ .

والدكتور إحسان عباس يرى أن الشعر إنْ وجد فهو قيرواني الجنس ولا يمثل الروح الصقلية ونحن نظن أن ندرة الشعر الصقلي في هذه الفترة يمكن عزوها الى العامل السياسي ذلك أن صقلية في عهد الأغالبة تعد ثغرا من ثغور الدولة العباسية لارتباط الأغالبة بالعباسيين ولذلك لم تكن صقلية أرض استقرار بالنسبة للمسلمين حتى ينمو فيها الشعر ولكن لما انفصلت صقلية عن بني العباس وولاتهم من الأغالبة ، وتبعت العبيديين وولاتهم من الكلبيين أصبحت أرض استقرار لهم ونشأ جيل ارتبط بصقلية أرضا وثقافة وبالتالي بدت الروح تذكي تيار الشعر الذى تعهده الكلبيون ورعوه ،ونظرا لمحدودية الفترة التي قضاها الكلبيون والتي تقدر بسبعين عاما- وذلك إذا حذفنا السنوات الأولى من حكمهم لانشغالهم بالفتح والقضاء على الفتن - فإنّ دور الأدب كان امتدادا للتقاليد الشرقية فحسب ،ولما كان الأدب معتمدا على هذه الدراسات الشرقية اقتصر همهم على الابداع دون الاهتمام بالتأليف ،أما الدراسات النقدية فقد كانت صقلية متأثرة الى حد كبير بمدرسة القيروان النقدية ، والتي تتضح صلتها بالشعر الصقلي في فصل معقود في هذا الشأن وسيأتي فيما بعد ،ويبدو أن مدرسة القيروان بشيوخها ومؤلفاتها التي غذت سنابل الشعر الصقلي قد حجبت الصقليين عن التطلع الى التأليف في هذا الجانب النقدى .

ج - العلوم الدنيوية :

أولى الصقليون العلوم التي لها مساس بالحياة عنايتهم واحترامهم. ففي مجال التاريخ ألف أحد النصارى أو ابن أحد النصاوى الصقليين في عهد الكلبيين ما يسمى بتاريخ كمبردج ، والذى يعد مصدرا مهما لتاريخ صقلية (١) كما أورد صاحب كشف الظنون كتابا في تاريخ صقلية من تأليف ابي زيد الغمارى . (٢)

أما في الجغرافيا فيبدو أن عصر الكلبيين لم ينضج فيه هذا الفن إلا بعدهم عندما ألف الشريف محمد بن محمد الادريسي الصقلي كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك مستوفية وقاس المسافات بينهما بالميل والفرسخ . (٣)

وفي الطب أشارت المصادر إلى عدد من الأطباء الصقليين مثل محمد بن الحسن الطوبي (٤) الذى أربى في الطب على يوحنا بن ماسويه (٥) كما يقال .

---

(١) تاريخ صقلية الاسلامية : ٥٢ .

(٢) كشف الظنون ٢/ ٣٥ .

(٣) نفس المصدر ٢/ ١٩٤٧ .

(٤) خريدة القصر . قسم شعراء المغرب : ١/ ٥٥ .

(٥) انباه الرواة : ٣/ ١٠٧ .

ومنهم أيضا "أبو عبدالله الصقلي . وكان يتكلم باليونانية ويعرف أشخاص العقاقير والأدوية "(١) وقد تعاون هذا الطبيب مع علماء أندلسيين في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في تفسير المجهول من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الذى كان مكتوبا باللغة اليونانية. وأكبر الظن أن هجرته للأندلس كانت في حدود سنة ٣٤٠ هـ.(٢)

وممن ألف في الطب من الصقليين أبو سعيد بن ابراهيم المغربي الصقلي مؤلف كتاب (المنجح في التداوى من صنوف الأمراض والشكاوى) وله في أوله كلمة يقول فيها : " ثم إنه لما كانت طبائع الأمراض والأشخاص والأعضاء مختلفة لم تتم المداواة لكل مريض ولكل مرض ولكل عضو بدواء واحد معلوم ،إذ كانت في كل دواء من الأدوية قوى كثيرة مختلفة لا توافق المرض الواحد من جميع جهاته ،فيحتاج الطبيب لذلك الى أدوية كثيرة مختلفة المزاج والقوة ،نافعة من مرض واحد ليختار منها الأليق

---

(١) عيون الانباء في طبقات الأطباء : المكتبة : ٦٢٢.

(٢) نفس المصدر .

لغرضه ،والأصلح لمقصده ،بحسب ما يراه من الأسباب الحاضرة ". (١)

ولقد أسست هذه الحركة الطبية في صقلية قاعدة الطب العربي في العصور المتأخرة إذ قيض الله لهذا الفن أحد الصقليين فترجمه الى اللسان اللاتيني ذلك هو قسطنطين الصقلي "الطبيب المعلم الذى نقل الى الغرب كتب الطب والحكمة ،فترجمها للسان اللاتيني ،وجمع حولها رواد المعرفة ،والراغبين في العلم فأسس لهم (مدرسة سالرنه) التي كانت أول مدرسة من نوعها في أوربا ،والتي كانت مبعث أنوار الطب الحديث في العالم الغربي بأسره ،والتي بقيت عدة قرون حاملة راية الطب ،و يتبع طريقتها التي سنها قسطنطين كل علماء أوربا وجامعاتها". (٢)

وإذا تطرقنا الى الهندسة والتنجيم فهناك صقليون لمعت أسماؤهم في هذا المجال منهم أبو عبدالله محمد بن عيسى الفقيه الذى كان شاعرا و مهندسا ومنجما (٣) وأبو عبدالله الصقلي من أصحاب العلم بعلمي الهندسة والنجوم ، ماهر فيهما قيم بها ، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامها " (٤) و منهم أيضا أبو عبدالله محمد بن الحسن بن القرني الكاتب ذكر أنه منجم حاسب (٥) كما ذكر أبو حفص عمر بن الحسن بن الفوني بأنه منجم. (٦)

---

(١) المدنية العربية في صقلية ،ص ٣٢٢ مقال في المقتطف مجلد ٦٢ يناير سنة ١٩٢٣.

(٢) المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا : ٢٠٠.

(٣) خريدة القصر - قسم شعراء المغرب ٣٤.

(٤) تاريخ الحكماء (وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء باخبار الحكماء) : ٢٨٩ ط. مكتبة المثنى بغداد.

(٥) الخريدة - قسم شعراء المغرب ١/٩٦.

(٦) خريدة القصر - قسم شعراء المغرب : ١٠٤.

وممن رحل الى مصر من المهندسين الصقليين أبو محمد عبدالكريم الصقلي ،الذى لازم خدمة الحاكم الى أن أمر بكسر (الرصد) وحمل الى المناخات وتفرق المستخدمون (١) .

ويصف المؤرخ سكوت طريقة الصقليين في رصد حركات الأجرام مستعينين بالات معينة فيقول (٢) : " من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكي العربي يرقب حركات الأجرام ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ، ومواقع النجوم ،مستعينا على ذلك بآلات اخترعت عن حوض الوادى الكبير ،وعند نهر دجلة وبزيجان كتبت في سهول بابل قبل المسيح بقرون" .

أما في مجال الفلسفة فهناك إشارات تدل على شيء من الثقافة الفلسفية التي أخذت طريقها الى صقلية . فقد حدثنا أحد المصادر أن سعيد بن فرحون بن مكرم التجيبي القرطبي المعروف بالحمار السرقسطي دخل صقلية إثر محنة أصابته في زمن المنصور بن أبي عامر ،ومكث فيها الى أن توفى ،وكان يضيف الى معارفه في اللغة والنحو والموسيقى معرفة فلسفية منطقية ،فهو صاحب رسالة حسنة في المدخل الى علوم الفلسفة سماها " شجرة الحكمة " ورسالة في تعديل العلوم ،وكيف درجت الى

---

(١) الخطط والاثار للمقريزى : في المكتبة : ٦٦٩ .

(٢) Scott. : Hist of the Mootish Empire Vol.2 P.68.
نقلا عن العرب في صقلية : ١٢٤ .

الوجود من انقسام الجوهر والعرض (١) وقد توفى هذا العالم سنة ٤١٠هـ بصقلية . ولكن ما مدى تأثير هذا الفيلسوف في النواحي الفلسفية ؟ هـذا ما تلتزم المصادر التي بين أيدينا ازاءه الصمت.

ومهمايقال فإن التيار الفلسفي كان ضعيفا في العصور الأولى في صقلية فحسب ولكن في المغرب والأندلس.

ويعود هذا الضعف الى منظور ديني ،حيث يرمى من يشتغل بهذه العلوم بالزندقة والانحراف ،وقد بين صاحب نفح الطيب موقف العامة في الأندلس ممن أقبل على هذا العلم فقال "إن كل العلوم لها حظ عند الأندلسيين واعتناء الا الفلسفة والتنجيم ،فإن لهما حظا عند خواصهم ،ولا يتظاهرون بهما خوف العامة ، فإنه كلما قيل - فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم - أطلقت عليه العامة اسم زنديق ،وقيدت عليه أنفاسه ،فإن زلّ في شبهة رجموه أو أحرقوه قبل أن يصل أمره الى السلطان أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة ،وكثيرا ما كان يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت". (٢)

ويبدو أن هذه النظرة توجه لمن انصرف كلية الى هذا العلم وتعمق في خواصه أما من توقف عند حد الخطابة والإقناع ، فلا حرج

---

(١) طبقات الأمم الصاعدة : ٦٨-٦٩ ط. بيروت.

(٢) نفح الطيب : ١/١٣٦. وانظر الشعر العربي في صقلية ١٢٤.

عليه في نظر المتعلمين وأهل الزمان وخاصة في العصور المتأخرة فقد ذكر أن فيلسوفا صقليا يدعى غراب ،كان من أهل جزيرة صقلية . وكان غنيا من الفلسفة بصناعة الخطابة المنتجة للاقناع ،وقام بها إلى أن مهر فيها ،وتقدم على أهل زمانه وسار اليه الطلبه لاستفادة ذلك منه .

ويسرد لنا القفطي طريقة عن هذا الفيلسوف فيقول : " وكان من جملة قاصديه فتى من يونان يقال له تيسناس ،ورغب إليه في تعلم الخطابة وضمن له عن ذلك مالا معينا فأجاب برغبته وعلمه ، فلما لقنها حاول الغدر به ورام فسخ ما وافقه عليه فقال له : يا معلم حد لي الخطابه ، فحد بأنها مفيدة للاقناع ،فتمسك بالحد وبنى عليه قياسا ، وقال : إنبني أناظرك الآن في الأجرة ، فإن أقنعتك بأنني لا أدفعها اليك لم أدفعها ،إذ قد أقنعتك بذلك ،وإن لم أقدر على قناعتك فلست أعطيك شيئا لأني لم أتعلم منك الخطابة التي هي مفيدة الاقناع فأجابه المعلم وقال : أنا أيضا أناظرك ،فإن أقنعتك بأنه يجب لي حقي منك أخذته أخذ من قد أقنع ،وإن لم أقنعك فيجب أيضا أخذه منك إذ قد أنشأت تلميذا يستظهر على معلمه ، فقال له بعض من حضر : بيض ردى لغراب ردى أى تلميذ نكد ومعلم نكد ".(١)

---

(١) تاريخ الحكماء في المكتبة : ٦١٨ ، ٦١٩ ،
وانظر الشعر العربي في صقلية ١٢٤ .

الغنـــاء :

من الفنون التي لقيت رواجا بصقلية الغناء ،إذ كان له شأن عظيم ، واشتهر به الصقليون ، حتى أن أحد ملوك الاندلس استقدم من الجزيرة مغنيا صقليا افتتن به ،وهذا على تقدم ذلك الفن في الاندلس يبرهـــن على تقدمه في صقلية الصغيره (١) . لقد روت المصادر أن المعتمد بن عباد استقدم في اشبيليه مغنيا صقليا كان يستمع اليه ". (٢)

وعندما عقد ابن مكي في كتابه "تثقيف اللســـــان" فصلا بعنوان (غلط أهل السماع) كانت جل النصوص التي تتبع فيها زلات المغنين نصوصا مشرقية ومن ذلك قوله : ومن أملح ما مدح بـه الايقاع ما أنشدنيه الشيخ أبوبكر -أيده الله- لبعض البغداديين : (٣)

غنى وللايقاع قبـــل بيـــان منطقه بيـــان

وكأنما يده فم وقضيبه فيها لســـــان

وقول آخر : (٤)

أيا جبلي نعمان بالله خليـــا

طريق الصبا يخلص الي نسيمها

---

(١) المدينة العربية الصقلية ١٤٦ ،المقتطف ٦٢ يناير سنة ١٩٢٣م.

(٢) الحلة السيراء : ٢/٥٣.

(٣) تثقيف اللسان : ٢٧٤.

(٤) نفس المصدر والقائل مجنون ليلى .

يقولون : " نسيم الصبا " ، والصواب : " طريق الصبا ".

ويمضي المؤلف في عرضه لهفوات المغنين فيقول : وكذلك يضمون في "بثينة " حيثما وقعت في شعر جميل كقوله :

يا بثن إنك قد ملكت فأنجحي
وخذي بحظك من كريم واصل

وكقوله :

وقالوا يا جميل : أتى أخوها
فقلت : أتى الحبيب أخو الحبيب

بقلبي أن نزلت جبال حِسْمَى
وأن ناسبت بثنة من قريب

والصواب فتحها ، وإنما تضم إذا جاءت مصغرة تقول بُثينة .(١)

وكقول النميري :(٢)

مررن بفخ ثم رحن الى منى
يلبين للرحمن مؤتجرات

يقولون : " مررن بفج " بالجيم وليس كذلك إنما هو بالخاء ، وفخ موضع معروف ببعض نواحي الحرم.

----

(١) تثقيف اللسان : ٢٧٦ ، ٢٧٧.
(٢) نفس المصدر : ٢٧٩.

ووصف أحد الصقليين في بعض أبياته راقصة تغني على طريقة الرقص والغناء الصقلي ،وذلك أن الراقصة الصقلية تشير ببنانها عندما تغني الى أعضاء جسدها ،وما يحل به من تعذيب الهوى ،فإذا ذكرت دمعا أشارت الى العين وإن وصفت وجدا أشارت الى القلب فقال :(١)

وسود الذوائب يسحبنها
كسعي الأساود فوق الكثيب
توافق بالرقص أقدامهن
يطأن بها نغمات الذنوب
يشرن الى كل عضو بما
يحل به في الهوى من كروب

---

(١) ديوان بن حمديس : ١٣، وانظر الشعر العربي في صقلية ٢٠٨.

" وأحيانا تمدح الراقصة بالخفة، ويتفننون بالتعبير عن خفتها ، فهي لو جالت بخطوها في عيني ذى رمد لم يشتك الوصب كما يقولون .

ويخالج الدكتور إحسان عباس الشك في كون هذا الرقص صقليا فيقول :

" ولكن لا اجزم بأن هذا النوع من الرقص كان موجودا بصقلية ، والخبر في الديوان - ديوان بن حمديس - لا يعين هل هو رقص أندلسي أو صقلي ؟ فان كان صقليا فهو قد انتقل منها الى الأندلس ، وعرفه الأندلسيون ، وليس هناك ما يمنع أن يكون مشتركا بين البلدين" (١) .

ولكني أرجح أن يكون هذا اللون من الرقص صقليا ، ذلك أنه كان مصاحبا للغناء ، وصقلية ذات باع في فن الغناء ، ولا يستبعد بعد ذلك أن ينتقل هذا النمط من الرقص الى الأندلس ، وقد يعزز هذا الرأى ما روى أن أديبا أندلسيا سأل ابن حمديس أن يصف له راقصة على مذهبهم - مذهب الصقليين - في رقص قيناتهم ، فأجابه ابن حمديس على سوء لـه بالأبيات التالية : (٢)

وراقصة بالسحر في حركاتهـا
تقيم به وزن الغناء على حـد

منغمة ألفاظها بترنـم
كسا معبدا من عزه ذلة العبد

---

(١) العرب في صقلية : ٢٠٢ .

(٢) ديوان ابن حمديس : ١٣٣ . وانظر الشعر العربي في صقلية ٢٠٩ .

تدوس قلوب السامعين برخصة
بها لقطت ما للحون من العد (١)

بقد يموت الغصن من حركاته
سكونا ، وأين الغصن من برة القد

وتحسبها عما تشير بأنمل
الى ما يلاقي . . كل عضو من الوجد

بنا ، لا بها ما تشتكي من جوى الهوى
وأدمع أشواق مخددة الخد

---

(١) البرة : البضاضة والامتلاء .

الباب الثاني

الشعر العربي في صقلية بين المشرق والقيروان والأندلس

ويشتمل على الفصلين التاليين :

الفصل الأول :

الصلات مع المشرق العربي وأثرها في الشعر الصقلي .

الفصل الثاني :

صلة صقلية بالقيروان والأندلس وأثرهما في الشعر الصقلي .

الفصل الأول

الصلات مع المشرق العربي وأثرها في الشعر الصقلي

الفصل الأول

الصلات مع المشرق العربي وأثرها في الشعر الصقلي

ظاهرة التأثر بالمشرق :

انتقل العرب من جزيرتهم إلى بلاد المغرب وصقلية والأندلس ، فتحوها ثقافيا كما فتحوها عسكريا وكانوا يتطلعون الى الشرق وهم في الغرب ليقتدوا به في أنماطهم الثقافية والحضارية ، فعكفوا على هذه المواريث بالدراسة والمتابعة والتقليد ،وبلغ بهم الاعجاب أن لقبوا نوابغهم بألقاب مشرقية فقالوا في مروان بن عبد الرحمن : ابن معتز الأندلسي ،وفي ابن خفاجة : صنوبرى الأندلس ،وفي ابن زيدون : بحترى الأندلس ،وفي ابن دراج القسطلي : متنبي الأندلس ، وفي حمدة بنت زياد الشاعرة الأديبة : خنساء الأندلس" (١) وحتى الملوك لقبوا بألقاب مشرقية وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني (٢) :

مما يزهدني في أرض أندلسي
أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

---

(١) الأدب العربي في الأندلس ،د . عبد العزيز عتيق ،دار النهضة العربية بيروت : ١٦٠ .

(٢) نفح الطيب : ١/ ٩٩ . ونسب البيتان لأبي بكر بن عمار .

ويبدو لنا أن ابن بسام قد ألف كتابه الواسع القيم "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لمقاومة تلك النزعة المتطرفة في الإعجاب بالأدب المشرقي . وفي مقدمة "الذخيرة" زفرة من أثر هذه النزعة اذ يقول مثلا :[1]

" ... إن أهل هذا الأفق أبو الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة[2] ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما ... فغاظني منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهرى وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ... وقد مجت الأسماع (يا دارمية بالعلياء والسند) وملت الطباع (لخولة أطلال ببرقة شهمد) ..."

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن التقليد كان منصبا على أدب العصر العباسي وشعرائه ، وهو لا يخص الأندلس وحدها بهذا التقليد بل يقرن الأقاليم الأخرى في غير الأندلس ، فيقول[3] " فقد كانت الكتلة الأندلسية تنساق نحو تقليد المشرق بكل ما فيه ، وحتى شعر الطبيعة عندهم لم يأتوا فيه بجديد سوى الكثرة ... وما أراني أبعد اذا قلت ان الأندلس كانت تستمد نهضتها وحياتها من بغداد شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى .

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : مجلد ١ جزء ١/٢ .

(٢) قتادة بن دعامة البصرى (٦١ - ١١٨هـ) مفسر للقرآن وحافظ للحديث ، الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة - د. احمد هيكل ط. دار المعارف بمصر .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ص ٤١٢ ، دار المعارف بمصر .

ويغلو غرسيه غومس في هذا التقليد حتى ليتهم هؤلاء بقلة الصدق والتقليد والجرى على المألوف والمطروق "لأن شاعرهم يجد نفسه - قبل أن يبدأ في صوغ أبياته - مقيدا بمثل ومواضيع وضعها له السابقون كما وضعوا الأوزان والبحور التي لا يمسها تعديل أو تغيير ولا يتعداها شاعر قط" (١) ، ويبدو أن في اختراع الأندلسيين للموشحات التي خرجت على الأوزان المألوفة ما ينفي هذا الغلو الذى ذهب اليه غرسيه غومس .

ويقف الدكتور إحسان عباس إزاء الشعر الصقلي ليقول إنه أشد محاكاة للمشرق من الشعر الأندلسي ، ويستدل على ذلك بمادة الغناء التي لم تستقل بها صقلية كاستقلال الأندلس ، وإنما كانت واردة من الشرق . ولننظر اليه إذ يقول : " صحيح إن الأندلس استمدت كثيرا من الشرق ولكنها استطاعت أن تتميز بالموشحات والأزجال ، أما صقلية فما نعثر فيها على شيء من هذين الفنين . وقد استقلت الأندلس في الناحية الغنائية وعجزت عن ذلك صقلية فكل أغانيها واردة من المشرق ، وللغناء أثره البعيد في الشعر وعدم استقلال صقليه بأغانيها مكن لها في المحاكاة ووسع لها من مجالها ". (٢)

---

(١) الشعر الأندلسي (بحث في تطوره وخصائصه) تأليف اميليو غرسيه غومس ، ترجمة حسين مؤنس ، ط. لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٢ ، : ٤١ .

(٢) العرب في صقلية : ١٨٩ .

ومهما يكن من أمر فإن التقليد كان القاسم المشترك بين صقلية والأندلس والمغرب أيضا ، وما أراني أبعد عن الحقيقة إذا قلت إن شعراء هذه الأقاليم ، قلدوا المشارقة تقليدا نبع من ثقافتهم المشرقية (١)، فقد عكف هؤلاء على دواوين الشعراء وموسوعات المشارقة وكتبهم ، فجاء أدبهم إفرازا لهذه الثقافة المشرقية وجاءت صورة شعرهم كله بما فيها من أفكار وأخيله وأساليب هي الصورة المشرقية . ولقد فطن أحد النقاد القدماء إلى تأثير الثقافة في الشعر ، واستشهد بحماد الراوية وخلف الأحمر وابن دأب الذين حفظوا دواوين الشعر القديم ، والكتب المصنفة فنحلوا القدماء شعرا ليس لهم ، حتى صعب على النقاد تمييز الشعر المنحول من الشعر الأصيل ، ولننظر إلى جواب صاحب الوساطة على من زعم أن من حفظ الدواوين المروية والكتب المصنفة من شعر فحل ، وخبر فصيح ، ولفظ رائع ، يستحيل عليه محاكاة امرئ القيس وزهير في فخامة شعرهم وقوة أسره فقال : (٢) " ... قلت : أحلتك على ما قالت العلماء في حماد (٣)،

---

(١) انظر الشعر العربي في صقلية : ٤١ .

(٢) الوساطة : ١٧ .

(٣) هو حماد بن سابور : من سبى الديلم ، كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وهو الذى جمع السبع الطوال توفى سنة ١٥٥ - وفيات الأعيان ١٦٤/١ .

وخلف (١) وابن دأب (٢) وأضرابهم ، ممن نحل القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم ،وغاب في أضعافه ،وصعب على أهل العناية إفراده وتعسر ،مع شدة الصعوبة ، حتى تكلف فلي الدواوين واستقرار القصائد فنفى منها ما لعلة أمتن وأفخم ،وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقيل ، وهؤلاء محدثون حضريون ،وفي العصر الذى فسد فيه اللسان واختلطت اللغة وحظر الاحتجاج بالشعر .."

ولعل هذا النص يعضد ما ذهبنا اليه من أن ثقافة أهل صقلية والأندلس المشرقية الأدبية هي التي نزعت بهم إلى تقليد المشارقة فجاء شعرهم كشعر هؤلاء تماما ،ولذا لانعجب من قول أبي عبدالله محمد بن شرف الأندلسي للمأمون بن ذي النون "إن رأى المأمون أن يشير الى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب المتنبي حتى أعارضه بقصيدة تنسى اسمه وتعفي رسمه" (٣).

----

(١) هو خلف بن حيان ،أصله من خراسان من سبي قتيبة بن مسلم ، وكان من أفرس الناس لبيت شعر ،وكان يعمل الشعر على لسان العرب ،وينحله إياهم توفى سنة ١٨٠هـ (فهرس بن النديم ٨٤) .

(٢) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ،كان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم ،وكان يضعف في روايته ،وكان في المدينة يضع الشعر وأحاديث السمر وكلا ما ينسبه الى العرب ،فسقط وذهب علمه وخفيت روايته توفي سنة ١٧١ هـ ،المزهر ٢/٢٥٩ ،ومعجم الأدباء ١٦/٥٢ .

(٣) قضايا أندلسية : ٢١٩ .

ولا ريب أن قدرته على المعارضة قد كانت نتيجة طبيعية لثقافته المشرقية التي نهل منها ، ويبدو أنني على حق إذا قلت أن المدارس الأدبية في الغرب كانت تلزم الطلبه بالعكوف على كتب الأدب المشرقية ، فقد روى عن ابن خلدون على الرغم من تأخر عصر قوله : أنه سمع من شيوخه في مجالس العلم أن أركان الأدب أربعة هي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي على القالى البغدادى (١) ونتيجة لهذه الدراسة الأدبية صعب حتى على المشرقيين تمييز الشعر الأندلسي من الشعر العباسي مثلا وهذا ما يعضد قولنا أن انسياق عرب الغرب نحو التقليد كان ولادة طبيعية لتوجهاتهم الأدبية نحو المشرق . فقد روى أن الغزال لما كان في رحلته القصيرة في بغداد حضر مجلسا مع جماعة من محبي أبي نواس ، فكان أن تحدثوا عن الشعر الأندلسي فأزروا به ، فقال لهم الغزال : من يحفظ منكم قول أبي نواس ؟

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم

تأبطت زقي واحتسبت عنائي

وأورد لهم جملة أبيات بعدها في وصف الخمر.

فأعجبوا بالشعر واستجادوه ، فلما بالغوا في ذلك ، قال لهم الغزال : هونوا عليكم ! وذكر لهم أن القصيدة له ، وأنشدهم قصيدته

---

(١) المقدمة : ٥٥٣ .

كاملة والتي مطلعها :

تداركت في شرب النبيذ حظائي

وفارقت فيه شيمتي وحيائي (١)

وما قيل عن الأندلس يقال عن صقلية التي استمدت ثقافتها من المشرق ولم تستقل بشيء عن المشرق ، ومن يقرأ في موروث الصقليين الشعرى ويتابع الأدباء والشعراء في تقليدهم لأدباء المشرق وشعرائه يخيل إليه أن القوم قد حبسوا أنفسهم داخل الإطار العام للأدب العربي ، وحتى في مادة الغناء الصقلي هم لم يستقلوا بها كما استقلت الأندلس بالموشحات والأزجال.

وتبرهن هذه الحادثة التي حدثت في مجلس شقة الدولة على مدى حرص مثقفي صقلية على حفظ رواية شعر المشارقة

---------------- -----

(١) المطرب لابن دحية ،تحقيق مصطفى عوض الكريم ،مطبعة مصر الخرطوم سنة ١٩٥٤ : ١٣٨ - ١٣٩.

ومنهم المتنبي ،فقد روي أن ثقة الدولة كان قد غضب على ابن المؤدب ، فلما أدني لمجلسه سأله (١) :

ومن هو الذى يقول في شعره ؟

* فالحر ممتحن بأولاد الزنا *

قال : هو الذى يقول :

* وعداوة الشعراء بئس المقتنى *

فتنمر ساعة ، ثم أمر له بمائة رباعي ،وأخرجه من المدينة كراهية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد أن عفا عنه ،فخرج منها .

وهذا المتمثل به عجزا بيتين في شعر المتنبي من قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار وأولها (٢) :

الحب ما منع الكلام الألسنا

وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وهي من مشاهير قصائده .

وأول العجز الأول :

وأنه المشير عليك في بضلة

والحر ممتحن بأولاد الزنا

---

(١) وفيات الأعيان ، مطبعة الاشتقامة القاهرة سنة ١٩٣٨هـ ، ٥٨/٦ ، والرباعي : وحدة تساوى ربع دينار وأحيانا كانت تزيد على ذلك .

(٢) شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي : ٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

وأول العجز الثاني :

ومكايد السفهاء واقعة بهم

وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ولقد أخذ التقليد للمشرقين وجوها عدة (١)، فمن ذلك ترسم خطاهم في الوقوف على الأطلال ، واجترار ذكريات قديمة ، ومن ذلك قول الفقيه أبي موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي (٢):

قف باللوى المنعرج ... وناد بالركب عج

واسأل سليمى أين با ... ن ركبها بالدلج

كأنها شمس الضحى ... مكنونة في الهودج

غراء تهدى ركبها ... في غسق المدلج

فلا يكاد دائبا ... يخطي سواء المنهج

والمطالع التقليدية التي تعبر عن محتوى القصيدة ، أو قل تكون عنوانا لها شيء يعنون به مقتفين أثر فحول الشعراء في العصر العباسي كالمتنبي وأبي تمام اللذين كانا يحرصان في كثير من الأحيان على أن يكون البيت الأول موجزا لفكرة القصيدة ، أو مشيرا الى فحواها كقول أحد الصقليين في الرثاء (٣) :

شهاب المنايا من سماء الردى انقضا

وركن المعالي والجلال قد انفضا

---

(١) انظر الشعر العربي صقلية ص ١٤٤ ومابعدها .

(٢) خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب : ١/ ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠ .

هو الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المنعم ذكر أنه كان كبير الشأن ذا الحجة والبرهان ، فقيه الأمة (الخريدة قسم شعراء المغرب ١/ ٢٧) .

ومنها :

ألا لم يمت من كان خلف بعــــده
أخاه عليا إذ اليه العلا أفضــى
أحب محب للفضائل كلهـــــا
وأفضل إنسان على كسبها حضا

وإذا كانت الريح في المطالع التقليدية المشرقية ،هي الرسول الذى يستنبأ عن الخبر ، ويستفهم عن الأحبة كما هو الحال عند مجنون ليلى :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
فقد زادني مسراك وجدا على وجدى

فقد سلك بعض شعراء صقلية هذا الأسلوب في مساءلة الريح (١) :

بالله يا جبل العكســر دع
ريح الجنوب ترق أوتســرى
كيما أسائلهــا فتخبرنـــي
ما يفعل الجيران بالقصــر

وامتدادا لما سبق بيانه ،وهو أن الشعراء الصقليين قد تغذوا بلبـان الشعر العباسي بصفة خاصة والمشرقي بصفة عامة ،مما كان له انعكـاس على الشعر الصقلي .

---

(١) عنوان الأريب : ٤٨ .
هو أبو عبد الله محمد بن عبدون السوسى ،أصله من القيروان ، وكانت له رحلة الى ثقة الدولة يوسف بن عبد الله امير صقلية فامتدحه فقبله وأضافه الى ولده جعفر فأدناه وقربه ومكث زمانا في كنفه .
انظر عنوان الأريب ١/ ٤٨ .

والشاعر الصقلي يتسلط أحيانا على بعض الصور المشرقية ففي مضمار المدح قول محمد بن عبدون السوسي في مدح ثقة الدولة حيث شبهه بالبدر: (١)

ولما رأيت البدر قمت مسلما

عليه وأظهرت الخضوع لديه

وقلت له إن الأمير ابن يوسف

شبيهك قد عز الوصول اليه

فكن لي شفيعا عنده ومذكرا

إذا جئته تبغي السلام عليه

----

(١) الوافي بالوفيات : ٢/٢٠٦.

فقد تسلط على هذا المعنى من قول ابن الرومي : (١)

بالله يا قمر الدجى

كن لي إلى قمرى شفيعا

فكلا الشاعرين يستشفع بالقمر الحقيقى على القمر المجازى .

وفي وصف حلاوة الحديث وعذوبة المنطق بين الأحبة ، وأن ذلك شرك يقع فيه العقل يقول ابن الرومي أيضا : (٢)

وحديثها السحر الحلال لو أنه

لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت

ود المحدث أنها لم توجز

شرك العقول ونزهة ما مثلها

للمطمئن وعقلة المستوفز

أخذ الربعي أبو الحسن معنى البيت الأخير وزاد عليه ، وتمنى أن يكون حديث الحبيب وريقه قُوته الذى لا يريد سواه فقال : (٣)

---

(١) المختار من شعر بشار : ٤١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

أبو الحسن علي بن محمد بن الخياط الربعي شاعر فصيح اللسان ، مشهور بالاحسان وحدة الجنان ، ماهر في اللغة والأدب ، حافظ لأشعار العرب ، وكان في عصره يشبه بجرير ، مدح الأمراء الكلبيين وكان عندهم عالي القدر ، نابه الذكر . (عنوان الأريب ١ / ٣٢) .

وحديث كأنما هو منه
رطب يافع وخمر عتيق
شرك يقنص العقول فلا يسـ
ـلم منه إلا فؤاد وثيق
ليت قوتي ولا أريد سواه
منك لو نلته حديث وريق

وإذا كان بشار ينصح العاشق بالتحمل، وتكرار المحاولة وإن أغلظ له في القول وزجر حتى يدرك غايته فيقول : (١)

لا يؤيسنك من مخبأة
قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يمكن بعدما جمحا

فقد أخذه أبو الحسن الربعي فقال :

ولقد تعبدني على حريتي
غصن تنعم في الرحيق السلسل

الى أن يقول :

داريت قسوته بلين تلطفي
والصلب تعطفه يد المتحيل
فاذا بليت بهاجر فاصبر له
فالماء ينبط من صفاة الجندل

---

(١) المصدر السابق : ١٠٧ .

واذا كان بعض الشعراء في المشرق قد حفلوا بألوان البديع ،وحشدوا في نصوصهم بعض أدوات التصنيع من جناس و مقابلة وطباق فلقد أولع الصقليون بهذا الوشى المنمق في أشعارهم ليظهروا مقدرتهم على إجادة الصنعة الشعرية مقلدين شعراء المشرق ،ومن ذلك قول أحدهم:(١)

يا معتبا لوشاء ما أعتبا
يعذب عندى كلما عذبا
لا تنكرن الموت من لحظة
ما بين أجفان الظباء الظبا
كأنه من طيب أنفاسه
نشر الصبا يهدى الى الصبا

وكقول الوزير أبي محمد عبدالله بن عبدالله الهاشمي :(٢)

وأغيد لم يزل كريما
من جيده فذاك ريما
يريك من قربه نعيما
يبرى ويحقر النعيما
عيناه عون على البلايا
كلامه يبرىء الكلوما
سليم لحظ سليم لفظ
يا من رأى سالما سليما

---

(١) هو أبو محمد قاسم بن عبدالله لم يترجم له صاحب المختصر . المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ورقة ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٥ .

فالجناس بضربيه التام والناقص يلاحظ في ألفاظ "كريم" "ريم"، و "كلام"، و "كلوم"، و "سالم"، و "سليم".

ومن ضروب المقابلة قول ابن الطوبي : (١)

يقرب قوله لك كل شيء
وتطلبه فتبصره بعيدا
فما يرجو الصديق الوعد منه
ولا يخشى العدو له وعيدا

ومنها قول المشرف بن راشد حيث يقول : (٢)

فأقصاهم رضوان عن روح جنة
وأدناهم من لفحة النار مالك

---

(١) الخريدة . قسم شعراء المغرب ٧١.
هو أبو الحسن علي بن الحسن ابن الطوبي ذكر أنه امام البلغاء وزمام الشعراء ، مؤلف دفاتر ومصنف جواهر ، ومقلد دواوين ، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه وله فيه قصيدة .
(الخريدة . قسم شعراء المغرب ١/ ٧٢).

(٢) نفس المصدر ٩١.
ذكر د. احسان عباس أنه من شعراء صمصام الدولة . العرب في صقلية ٨١.

ولقد استجاب الشعراء الصقليون لرغبات شعراء المشرق ،في تعدد المشبه به وكلما زاد عدد التشبيهات في البيت استحسنوا ذلك وإذا كان القدماء قد برعوا في صنع الصور والتشبيهات ،وهي براعة نرى آثارها في كثير من شعرهم ،فإن الصقليين لا يتعدون في الغالب نطاق التقليد سواء في تعددها أو في استخدامها وإذا كان البحتري قد شبه الثغر بثلاثة أشياء في قوله (١) :

كأنما يبسم عن لؤلؤ
منظم أو برد أو أقاح

فمن الصقليين من يأخذه زخرف التشبيه ،ويزيد على البحتري بتشبيه الثغر بالفضة بينما يتفق مع البحتري في الصور الثلاث الأخرى فيقول (٢) :

كأنما يبسم عن لؤلؤ
أو فضة أو برد أو قاح

ويبدو أنهم لمحوا هذا التعدد في الصور والتشبيهات منذ القدم كما ورد في بيت امرىء القيس حيث شبه أربعة بأربعة في قوله (٣) :

----

(١) الموازنة : ١٠٦ .

(٢) العرب في صقلية : ١٩٢ . لم يسم قائله .

(٣) العمدة : ٢٩٣/١ .

له أيطلا ظبي ، وساقا نعامة

وإرخاء سرحان ، وتقريب تتفل

فأخذوا يطرزون قصائدهم بهذه التشبيهات المتعددة ، ويفرطون في ذلك افراطا شديدا . وممن قلد هذه التشبيهات في تعددها ابن الطوبي حيث يقول (١) :

فمه فيه لؤلؤ بشقيق

فوقه خاتم له من عقيق

وله في جفونه حد سيف

مرهف الشفرتين عضب رقيق

فإذا رمت أن أقبل فاه

صد عما أريد خوف الطريق

وإذا كان التشبيه هنا موزعا على ثلاثة أبيات فإنّ موضوع التشبيه واحد على أي حال . وعندما تناول المشرقيون الليل ، شكوا من طوله ، وعبروا عن إحساس الملل والضجر فقال امرؤ القيس (٢) :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه

وأردف أعجازا وناء بكلكل

---

(١) عنوان الأريب : ١٣٨ .
هو أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن الطوبي ، ذكر أنه كان صاحب ديوان الرسائل والانشاء ومن ذوى الفضائل البلغاء . طبيبا مترسلا ، شاعرا (الخريدة . قسم شعراء المغرب ١/٥٥) .

(٢) الديوان : ١٨ .

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل

بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقال النابغة : (١)

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت : ليس بمنقض

وليس الذى يرعى النجوم بآيب

وقال البحترى : (٢)

أبى الليل الا أن يعود بطوله

على عاشق نزر المنام قليله

وهذه المعاني لم تكن بغائبة عن الصقليين الذين تبرموا من الليل على غرار الأوائل في المشرق حيث يقول أبو الحسن الربعي وزاد في الصورة : (٣)

بل رب ليل بت أنشد صبحه

فكأنني أضللت منه تليفا

ليلا حسبت به المجرة جدولا

وحسبت أنجمها حصى مرصوفا

---

(١) الديوان : ٤٠ .

(٢) الموازنة : ١/ ٧٠ .

(٣) المختار من شعر بشار : ١٤ .

ويقول أبو القاسم الصقلي : (١)

فليت ليالي الصدود الطوال

فداء ليالي الوصال القصار

ويبدو أن شغف شعراء صقلية بالشعر المشرقي لم يقف عند حد الجزئيات أو تكرر صور ،أومجاراتهم في التشبيه والبديع ،ولكنه جذبهم الى معارضة قصائد برمتها(٢) ، فالشاعر الصقلي يلهث جاهدا خلف التقليد محتذيا حذو المشارقة مقتفيا أثار القدماء ، وما شعر المعارضة الا صدى لهؤلاء خاصة حينما يكون المقام مقام فخروا شاده بالأنساب والأحساب،وأحيانا يغير على طرف من معانيهم حينماتتكرر المناسبة كموت زعيم ،أو مدح أمير ،أو فتح كبير،أو إحياء ذكر قصيدة قديمة أولع بها الشاعر ، ونالت إعجابه ،فقصد استعراض مهارته الشعرية ،وقدرته الفنية ، فأعاد سكبها من جديد ،وأحيا ذلك الصوت المغرد من بعيد . ومن أمثلة ذلك ما ورد عند ابن الخياط في قصيدته التي مطلعها : (٣)

ليس الا تنفس الصعداء

وبكائي وما غناء بكائي

وعند قراءة القصيدة يخطر ببال القارئ قصيدة الأعشى أو معلقته كما ورد في بعض المصادر والتي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال

وسؤالي ، وهل ترد سؤالي

---

(١) فوات الوفيات ٢/ ٢٧٦ .
هو الأمير أبو القاسم عبد الله بن سليمان بن يخلف الكلبي أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين وممن جمع الى شرف المنصب غرائب العلم والأدب وتصرف في أنواع الشعر وأجاد في التشبيهات .
(المختصر من الدرة الخطيرة : ٩٧) .

(٢) انظر الشعر العربي في صقلية ص ١٥٠ .

(٣) مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ١٠٧ .

وأكبر الظن أن تأثر القصيدة الصقلية بالقصيدة المشرقية ،لم يقف عند حد المضمون بما فيه من أفكار وأخيلة بل امتد الى شكل القصيدة ومظهرها العام وموسيقاها الصوتية ،ومن ذلك ميل بعضهم الى البحور الطويلة : كالطويل ،والبسيط ،والكامل ،والوافر ، كما تميزت قوافيهم بالعنف والصخب أحيانا .(١)

و بالرغم من ندرة الشعراء الذين ينظمون على تلك القوافي الصعبة كالضاد والقاف ونحوها فإنّ من بين شعراء صقلية من نظم على هذه القوافي مقلدا الصوت المشرقي ، والصدى الموسيقى العباسي ،ومن هذا اللون قصيدة بشار بن برد الضادية التي عدت من عيون الشعر العربي في عصره ،ومن مطلع هذه القصيدة قوله :(٢)

غمض الحديد بصاحبيك فغمضا
وبقيت تطلب في الحبالة منهضا
وكأن قلبي عند كل مصيبة
عظم تكرر صدعه فتهيضا

وقد عورضت هذه القصيدة لجمالها الفني من قبل أبي تمام والبحتري ومطلع قصيدة أبي تمام :

أهلوك أضحوا شاخصا ومقوضا
ومزمما يصف النوى ومفرضا

أما قصيدة البحتري فمطلعها :(٣)

---

(١) انظر الشعر العربي في صقلية ١٤٩.

(٢) تاريخ المعارضات في الشعر العربي : ٤٦ ، د. محمد محمود قاسم نوفل . الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ.

(٣) نفس المصدر : ٤٨.

ترك السواد للابسيه وبيضا
ونضا من الستين عنه ما نضا
وسباه أغيد في تصرف لحظه
مرض أعل به القلوب وأمرضا

ولقد صاغ بعض الصقليين قصائد عديدة معارضة لقصائد المشارقة ملتزمين قوافيها الصعبة هذه ومنهم محمد بن عيسى الفقيه الذى بنى قصيدة على قافية الضاد مطلعها : (١)

شهاب المنايا من سماء الردى انفضا
وركن المعالي والجلال قد انقضا

ومنها :

وكادت سيوف الهند تندق حسرة
وأجفانها تنشق عنها لكي تنضى
وخط على الخطية الرزء أحرفا
أرادت لها حفظا فحولها حفضا

وممن نظم على قافية القاف ، وهي من نوادر القوافي أبو عبدالله محمد بن الحسن القرني الكاتب الذى نظم قصيدة قافية مكسورة الروى منها : (٢)

---

(١) الخريدة . قسم شعراء المغرب : ٤٠ .
هو أبو عبدالله محمد بن عيسى الفقيه كاتب شاعر ، مهندس ، منجم وله شعر جيد ذكر أنه يهز أعطاف القلوب مراحا ، ويدير على الاسماع من الرحيق راحا . (الخريدة . قسم شعراء المغرب ١/ ٣٤) .
(٢) المصدر نفسه : ٩٦ . ذكر انه منجم ، حاسب ، كاتب .

ينضح جسمي على الفراش لما
بالقلب من لوعة ومن حرق

لعارض يستهل واكفه
عليّ واش بالوابل الغدق

مثل غريق نجا بمهجته
وكابد الموج خشية الغرق

ولقد اتسعت موجة التقليد حتى شملت المناظرة بين شيئين متضادين كالشيب والشباب والأسود والأبيض ، ولم يكن هذا النمط حديثا بل كان قديما في الشعر العربي أيضا، لكن الصقليين غرقوا فيه حتى آذانهم لاظهار مقدرتهم على الصنعة الشعرية ، وقد أشار إلى هذا التضاد الدكتور إحسان عباس فقال : " وفكرة المناظرة تنخر فيه - الشعر الصقلي - فمناظرة بين الشيب والشباب والسوداء والبيضاء وكلها تدور في رأس الشاعر الذى يحاول أن ينتصر للشيء وضده ، ويظهر بذلك براعته ". (١)

ومن طرق هذا الباب وناظر بين الشيب والشباب أبو عبد الله محمد ابن الحسن ابن الطوبي حيث يقول : (٢)

بكى الشباب رجال بئس ما صنعوا
والشيب أفضل في التحصيل والنظر

ان الشباب كليل ضل مسلكه
والشيب كالصبح يهدى العين للأثر

---

(١) العرب في صقلية : ٣٠٨ .

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٦٢ .

وفي نفس هذا الخط الذى ينهجه ابن الطوبي ، نجده يؤثر السود على البيض ويشبه الضدين بالعين المبصرة ، والنور إنما يكون في سواد العين وليس في بياضها :(١)

تحبك - يا سوداء - نفسي بجهدها
فمالك لا تجزينها بودادها
وأنت سواد العين فيّ أرى به
وليس بياض العين مثل سوادها

وعلى هذه الشاكلة يصوغ الصقليون جل نتاجهم الشعرى على غرار القصائد المشرقية وتلك محاكاة عامة في القصيدة الصقلية تمتد الى المشابهة في المعاني والأساليب والأوزان والقوافي ، ويبدو أنني على صواب إذا قلت إن الصقليين أشد تأثرا بالأدب العباسي وذلك لأنّ الشاعر الصقلي رضع لبان الشعر العباسي ، فهو يبدئ ويعيد في المعاني والصور الموروثة عن ذلك العصر ، وإذا كان ثمة اضافة فهي محدودة ، ولقد أشار الى هذا الالتصاق بين شعر الصقليين وشعر العباسيين الأستاذ أمبرتوريزيتانو فقال :(٢) " إنّ ميول الشعراء الصقليين في تقليد فحول شعراء الاسلام تذكرنا أستاذنا المغفور له أحمد أمين ، الذى أراد أن ينوه بالتقليد السائد في الأدب العربي

----

(١) المصدر السابق : ٥٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في صقلية ، تأليف أمبرتوريزيتانو ، منشورات الجامعة الأردنية - عمان سنة ١٩٦٢ : ٩١ .

فكتب مقالة قيمة عن جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي أوَ
في وسعنا أن نحذو حذوه فنشير إلى جناية الشعراء العباسيين على
الشعراء الصقليين ؟ لما جاء في شعر هؤلاء المداحين من معان
معروفة مألوفة لم تكن تلائم البيئة التي عاشوا فيها".

الفصل الثاني

صلة صقلية بالقيروان والأندلس وأثرهما في الشعر الصقلي

الفصل الثانـــي

صلة صقلية بالقيروان والأندلس وأثرهما في الشعر الصقلي

أولا : الصلة النقدية بالقيروان :

ارتبطت صقلية بالقيروان بادىء ذي بدء ارتباطا سياسيا ، فلقد كانت حاضرة الأغالبة . ومنها انطلق الفاتحون الى صقلية بقيادة أسد بن الفرات . ولما غربت شمس الأغالبة وبسط العبيديون نفوذهم على شمال أفريقيا ، دخلت صقلية تلقائيا في فلك حكام القيروان المحدثين ، ولا شك أن هذا الارتباط السياسي كان يصحبه ارتباط ثقافي ، فقد كانت القيروان " دار العلم بالمغرب اليها ينسب أكابر علمائه . واليها كانت رحلة أهله في طلب العلم ، وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه وذكر علمائه ، ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتبا مشهورة " (١)

ولعل توهج القيروان كان واضحا في المجال النقدي حينما كانت مدرسة القيروان النقدية والشعرية ، ترسل أشعتها الى صقلية في الوقت الذى كانت تهيمن فيه على الساحة الأدبية في القيروان ، ومن أعلام هذه المدرسة عبد الكريم النهشلي وابن رشيق وابن شرف الذين كانوا نقادا كما كانوا شعراء ، ويرى بعض الباحثين أن تأثر صقلية بالقيروان كان قويا ، ومنهم الدكتور احسان عباس الذى يقول " وأما التأثر بأفريقية فربما كان يفوق التأثر

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب : ٣٥٦ .

بالمشرق ."(١)

ويبدو أن الدكتور احسان عباس ينظر الى تأثير القيروان في الشعر الصقلي جملة ولا يقيده بفترة معينة ،غير أن تأثير القيروان في الفترة الكلبية لم يكن قويا ولو قدر للمرء أن يعرف تاريخ تأليف كتاب العمدة لابن رشيق لاستطاع أن يحدد أثره في الشعر الصقلي . ويبدو أن تأثيره في الشعر الصقلي تم بعد سفره الى صقلية وحينما استقر في مازر ولا ينفي ذلك وجود صلات ومراسلات بينه وبين الذين عاصروه قبل سفره .

ومن الشعراء الصقليين الذين عاصروا ابن رشيق أبو الحسن على بن أبي اسحق بن ابراهيم الوداني ،كان في عهد ابن رشيق وبينهما مكاتبات(٢) ، وكذلك أبو عبدالله محمد بن علي بن الصباغ الكاتب ،كان في عهد ابن رشيق وبينهما مراسلات.(٣)

ونظن ظنا أن بعض الصقليين قد أفاد من الحركة النقدية في القيروان ، ومن آثارها ضعف صوت الهجاء انسجاما مع ذوق العصر في الترفع عن الدنايا أو صيانة لصاحبه من قبح السمعة وكذلك استحسانه أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده الا في مواضع معروفة كالقصص والحكايات .(٤)

---

(١) العرب في صقلية : ١٩٠.

(٢) المكتبة : ٥٩١.

(٣) نفس المصدر .

(٤) العمدة : ١/٢٦١.

وعلى كل فهذه النظرات النقدية عند ابن رشيق والتي ألقت بظلالها على صقلية لم تكن محدثة في المغرب العربي بل تمتد جذورها الى مقاييس النقد المشرقي ومنها استقلال أبيات القصيدة بعضها عن بعض ، ومن المشرق سمى قدامة البيت المحتاج الى اكمال معناه الى غيره مبتورا.(١)

---

(١) نقد الشعر : ٨٧.

ثانيا : صلة صقلية بالأندلس وأثرها في الشعر الصقلي .

ظلت صقلية على صلة وثيقة بحواضر العالم الاسلامي في الشرق والغرب ، فلقد عرفنا صلتها بأفريقيا والمشرق ويحسن بنا أن نعرج على صلتها بالأندلس،إذ أنها ارتبطت بروابط متينة مع الأندلس سواء عن طريق الهجرات المتعاقبة ،أم تقارب عناصر السكان في الاقليمين . ولعل الذى يتوج هذه الصلات بين البلدين التواصل الثقافي ،ويشير الى هذا جابر بيلي حيث يقول : " إن الصلات الحقيقية بين الأندلس وصقلية العربية لا تتصل بالتاريخ السياسي والحربي ، بل هي صلات ثقافية وحضارية ،فالشعب الذى استوطن في صقلية والأندلس هو واحد من العرب البربر كما تشهد بذلك المصادر التاريخية . وهنالك تقارب بينهما في نوع الثقافة ،وذلك لوحدة الثقافة العربية والاسلامية في العصور الوسطى مع نوع من التخصص فيهما ، فمثلا الأفضلية تعطى للمذهب المالكي . وهناك تشابه في الفنون : الفن في صقلية والفن في الأندلس . وفي وحدة الثقافة الأدبية في الشعر والنثر " (١) أما شاك فلحظ تلاقي بذور الأدبين وذهب الى أن الشعر العربي الصقلى يشارك الشعر العربي الأندلسي خصائصه الأساسية . (٢)

---

(١) Arabi di sicilia , Arabi di spagne AL Andulus Vol. 133.
نقلا عن صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية : ٢٢٢ .

(٢) نقلا عن العرب في صقلية : ٣٠٨ .

وأمام هذين النصين اللذين يثبتان صلة الأدبين الصقلي والأندلسي يقف نص ثالث ينكر هذا التعانق ويرى أن التفات صقلية الى أفريقيا والمشرق حرمها من التطلع الى الأندلس يقول النص : " إن شدة الاتصال بافريقية والمشرق حرمت صقلية من التطلع الى الأندلس ، صحيح أن الأندلس استمدت كثيرا من المشرق ولكنها استطاعت أن تتميز بالموشحات والأزجال ،أما صقلية فما نعثر فيها على شيء من هذين الفنين ". (١)

ويدل هذا على أن صورة الأدب الأندلسي لا تنزع به الى أصوله المشرقية ،بينما الواقع ينفي ذلك . فكلا الشعرين وقعا تحت وطأة التقليد اذ أن الصبغة العامة للشعر هي الصورة التي نلمسها في الشعر العربي حين أصبح نماذج مكررة تسرى عليها حمى التقليد .

أما الاستشهاد على هذه العزلة الأدبية بين البلدين بخلو الشعر الصقلي من الموشحات والأزجال فهناك من يرى أن هذه الألوان كانت معروفة عند الصقليين ، وهم الذين قاموا بنقلها وخاصة الأزجال الى الايطالية . (٢)

---

(١) العرب في صقلية : ١٨٩.

(٢) صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية : ٢١٦.

ومن الخصائص التي تجمع بين الشعرين في الاقليمين شغف الشعراء ببناء قصائدهم على الأوزان الموسيقية الخفيفة والتي تتناسب مع الأداء الغنائي ،ولقد مر بنا كيف أن صقلية تميزت بنوع من الرقص ،كما لقي الغناء فيها رواجا واسعا ،أما الأندلس فقد شاع فيها الغناء وشاعت الموسيقى وكثر المغنون والمغنيات حتى لنجد التجيبي يقول : " كنت بمدينة مالقه من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة ، فاعتللت بها مديدة انقطعت فيها عن التصرف ولزمت المنزل ، وكان يمرضني حينئذ رفيقان كانا معي ، يلمان من شعثي ويرفقان بي ،وكنت إذا جن الليل اشتد سهرى وخفقت حولي أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية ،واختلطت الأصوات بالغناء فكان ذلك شديدا علي ،وزائدا في قلقي وتألمي ، فكانت نفسي تعاف تلك الضروب طبعا،وتكره تلك الأصوات جبلة وأود لو أجد مسكنا لا أسمع فيه شيئا من ذلك ،ويتعذر علي وجوده لغلبة ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم ".(١) ويمضي التجيبي في سرد القصة ليصف لنا حفلا غنائيا ساهرا رآه في بستان لدار كبيرة ،وقد اصطف شرب ونحو عشرين رجلا وبين أيديهم شراب وفاكهة وجوار قيام بعيدان وطنابير وآلات لهو ومزامير وجارية جالسة تضرب على عودها . ولا شك أن هذه القصة تدل على ولع الأندلسيين بفن الغناء وبالتالي لين الشعراء أوزانهم وخففوها لتلتئم مع ذوق المغنين . ويلاحظ أن تطورا مماثلا حدث في صقلية حيث ولع القوم بالرقص والغناء على طريقة لا تبعد كثيرا عما عرف بها الأندلس.

---

(١) المختار من شعر بشار وشرحه للتجيبي : ١٤ .

ومن ذلك قول أبي يوسف يعقوب بن علي الزبيدى (١) :

أناملها سلمت أم عنم
غداة التقينا بوادى سلم
وهذا الذى لاح لي مبسم
أم البرق من ثغرها يبتسم
رمتني سلمى بهجرانها
فهل لي منها وصال ألم

وشبيه بهذه الأوزان الصقلية الأوزان الأندلسية التي خفت حتى تروق للمغنين ومن ذلك قول مغنية أندلسية (٢) :

أذنبت ذنبا عظيما فكيف منه اعتذارى
والله قدر هذا ولم يكن باختيارى
والعفو أحسن شيء يكون عند اقتدار

---

(١) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ١٠٥ (مخطوط) ونسبت في انباه الرواة ٤/٥٠٧ لعز الدولة الحسن بن ثقة الدولة الكلبي .

(٢) نفح الطيب ٢/١٤٦ .

ولقد تأثر المجتمع الصقلي بموجة الزهد التي ظهرت في بلاد الأندلس حتى لنرى ابن بشكوال - فيما يروى ابن الأبار - قد صنف كتابا بعنوان (زهاد الأندلس وأئمتها) .(١)

ويبدو أن الميل للزهد كان صدى لانغماس بعض طبقات المجتمع في الترف والمجون حتى لنجد أحد أبناء عبد الرحمن الناصر يعمد الى الزهد ،بعد أن شاهد اغراق أبيه في الدنيا واسرافه في الأبهة وبناء المدن والقصور واقتناء الجوارى والقيان .(٢)

ولقد سرت موجة الزهد في الحياة، والعزوف عن متعها، والاعراض عن ملذاتها، الى صقلية ، وتسرد لنا بعض المصادر قصصاً ونوادر عن هؤلاء الزهاد ومنهم أبو الحسن الصقلي الحريرى الذى قضى عمره صامتا لا ينطق الا بذكر الله تعالى أو بما يعنيه ،فاذا أقيمت الصلاة تأوه واجتثر نفسه وتواجد وقال : " واذهاب عمرى في خسارة "(٣)

ولقد مثل الشعر هذا اللون من الحياة سواء في الأندلس أم في صقلية ودعا الناس الى الانصراف الى ما هو أهم وأنفع ومن ذلك قول أبي وهب الأندلسي في الزهد :(٤)

تنام وقد أعد لك السهاد
وتوقن بالرحيل وليس زاد ؟
وتصبح مثل ما تمسى مضيعا
كأنك لست تدرى ما المراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيئا
ولم يك منك في الدنيا اجتهاد

---

(١) التكملة : ٧١٨ .
(٢) الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ٥٧ .
(٣) رياض النفوس في المكتبة : ١٩٤ .
(٤) المغرب : ٥٨/١ .

إذا فرطت في تقديم زرع

فكيف يكون من عدم حصاد

وتتكرر الدعوة عندهم الى تحقير الدنيا والحذر منها ،و وتصويرها بالسراب الذى يخدع ببريقه ، فيقول أحد الأندلسيين :(١)

جملة الدنيا ذهاب مثل ما قالوا سراب

والذى منها مشيد فخراب ويباب

وأرى الدهر بخيلا أبدا فيه اضطراب

سالب ما هو معط فالذى يعطى عذاب

ونفس النظرة تجدها عند زهاد الصقليين كقول الآخر :(٢)

أرى الدنيا الدنية لا تواتي

بعاجل في التصرف والطلاب

ولا يغررك منها حسن برد

له بردان من ذهب الذهاب

بأوله رجاء من سراب

وآخره رداء من تراب

وتتعانق الطريقة الأندلسية مع طريقة الصقليين في نظم المقطوعات أحيانا ، التي تتناول فكرة واحدة ،ولعل ذلك يعود الى انشغال الطائفتين بأعباء الحياة حتى لا يجدون متسعا من الوقت في نظم قصائد ذات نفس طويل .

---

(١) وفيات الأعيان : ٢/١٤٢ .

(٢) الذخيرة ٤/٢/١١٢ - مخطوط - .

وبالرغم من هذه اللمسات الأندلسية والقيروانية على الشعر الصقلي سواء بالنسبة للعزوف عن الهجاء أو عدم التشبث بوحدة الأبيات كما عند مدرسة القيروان أو شغف الشعراء الصقليين ببناء قصائدهم على الأوزان الخفيفة لتتناسب مع النغم الموسيقى كما عند الأندلسيين أو تقليدهم في التعبير عن موجة الزهد . بالرغم من كل ذلك فلا حرج أن نقول : إن الحركة الأدبية في صقلية صيغت على شكل الحركة الأدبية في المشرق ، ولم تتمخض الاهتمامات الأدبية في القيروان وقرطبة عن استقلال ذاتي في هذه الجوانب تتيح لها التأثير في جارتهما صقلية . فالأندلس استمدت ثقافتها ومثلها الأدبية من المعين المشرقي سواء بدراسة كتب المشارقة كالكامل للمبرد ،والبيان والتبيين للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة ،وكتاب النوادر لأبي على القالي البغدادى. (١) أم بتطلع شعراء الأندلس الى اتخاذ شعراء المشرق المثل الأعلى في نظم الشعر كما صنع ابن شهيد حينما ألف رسالة " التوابع والزوابع " وذكر فيها أسماء شياطين الشعراء الذين أجازوه وكانوا كلهم من شعراء المشرق العربي أمثال أبي نواس وأبي تمام والبحترى والمتنبي (٢) وكذلك الحال بالنسبة لأفريقيا التي لم تتحرر من قيود التقليد بل حبست نفسها في محيط المواريث المشرقية ،وحتى في القياس النقدى كان جل جهدهم منصبا على التلخيص والاستنباط من المنظور النقدى في البيئة المشرقية .

ومجمل القول في هذا الباب أن صقلية في تأثرها بافريقية إنما كانت تنتهي في تأثرها هذا الى المشرق الذى هو مصدر التأثير في كل من افريقيا والأندلس وصقلية مباشرة أحيانا وبالواسطة أحيانا أخرى .

---

(١) المقدمة : لابن خلدون ص ٤٠٨ .

(٢) انظر رسالة التوابع والزوابع في الذخيرة ١/ ٢١٠ .

الباب الثالث

حياة الشعر في ظل الطبيين

ويشتمل على الفصلين التاليين :

الفصل الأول :

الموهبة الشعرية بين أمراء البيت الطبي .

الفصل الثاني :

رعاية الطبيين للشعر والشعراء .

الفصل الأول

الموهبة الشعرية بين أمراء البيت الظاهري

الفصـــــل الأول

الموهبة الشعرية بين أمراء البيت الكلبـــي

لم تتوقف جهود الكلبيين عند النطاق السياسي ، وترسيخ دعائم الحكم في الجزيرة ،والقضاء على الفتن والثورات ،بل مد البيت الكلبي أطنابه الى مختلف جوانب الحياة ، فشعورهم بقدر من الاستقلال حدا بهم الـــى الطموح والمنافسة لحواضر العالم الاسلامي ،ولعل أهم الفنون التي لقيت رواجا في عصرهم فن الأدب وخاصة الشعر الذى ظفر باهتمام ورعاية هذه الأسرة الحاكمة . ولعلنا لم نكن مبالغين إذا قلنا أن صقلية لم تشهد عهدا كعهدهم ،فهم الذين يمثلون مراحل النشأة والتطور والازدهار في تاريـــخ صقلية الاسلامي، وهم الذين وصلوا بالأدب الى أزهى مراتبه ،وبرز منهـــم أمراء لامعون، أخصب الشعر في ظلهم وتفتقت أزهاره وكما يقول د .إحسان عباس " ولعل الجزيرة لم تشهد عهدا كعهد الأمير أبي الفتح يوســـف الملقب بثقة الدولة (٣٧٩ - ٣٨٨) فقد عهد اليه أبوه بولاية صقليـــة وأتاه سجل من العزيز من مصر بذلك . فضبط الجزيرة وأحسن الى الرعايا وأنس بجلاله وفضائله كل من كان قبله من بني أبي الحسين . وكانت أيـــام الناس بصقلية في مدته على أفضل ما يشتهون.وقد ضبط البلد ضبطا عظيمـا وأداخ الروم واستقامت له الأمور ،وظهر من كرمه وجوده على سائر النـــاس ما لا يحيط به وصف . وكان بلاطه في بلرم مقصد العلماء والأدباء حتـــى أصابه فالج عطل نصفه الأيسر فتنازل لابنه جعفر ".(١)

---

(١) العرب في صقلية : ٤٦ .

ولقد سقى حقول الأدب في عهدهم رافدان: الأول الموهبة الشعرية التي توفرت في كثير من آل البيت الكلبي ، والثاني تعهدهم ورعايتهم للشعر والشعراء حتى استوى الأدب على سوقه وأثمرت مواهب الشعراء وسنقف عند هذين الرافدين لتسليط الضوء عليهما .

الموهبة الشعرية :

من يستقرئ ديوان الشعر الصقلي في عهد الكلبيين يمتدح هذه الأسرة العربية عندما تتحفه المصادر بضروب من شعر هؤلاء الأمراء الذين لم تصرفهم السياسة عن الولوج في هذا الميدان ، والعزف على قيثارة الشعر ، وقد شهد لهم الدارسون بهذا الموقف يقول الأستاذ الخولي " وإن بلدا امراؤه أدباء، وحكامه علماء، لا يستغرب أن يكون شعبه كما ترى . وقد كانت كذلك صقلية إذ وليها عدة من الأمراء الكلبيين يحسبون في الأدباء المعدودين . (١)

---

(١) المقتطف المجلد الثاني والتسعون ص ١٤٣ ، يناير سنة ١٩٢٣ .

وعندما نجيل النظر في الشعر الذى أثر عن الكلبيين ليس بمقدورنا أن ندعى أنه شعر من الطراز الأول وذلك لما نجده عند بعضهم من مواطن الضعف .

- بيد أن هذا الحكم ليس مطردا فهناك من بينهم أصوات شعرية جيدة ، تملك أدوات التفوق الشعرى ، وربما يعلل ذلك بأن بعضهم كان ينظم الشعر لأجل التسلية والترفيه وازجاء وقت الفراغ دون أن يتكىء شعره على موهبة تكفل له سبيل التفوق . ومع كل هذا وذاك يجد المتتبع لشعرهم أنهم قد أنشطوا الحركة الشعرية في عهدهم بما تجود به قرائحهم من نتاج ، وبما أضفوا على الساحة الأدبية من عطاء إذ ظفرت صقلية في عهدهم بأكبر حظ من النشاط العلمي والأدبي وحققت لنفسها رقيا في الشعر والنثر . ولكي نستجلي صورة الشعر الذى صدحت به قيثارة أمراء الكلبيين - وندلل على أن هذا الشعر على الرغم من أنه لم يكن فيما نظن وليد الموهبة والطبع بل كان وليد حياة التسلية والترفيه ،

كان يتسم في معظمه بالجودة وحسن الصياغة ،وبراعة التصوير - سنسوق طرفا من شعرهم ،ونعرض لما يثار حوله من نقد ،ونبرز أظهر أغراضهم حتى تمثل أمام المتلقى خريطة الشعر الكلبي، التيلا نبعد إذا قلنا بأنها كانت تشكل وجها مشرقا من أوجه الحياة الشعرية في صقلية في العهد الاسلامي ..

وقد تعاقب على ولاية صقلية عشرة أمراء كلبيين في حقبة زمنية تقدر بخمسة وتسعين عاما . شهدت الجزيرة إبانها رقيا كبيرا في الجوانب العمرانية والعلمية والأدبية . وأول هؤلاء الأمراء : الحسن بن علي بن أبي الحسين رأس الأسرة الكلبية في صقلية إذ تولى امرتها سنة ٣٣٦ هـ ، ويبدو أن أعباء هذا الأمير السياسية كانت جسيمة وشغلته عن الالتفات الى الشعر ، غير أن أول صوت شعرى نسمعه عن هذه الأسرة يعود للأمير أحمد بن الحسين الكلبي الذى حكم سنة ٣٤١ هـ ولعله كان من المقلين وقد سبق الاستشهاد ببيتيه اللذين وضحا موقفه من البيض حين لاح يعارضه المشيب .

وتطالعنا صفات الأمير أبو الحسن الكلبي من خلال ما أشار اليه أحد الكتاب المعاصرين : كان أديبا فاضلا ،وكان ميالا للشعر له فيه باع وابداع وأورد له قوله (١) :

---

(١) المسلمون في جزيلاة صقلية وجنوب ايطاليا : ٢١٣ .

شنيت البيض حين شنين شيبي
وتأباني التي ملكت فؤادي
وهل يختار ذو عقل ولب
بياض المقلتين على السواد

وعندما ترجم القفطي لمحمد بن جعفر بن محمد بن الحسن الكلبي قال عنه (١) : " أحد الأجواد الموصوفين بالكرم ،وله شعر جيد ".

وعندما تناول مؤلف المختصر ترجمة الأمير أبي القاسم عبدالله بن سليمان ابن يخلف الكلبي قال عنه : أحد الأدباء المجيدين ،والشعراء المعدودين وممن جمع الى شرف المنصب غرايب العلم والأدب ، وتصرف في أنواع الشعر وأجاد في التشبيهات ووصف الخمر. (٢) ومن تشبيهاته الجميلة قوله في وصف منتزه (٣) :

كأن الشقيق بها وجنة
بآخرها لمعة من عذار
كأن البنفسج في لونه
اختلاط الظلام بضوء النهار
وسوسنها مثل بيض القباب
بأوساطها عمد من نضار

---

(١) المجدون من الشعراء : ١٧٧ .
(٢) مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ٩٧ .
(٣) فوات الوفيات : ٢/١٧٦ .

ومن شعراء الكلبيين الذين لم تحجبهم السياسة عن قول الشعر الأمير تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة أحد الأمراء الذين تولوا حكم صقلية وقد كان شاعرا مرتجلا للشعر أحيانا ووجد في تعاليق للمصريين وقد كتب سنة سبع وعشرين وخمسمائة قولهم فيه : " أحسن ما سمع لأهل عصرنا من الارتجال قول هذا الأمير وقد رأى غلامين على أحدهما ثوب ديباج أحمر وعلى الآخر ثوب ديباج أسود. (١)

ووجه الحيرة في الرواية أنها كتبت (سنة ٥٢٧) وورد في تعاليق المصريين أن شعره أحسن ما قيل في عصرهم ، ومن الثابت أن جعفر الملقب بتاج الدولة كانت ولايته لصقلية من سنة ٣٨٨ الى سنة ٤١٠هـ ، فعصره كان متقدما ويبدو أن تاريخ التعليق لم يكن دقيقا . وعلى كل حال فالذى يهمنا أن قيمة أبياته التي قيلت في الغلامين من أجود ما قيل في ذلك العصر ، والأبيات هي : (٢)

أرى بدرين قد طلعا ... على غصنين في نسق

لدى ثوبين قد صبغا ... صباغ الخد والحدق

فهذى الشمس في شفق ... وهذا البدر في غسق

---

(١) المكتبة الصقلية : ٦١٠.

(٢) المغرب في حلى المغرب (الألحان المسلية) مخطوط ص ٣٤١.

ولا أراني محايدا عن الصواب إذا قلت إنّ نهضة الشعر الحقيقية كانت في عهد الأمير أبي الفتح يوسف الملقب بثقة الدولة (٣٧٩-٣٨٨) وابنه تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة الذى تولى أمر الجزيرة بعد أبيه حينما أصيب بالفالج وعطل نصفه الأيسر (١) واستمرت ولايته اثنين وعشرين عاما . ففي عهد هذين الأميرين تشكلت شخصية الشعر الصقلي ،وهي شخصية تستمد حياتها من كنوز الشعر المشرقي- وكان بلاطهما يزخر بالعلماء والأدباء صقليين وغير صقليين .

وإذا فتشنا عن بقية شعراء الكلبيين فليس هناك ما يدل على تولى أحد منهم حكم الجزيرة بيد أن هذا لا يعني أنهم لا يحطبون في حبل الامارة ،بل تشير المصادر الى اضطلاعهم بمهام قيادية أومناصب ادارية ومن ذلك ما أورده صاحب المختصر حينما ترجم للأمير أبي القاسم عبدالله ابن سليمان بن يخلف الكلبي فقال (٢) : " أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين ،وممن جمع الى شرف المنصب غرايب العلم والأدب " فالنص يثبت أنه صاحب منصب وكلنا نجهل ذلك المنصب ومثله من الأمراء : مستخلص الدولة ،وانتصار الدولة بن مستخلص الدولة ،وابن انتصار الدولة وقد ترجم العماد في الخريدة لمستخلص الدولة ،واسمه عبد الرحمن بن الحسن الكلبي ،وأورد له شعرا . وأما انتصار الدولة فاسمه الحسين بن عبد الرحمن يقول الربعي فيه (٣) :

---

(١) العرب في صقلية ٤٦ .

(٢) المختصر : ٩٧ .

(٣) المختار من شعر بشار : ١٧٤ .

علق رجاءك بالحسين وبابنه

إنّ العلائق بالكرام أواصر

واعلم بأنك إن غزوت نداهما

بلواء مدحهما فانك ظافر

أما ابن انتصار الدولة فتلفه المصادر بالغموض ولا نفقه عنه شيئا .

ويبدو أن هؤلاء كانوا يحكمون في غير عاصمة صقلية بلرم ، أولا يعني أن عبد الرحمن مستخلص الدولة هو ابن الحسن بن عمار الذى كان قائد أسطول الكلبيين عند غزو رمطة سنة ٣٥٢ هـ ؟ وأن ابنه انتصار الدولة كان بجواره يسانده أو يلي أحد المناصب القيادية ؟ وبخاصة إذا عرفنا أن ابن الخياط يشير الى خارجي خرج عليه فظفر به فقال مشيدا بانتصاراته في الأبيات التي أولها : (١)

ظن الامارة ظلة فاذا بها

حرب يكاد أوارها يتأجج

---

(١) المختار من شعر بشار : ٠٦

وفي البيت الكلبي شعراء غير من قلنا آنفا منهم محمد بن جعفر بن محمد ابن الحسن الكلبي، والأمير أبو محمد القاسم بن نزار الكلبي والأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي وذكر أنه من أفاضل العلماء وسادات الأمراء وذى يد في الفقه والحديث (١) الى جانب قرضه للشعر . ومنهم أيضا الأمير أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبي وفي بعض المصادر يكنى أبا الفضل ولا يبعد أن يكون له ولد آخر يكنى به . وممن ينسب الى أرومة الشعر الكلبي أبو الحسن المقداد بن الحسن الكلبي ،وأخوه أبو محمد ميمون ابن الحسن الكلبي وعبدالله بن جعفر الكلبي الذى يعد من أقلهم شعرا .

دوافع الشعر عند الكلبيين وأبرز موضوعاته :

المتأمل لشعر شعراء البيت الكلبي يلمس أنهم ينظمون الشعر لأجل التعبير عن عواطفهم وانفعالاتهم لا للتكسب ،وقد حببهم في ذلك قدرتهم على نظم الشعر والتعبير عما يجيش في صدورهم من انفعالات،

---

(١) الخريدة - قسم شعراء المغرب : ١٠١ .

ويخيل لي أن ذلك كان افرازا طبيعيا لبلاطهم الذى يزخر بالشعر والشعراء مما هيأ لهم السبيل لتطلك أدوات الصياغة الشعرية وبلوغ بعضهم مستوى الجودة الفنية حتى دعاهم ذلك الى الافتخار بهذا الابداع الأدبي من مثل قول الأمير أبي القاسم عبدالله بن سليمان الكلبي حينما شبه أيام الربيع بجمال نتاجه النثرى والشعرى: (١)

سقيا لأيام الربيع وحسنها
لو أن ذاك الحسن كان يدوم
طابت حدائقها ورق كأنها
جودى النثير ولفظي المنظوم

ولقد أدنى الشعر أحدهم من مجلس الملك ورفع منزلته حتى لقب بشاعر الملك في أيام الفاطميين في مصر بعد أن رحل عن صقلية ، ولكن رحيله هذا لم يكن بداعي التكسب بدليل شكواه من الفاقة والعوز، ذلك هو المقداد ابن حسن الكلبي الذى أصبح شاعرا للخليفة الفاطمي العزيز بالله ، وله شعر في مدحه ، ولكن الحاكم بأمر الله قتله سنة ٣٩٣ هـ بسبب قوله في أيام العزيز بالله : (٢)

الحمد لله حتى الخبز أعوزني
في بلدة أنا فيها شاعر الملك

---

(١) عنوان الأريب : ١٢٦.

(٢) صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية : ٢٤٩.
وقد ذكر في اختيار الصيرفي أنه من أمرائها " صقلية " .
انظر عنوان الأريب ١/ ١٢٦.

والشاعر الكلبي لا يملك النفس الطويل لكي ينظم القصائد المطولات، بل الغالب على شعرهم أنه مقطوعات ،وقلما تجد القصيدة الطويلة الا ما ندر كما هو الحال عند عبدالله بن سليمان الكلبي، وأبي محمد جعفر بن الطيب الكلبي ،وقد يعلل ذلك بانصرافهم الى الحياة السياسية واضطلاعهم بأعباء الحكم فلا يملكون الوقت الكافي في مواصلة بناء القصيدة الواحدة بل ربما شغلتهم حوادث الزمان عن قضاء حاجة محتاج، أو انجاز موعدة ،وقد رد ثقة الدولة معتذرا لأحدهم حينما قال : (١)

أنت مولى الندى ومولاى لكن
رب مولى يجور في الأحكام
قد وعدت الأنعام فامنن بانجا
زك ما قد وعدت من انعام

بقوله : حاش لله أن أقصر فيما
يبتغيه الولي من انعامي
أنا موف بما وعدت ولكن
شغلتني حوادث الأيام

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١٠١ .

أبرز أغراض الشعر عند الكلبيين:

إن من يستقرئ شعر هؤلاء الأمراء يجد أن هناك غرضين رئيسيين يدور حولهما :

أحدهما : الفخر الذى يعد علامة بارزة في شعر هؤلاء الأمراء من بين الشعر الصقلي ففي هذا العهد يندر من الشعراء من يمتطي صهوة الفخر ويسجل مآثر قومه ، وربما يعود ذلك الى ضعف الدافع في مجتمع يتكون من أخلاط متفرقة وعناصر متعددة ، ولم يكن لواحد من هذه العناصر صفة تميزه عن الآخرين حتى يفتخر بها على أقرانه ، بيد أن الكلبيين ينتسبون الى قبيلة عربية من قبائل الجزيرة العربية ، وليس هذا فحسب بل هم محتاجون الى إبراز فضلهم وشجاعتهم حتى يكون لهم الفضل في حكم صقلية ، وكأن الأمر لا يستقر الا بهم ، ولعل هذا ما دعا الأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي أن يفتخر بقومه ويقول (١) :

تقول : لقد رأيت رجال نجد
وما أبصرت مثلك من يمان
ألفت وقائع الغمرات حتى
كأنك من رداها في أمان
الى كم ذا الهجوم على المنايا
وكم هذا التعرض للطعان
فقلت لها : سمعت بكل شيء
ولم أسمع بكلبي جبان

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١٠١ هذه الأبيات رواية
===

والأمير ثقة الدولة الكلبي يفخر بقوة عزيمته ومضاء سطوته ، فهو لا يشكو من الزمان ولكن الزمان يشكو منه ، وهو الذى يملك عزيمة لا تفل إذا فل الحديد فيقول : (١)

هيهات يؤلمني الزمان فاشتكي
وهو الذى من سطوتي يتألم
وعزيمتي ما إن يثلم غربها
خطب على أن الحديد يثلم

وقد ينبرى أحدهم الى الاعتداد بكرم أصله ، وشرف نجاره ، وأن حبائل الليالي والأيام لا تثني من عزيمته ، بل تكشف عن كرم معدنه وطيب عوده ، ولننظر الى الأمير تاج الدولة حيث يقول : (٢)

إن مست النار جسمي ... أبديت طيب نسيمي
كالدهر إن عض يوما ... أبان فضل الكريم

=== الخريدة ورواية المختصر المخطوط (١٠٨) على النحو التالي :

تقول لقد رأيت رجال نجد ... وما أبصرت مثل من يمان
ألفت وقائع الغمرات حتى ... كأنك والوقائع توأمان
ونقتحم الحروب رخي بال ... كأنك من رداها في أمان
الى كم ذا الهجوم على المنايا ... وكم هذا التعرض للطعان
فقلت لها لكل الناس عذر ... ولا عذر لكلبي جبان

وقائلها هو الأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي ، ذكر أنه من أفاضل العلماء ، وسادات الأمراء ، وزويد في الفقه والحديث (الخريدة . قسم شعراء المغرب ١/٠٠١) .

(١) المغرب فى حلى المغرب (مخطوط) من كتاب الالحان المسلية ص ١٤٣ .

(٢) المختصر (مخطوط) ص ٤٠١ .

أما الغرض الثاني الذى احتواه الشعر الكلبي فهو الغزل ،فقد شاع في شعرهم كثيرا شيوع الفخر ولعل الذى رغبهم في ذلك كونهم شعراء أمراء ينظمون الشعر أحيانا للتسلية وازجاء وقت الفراغ ،ويخيل لى أن حبهم لا يتسم بالصدق ،ولذلك جاء غزلهم تقليديا ، ترمدت فيه جذوة العاطفة ، ومن يستقرىء ما قيل من شعر في هذا الغرض يلاحظ أن غزل الكلبيين قد اختط خطا جديدا في مذهب الغزل وقد يكون متمايزا عن شعراء عصرهم ، ذلك أن شعرهم تلمس فيه روح التعالى والكبرياء على من يحبون (١) ، فهم لا يتهالكون ولا يتولهون ،ولا يسترضون الحبيب ،والشاعر الكلبي لا يشكو من السهد والضنى ،ولا يتذمر من الوشاة ،ولا يضيق صدره من خلف الوعد بل إن روح الامارة والشموخ تتمثل حتى في شعرهم كقول الأمير مستخلص الدولة : (٢)

قلت يوما لها ـ وقد أخرجتني ـ

قولة ما قدرت أنفك منها

أشتهي لو ملكت أمرك حتى

آمر الآن فيك قهرا وأنهى

فبكت ثم أعرضت ، ثم قالت

خنتني في محبة لم أخنها

وأبو الفضل الكلبي يصل بعد طول عناء مع الأحبة ،وتجربة مريرة الى قناعة هي أن كل حب مصيره للزوال ،وكل مشوار في هذا الطريق عاقبته الخيبة والخسران فيقول : (٣)

---

(١) انظر العرب في صقلية : ٧٨.

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ص ٨٥.
هو الامير عبد الرحمن بن الحسن الكلبي أحد الذين مدحهم ابن الخياط.

(٣) معجم السفر : ١/٢.

قلت لما لم أجد لـي في صفات الحب صدقا

خاب من كان محبا فحبيب ليس يبقى

والنفس المتعالية ، التي لا تستسلم لمقود الهوى هي التي نلقاها عند هؤلاء الغزليين ، لذا تجد أبا الفضل جعفر بن الطيب الكلبي يتجرع مرارة الفراق والندم نتيجة لما سولت له نفسه فيقول (١) :

لم يظلمون بالفراق لأنني
قد كنت أظلمهم بقبح جفائي
فلمن ألوم ومهجتي حكمت به
يا ليت لم يكن الفراق جزائي

ونحن حين نقف عند هذين الغرضين - الفخر والغزل - ونخصهما بالدراسة فلأنهما أوضح الأغراض عند الكلبيين ، وما قيل فيما عداهما من شعر لم يكن أكثر مما قيل فيهما ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لغرض الفخر في الشعر الكلبي وجود بارز في عصر ضعف فيه هذا الصوت كما كان للون الغزل عندهم مذاق مميز ونكهة خاصة يندر وجودها عند سواهم.

---

(١) معجم السفر : ١/١٥٠ (الجزء المحقق).

الفصل الثاني

رعاية الطبيين للشعر والشعراء

الفصل الثاني

رعاية الكلبيين للشعر والشعراء

جهود الكلبيين في خلق جو صالح :

وفر الكلبيون إبان حكمهم لصقلية جوا صالحا لنمو الحركة الشعرية ، ومناخا مناسبا لاستثمار مواهب الشعراء ، ولم تكن مهمة أمراء صقلية سهلة وميسرة لتحقيق ذلك ، فلقد خاض الأمراء الكلبيون حروبا كثيرة في بادئ الأمر ، أفضت الى القضاء على الفتن والثورات التي ابتليت بها الجزيرة . فتنفس الصقليون الصعداء ، وشعروا بقدر من الأمن والاستقرار في ظل دولة الكلبيين ، حتى الروم المستوطنون في بعض أجزاء صقلية رهبوا جانب هؤلاء الولاة ودفعوا اليهم الجزية صاغرين ، ومن هؤلاء الولاة الحسن ابن على الذى عاد من احدى غزواته في " قلورية " الى " ريو " وابتنى فيها مسجدا كبيرا وسط المدينة ، وبنى في أحد أركانه مئذنة ، واشترط على الروم ألا يمنعوا المسلمين من عمارته ، واقامة الصلاة فيه والأذان ، وألا يدخله نصراني ، ومن دخله من الأسرى المسلمين فهو آمن ، سواء كان مرتدا أو مقيما على دينه ، وإن أخرجوا حجرا منه هدمت كنائسهم كلها بصقلية وافريقية ، فوفى الروم بهذه الشروط كلها ذلة وصغارا .(١)

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/٤٧٤ .

ولا ريب أن صياغة هذه الشروط بهذه الصفة تعطى موء شرا جديدا في تاريخ الجزيرة ألا وهو قوة قبضة الحسن على زمام الأمن واذعان مختلف عناصر الشعب لسلطانه مسلمين وغير مسلمين .

وفي ظل هذه الولاية العربية الكلبية أورقت أغصان الأدب ، وتفتحت أزهار الشعر " فنشأت هناك طبقات عديدة من رجال العلم والفن والآداب ،كما نشأ هناك جمهور صالح من كبار الشعراء ،من أفذاذ العباقرة الموهوبين ،ترعرعوا بين أحضان الروعة والجمال ،والعزة والجلال ،فسجلوا لصقلية باشعارهم النفيسة صورة طيبة محببة الى النفس ،وأنشأوا بذلك في صقلية أدبا قوميا صقليا عربيا متينا ، جزلا رقيقا ،كان الدرة اللاحقة في عقد الأدب العربي الرائع البهاء (١) ".

وأحسب أن الكاتب قد أفرط افراطا شديدا في ثنائه على أدب الصقليين، ونعته بالدرة اللامعة في عقد الأدب العربي، مع أن الصياغة الشعرية عند هوءلاء الشعراء الصقليين قد حبست داخل الوعاء المشرقي للشعر ولم يكتب لها التحرر والخروج على النمط المتعارف عليه في قصائدهم . ومهما يكن من أمر فلقد أبرز الكاتب تلك النهضة الأدبية في صقلية ،والتي رعاها وتعهدها الكلبيون حتى نضجت ثمارها، وآتت أكلها ،وتداعى لها الشعراء من كل حدب وصوب، وورّثت لنا أدبا صقليا بقي خالدا على مر الليالي والأيام.

---

(١) المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ـ احمد توفيق المدني ١٩٨ ،١٩٩٠ .

أقدم شعر وصلنا خلال حكم الكلبيين :

يشير الدكتور احسان عباس الى أقدم شعر عربي في صقلية في عهد الكلبيين الى أنه يعود الى المرحلة التي وليها أبو القاسم الملقب بالشهيد (٣٥٩ - ٣٧٢) وهي المرحلة التي بدأ فيها استقلال صقلية الذاتي ، وبدأ الشعر حياته الصحيحة .

وقد كان أبو القاسم يعيش حياة مثالية إذ قضى عمره في الجهاد بقلورية ، وصدفت نفسه عن متاع الدنيا ، فأوقف كل ما يملك على فقراء شعبه ، ولقب بالشهيد لما قتل في غزوته الخامسة . وكانت له في نفوس أعدائه صورة مهيبة لرجل يزن كلامه ويحكم أجوبته .(١)

ولا أراني موافقا لهذا الرأى ، وأقدم شعر في نظرى يعود الى عهد الأمير أحمد بن الحسن بن على (٣٤١ - ٣٥٩) وذلك لجهوده في تهدئة أوضاع الجزيرة ولعثورنا على بيتين من الشعر ينسبان اليه هما :(٢)

شنيت البيض حين شنين شيبي
وتأباني التي ملكت فؤادي
وهل يختار ذو عقل ولب
بياض المقلتين على السواد

---

(١) العرب في صقلية : ٨٠ .

(٢) مسالك الأبصار : في المكتبة الصقلية : ١٥٤ .

وليس من المعقول أن يكون هذان البيتان هما كل حصيلته الشعرية . وعلى كل حال فقد أحاط الشعراء بهؤلاء الأمراء إحاطة السوار بالمعصم وألفوا من التشجيع والرعاية في ظلهم ما حفزهم الى الاحسان .

شعراء العهد الكلبي :

ظلت مدينة بلرم عاصمة الكلبيين تموج بلفيف من الشعراء الذين عزفوا على قيثارة الشعر ، وترنموا بالنغم الشجي ، وما كانت هذه النهضة الأدبية لتتحقق وتتجسد لولا عناية أمراء الكلبيين بالشعراء وتطبيق سياسة حكيمة هدفها القضاء على أوار الفتنة ، وتعميم الأمن والسلام في ربوع الجزيرة ولقد أشار الى هذا الجهد الذى بذله الكلبيون د . احسان عباس فقال :(١)

" وتعاقب على صقلية من الكلبيين عشرة ولاة في مدى خمس وتسعين سنة شهدت في أثنائها تقدما في الحياة العمرانية والآداب ، كما شهدت جهادهم المستمر في جنوب إيطاليا وفي مقاومة أطماع الروم في الجزيرة ، وأخلدت صقلية الى الهدو وجنت من ذلك خير الثمار ، وكان من أسباب هذا الهدوء انشغال الجند في أكثر الأوقات بالحروب في جنوب ايطاليا ، واخلاص الكلبيين في الدفاع عن صقلية ، واعتبار أنفسهم مستقلين استقلالا داخليا في شئون الجزيرة " .

ولقد جسد الرقم الهائل من الشعراء في عاصمتهم بلرم هذه الحركة الأدبية المتنامية ، فقد وصل عدد شعراء " الدرة الخطيرة من

---

(١) العرب في صقلية : ٤٥ .

شعر شعراء الجزيرة " الى مائة وسبعين شاعرا ، ولكن هذا الكتاب عدت عليه عوادى الدهر ، وأصبح في عداد المفقودات ، ولولا قيام أبي اسحاق بن أغلب باختصار هؤلاء الشعراء في كتاب آخر وسمه بالمختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة واختار منهم سبعة وستين شاعرا من شعراء جزيرة صقلية لضاع هذا الرصيد الشعرى وأصبح في طي الخفاء ، وحتى هذا المختصر لم يسلم من النقص فجملة ما فيه من شعراء ثلاثة وأربعون شاعرا ، وأربعة وعشرون شاعرا لم نعثر عليهم في هذا المختصر.

ومن شعراء الطبقة الأولى من العصر الكلبي علي بن الحسين بن أبي سعيد القاضي وسهل بن مهران من مداح أبي القاسم الكلبي وقد نعت بالاحسان والاجادة في المدح وكان من المطيلين في قصائدهم ، ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن مالك المعافرى القاضي (١).

وفي عهد الأمير يوسف (ثقة الدولة) نلتقي بجمهور كبير من الشعراء من أهل صقلية ومن الطارئين عليها ، فمن أهلها محمد بن أحمد الصقلي صاحب ديوان الانشاء بصقلية وله قصيدة في رثاء ثقة الدولة من بينها قوله (٢) :

سقى الله أرضا حلها قبر يوسف

من المزن وكافا يجود ويسجم

---

(١) مختصر الدرة : ٥٩ . وانظر العرب في صقلية ١٨٠ ومابعدها.

(٢) المحمدون من الشعراء : ٧٠ .
ورد ذكره في العرب في صقلية ص ١٨٠ وذكر مؤلف " المحمدون من الشعراء " ص ٦٩ بأنه ناظم وناثر ويكنى بأبي عبد الله.

وصلى عليه الله من متوســـــد

يمينا لها في كل فضل تقـــدم

ومنهم/الحسن بن محمد الطوبي الذى كان نديما لثقة الدولة ومـــن [أبو محمد]
شعره فيه : (١)

بهـاء في سناء في ذكـــاء

جمعت وعظم قدر في عـــلاء

إذا قاض قضى بالجور يومـــا

فأنت المرء تعدل في القضـــاء

ومن المادحين لثقة الدولة سوى ابن الطوبي محمد بن الحسين القرقودى وأبو عبدالله بن أبي على القائد . (٢)

وبعد رحيل ثقة الدولة يحيط عدد من الشعراء بخلفه ،منهـم من ينتمى الى أسر معروفة في ذلك العصر ، فثلاثة من أبناء الطوبي ،واثنان من أبناء الرقباني وثلاثة من بنى الشامي .

وفي أواخر عهد الكلبيين يلتف الشعراء حول شخصيتين قويتين هما الوالي - وكان يومئذ صمصام الدولة - وصاحب الخمس وكان حينئذ ابراهيم ابن محمد الشامي .

---

(١) المختصر : ١٠٣ . يكنى بأبي محمد قال عنه صاحب المختصر : قطب الأدباء الذى عليه مدارهم ومجلى الفهماء . الذى بـــه افتخارهم وله نثر كالبرود ونظم العقود . نفس المصدر .

(٢) عنوان الأريب : ١٣٠ .

ومن شعراء الصمصام : ابن الخياط ، وابن الرقباني ، والمشرف ابن راشد . بينما انحاز الى صاحب الخمس : ابن الصباغ ، والمشرف بن راشد ، والحلواني . (١)

مظاهر الرعاية الكلبية للشعر والشعراء :

هوت أفئدة الشعراء الى عاصمة الكلبيين بلرم ، وزخر القصر الكلبي بجمع غفير من بلال الشعر ، ارتادوا مجالس الأمراء ، وأحيوا ندوات الأدب. وما كان ذلك ليتحقق لولا رعايتهم للشعر وتوفر عوامل متعددة لعل في مقدمتها ، استهلال أكفهم بالجود ، وإنعامهم على الشعراء ، وإعراضهم عن مسيئهم ، وكان لهذا التعهد نتائج مثمرة ارتفع به صوت الشعر الصقلي ودوى صداه في شرق البلاد وغربها ، ومن مظاهر التعهد والرعاية للشعر عقد ندوات أو حلقات أدبية يرعاها الأمراء ويتحلق حولها الشعراء ، وتلك المجالس يدعى لها ذوو المواهب والابداع ولذلك نجد الأمير مستخلص الدولة يحض أحد الكتاب الى حضور مجلسه فيقول : (٢)

نحن كلا نا يضمنـــــا أدب
حرمتنا فيه حرمـــة النســـب

فقد عمن معناك خالفــه
في كل فـن تسلم من التعـب

واجنح الينا فان ألفتنـــا
تدفع باليمن (حرفـــة الأدب)

---

(١) العرب في صقلية : ١٨١.
(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ٨٥.

والانعام على الشعراء سجية جبل عليها أمراء البيت الكلبي، ولكن الأيام الحبلى بالحوادث قد تلهى الأمير عن انجاز ما وعد فيلح أحد المستجدين على الأمير (ثقة الدولة الكلبي) ويقول :(١)

أنت مولى الندى ومولاى لكن
رب مولى يجور في الأحكام

قد وعدت الانعام فامنن بانجا
زك ما قد وعدت من انعام

ولكن هذا الشك الذى تسلل الى قلب المستجز يبدده ثقة الدولة، فما بدر منه ليس تقصيرا ولكنه انشغال فيقول :(٢)

حاش لله أن أقصر فيما
يبتغيه الولي من انعامي

أنا موف بما وعدت ولكن
شغلتني حوادث الأيام

لقد لهج كل شاعر من شعراء البيت الكلبي بأفضالهم ، وتعلقوا بنداهم ، فالتف حولهم الشعراء وغشي منازلهم أرباب القريض ومن بين هؤلاء الشعراء محمد بن الحسين القرقوبي الذى لا يحرص على الادخار طالما أن أحد أرصدته يوسف (ثقة الدولة) فقال :(٣)

---

(١) المصدر السابق : ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المحمدون من الشعراء : ٢٥٨ .
هو أبو الفتح محمد بن الحسين القرقوبي - وأظنه القرقودى نسبة الى قرقود قال عنه القفطي شاعر صانع ، وأديب بارع ، من فضلاء العصر وحسنات الدهر، وشعره كثير غير أنه خرج عن صقلية الى الاندلس فاستوطنها .. ولم يوجد له بصقلية الا ما قاله في صباه ومنه القصيدة المذكورة - المحمدون ٢٥٧ .

وماذا عليهم أن أجود بتالـــــدى
وأفنى طريفي قبل يومي وأتلـــف
لهم ما اقتنوا فليحرصوا في ادخارهم
ولي كنز شعر لا يبيد ويوســـف
هو الجبل الراسي الذى ليس ينتهي
وبحر الندى الطامي الذى ليس ينزف

وإذا كان التكسب بالشعر حرفة امتهنها بعض الشعراء، وذلك بتعداد مناقب الممدوح، وإبراز مآثره، ففي العصر الكلبي نجد نماذج من هـذا القبيل يرتزقون بالشعر، ويستدرون سماحة الممدوح ونداه، ومن هؤلاء ابن الخياط الذى مدح انتصار الدولة وابنه مستخلص الدولة ولم يخـــف ما استقر في دخيلة نفسه من حرصه على صلتهما والظفر بنوالهما فقال:(١)

---

(١) المختار من شعر بشار: ١٧٤.

علق رجاءك بالحسين وبابنه
إن العلائق بالكرام أواصر
واعلم بأنك إن غزوت نداهما
بلواء مدحهما فانك ظافر

وقد عقب شارح المختار على هذين البيتين بقوله "وقال أبو الحسن هذا المعنى عندى من عجز بيت أبي تمام :

اذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر
أغارت عليهم فاحتوته الصنائع (١)

ولقد بلغ الأمر بابن الخياط أن يصرح لانتصار الدولة بأن صنائعه هي التي قدحت زناد شعره ، ولولا تعهده له وانعامه عليه ما نطق بالشعر ، الذى شع بالثناء ،وأحاط نوره بالممدوح فقال: (٢)

لك عندى صنيعة قلدتني
نعمة عفوها يقصر جهدى
فاذا ما أضاء حولك نور
من ثنائي فأنت قادح زندى

----

(١) المصدر السابق : ١٧٥ .
(٢) نفس المصدر : ١١٦ .

وإذا كان ابن الخياط لم يقدح زنده الا في رحاب كرم الكلبيين كما زعم مستخدما لغة التودد والتقرب الى الممدوح ، ليحظى بحاجته ، فمن الشعراء من كان يتحاشى هذا الأسلوب ، من مثل علي بن طاهر الرقباني الذى يمدح صمصام الدولة ، ويعلل كثرة الألقاب التي يحملها بأنها لم تزده تشريفا ، فالشرف متأصل فيه ولكنها عذبت فخفت وارتاح لها الناس ، ولم يتطرق الشاعر الى وصف الممدوح بالكرم كعادة الشعراء عندما يعرضون بالطلب ، ولكنه أثنى على عدله فقوى العصاة ضعيف عنده ، وكأني به قد استلهم معناه من خطبة أبي بكر رضي الله عنه عند توليه الخلافة (القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) ولننظر الى الشاعر حيث يقول : (١)

من قبل ذى الألقاب كنت شريفا
إذ لم تزدك بكثرة تعريفا
لكنها عذبت فنحن بذكرها
نرتاح لو كانت تعد ألوفا
يا سيد الأملاك والعلم الذى
ترك القوى من العصاة ضعيفا
لا زلت مسعودا وجدك صاعدا
حتى ترى فوق النجوم منيفا

ومن إحسان الكلبيين بالشعراء أن وفروا البيئة الشعرية المناسبة لهم ، ووجدوا في ظلهم كل ما يحلمون به من عطف وتقدير ، ويطمحون فيه من مال وثراء ،

---

(١) انباه الرواة على أنباه النحاه : ٢/٢٨٤ .
هو أبو الفضل علي بن طاهر الرقباني الصقلي اللغوى ، حافظ للغة وأيام العرب جامع لادارات الأدب وله شعر . انظر المكتبة الصقلية : ٦٦٤ .

ويبدو أن هذا الانعام كان مصدر جذب للشعراء من بيئات مختلفة ، ففزت صقلية قوافل الشعراء ، وحفل بلاطهم بأرباب البيان ، ولقد أشاد بعض المؤرخين بجهود الكلبيين فقال : "إن كتب التواريخ ومجاميع الأدب محمله بمحاسنها - صقلية - ولقد كان بها أيام الاسلام من أمرائها ملوك أدباء وأعيان أدباء ما منهم الا من يقصد اليه ويمدح ، ويغدق عليه ويمنح ".(١)

ومن أبرز أمراء الكلبيين ثقة الدولة وقد قال عنه صاحب المغرب: "ملك عظيم ، وجواد كريم ، وفد عليه الشعراء والعلماء من كل مكان ، فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم ".(٢)

ومن الشعراء الذين شدوا اليه الرحال أبو محمد عبدالله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميله الذى مدحه بقصيدة في عيد النحر كانت من أجمل القصائد المادحة وقال عنها ابن خلكان : "وهي قصيدة بديعة غريبة ، لا توجد بكمالها في أيدى الناس ، ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب ولم يكن عندى منها سوى البعض ولا سمعت أحدا يروى منها الا ذلك القدر فاحببت اثباتها لحسنها وغرابتها "(٣) ومن بينها في مدح ثقة الدولة قوله :(٤)

---

(١) مسالك الأبصار - ابن فضل الله العمرى في المكتبة الصقلية : ١٥٢ .

(٢) المغرب في حلى المغرب : ٣٤١ - من كتاب الالحان المسلية - (مخطوط) .

(٣) وفيات الأعيان في المكتبة الصقلية : ٦٣٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٣٩ .

حسام على من ناصب الدين مصلت
وستر على من راقب الله مغدف

يسايره جيشان رأى وفيلق
ويصحبه سيفان عزم ومرهف

مطل على من شاء ه فكأنما
على حكمه صرف الردى يتصرف

يرى رأيه ما لا ترى عين غيره
و يغرى به ما ليس يغرى المثقف

رعى الله من ترعى حمى الدين عينه
ويحمى ربا الاسلام والليل أغضف

والشاعر في مدحه يقتفي أثر المادحين المشارقة حينما يعجبون بشخصية اسلامية ذات موقف بطولي ، فتنساب المعاني الاسلامية الى أسلوبهم الشعرى ، غير أن صورة الاعجاب المفرط بالممدوح صبغت النص بصيغة المبالغة المتمثلة في تفرد الممدوح ، وتمايزه عن بني جلدته حيث يرى ما لا يرى غيره ، ولكن هذا الملحظ لا يخل بشاعرية الشاعر الذى يملك موهبة جيدة تفضي الى الإبداع والاجادة ولا غرو اذن أن يقول عنه ابن دحية: (١) " من أفضل شعراء المغرب المعروفين بالاجادة الموصوفين بالاحسان والافادة "

---

(١) المطرب في أشعار أهل المغرب ، لابن دحية ص : ٥٥ .

ومن الشعراء الوافدين على بلرم أيام الكلبيين صاعد اللغوى الشاعر الأندلسي المشهور ،وقد انتقل الى صقلية طمعا في تحسين وضعه وتغيير حاله ،وكان ذلك سنة ٤٠٣ هـ ففارق البؤس وراجع النعمه ،وعاد مرة أخرى الى الأندلس ولم تطل به الإقامة إذ سرعان ما عجل الانكفاء الى صقلية ومات بها سنة ٤١٠هـ (١)

ولم يطمع شعراء الأندلس وحدهم في صلات الكلبيين ونوالهم بل شاركهم بعض شعراء المغرب الذين هبطوا سوق الأدب في صقلية وخظوا برعاية أمرائها الكلبيين . ومن هؤلاء محمد بن عبدون السوسي نسبة الى بلدة سوسه ،ترجم له ابن رشيق ،وأورد أن أصله من القيروان وأن أباه هو المنتقل الى سوسه . وقد أثنى عليه هذا الناقد المشهور وقال عنه :
" وهو شاعر وطيء الكلام، كلف بعذوبة اللفظ ،والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وسكون جأش ، لا يكاد يلغى بالشعر الا قال ،وكانت له رحلة الى ثقة الدولة يوسف بن عبدالله - يعني الى صقلية - فامتدحه وأضافه الى ولده جعفر فأدناه ،وقربه وكان من أكرم الناس عنده وسأله الرجوع الى وطنه ،ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معاهدة " (٢) فقال :

يا ربع كم لي فيك من غصن

يهفو صباه به ،وكم بدر

---

(١) الذخيرة لابن بسام : ٤/١/٥٥٠

(٢) رحلة التجاني : ص ٣٨ ،٣٩٠

ومناسب الأوصاف أثقله
حقف يكاد ينوء بالخصر
قد طالما عقدت قلائده
مني مكان قلائد النحر
ولثمت صدرا فاح عنبره
من غير ما طيب ولا عطر
وضممت أنفاسي عليه وقد
أشفقت من نفسي الذى يسرى
وكأن صدرى لا ضلوع له
وكأن قلبي بان عن صدرى

ولقد أعجب بهذه القصيدة الأديب الناقد ابن رشيق وقال عنها (١) :
" رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة ،مع مياه تكاد تنبع من جانبه ،فهو أندى من الزهر غب المطر ،وأحلى من الوصل بعد الهجر ". (٢)

ولما سمع جعفر هذه القصيدة ازداد به إعجابا ومنعه من السفر ، فكتب الى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه ولده ،ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه ،ومما قاله متشوقا : (٣)

---------- ---------

(١) المصدر السابق : ٣٩ .
(٢) نفس المصدر : ٣٩ .
(٣) نفس المصدر : ٤٠ .

يا قصر طارق همي فيك مقصـــــور
شوقي طليـق وخطوى عنك مأســور
إن نام جارك إني ساهر أبـــــدا
أبكي عليك وباكي البين معـــذور
عندى من الوجد ما لو فاض من كبدى
اليك لاحترقت من حولك الدور

ولم تستطع رغبة الشاعر الملحة الى العودة الى وطنه أن تتغلب على شهـــوة هذين الأميرين في الاحتفاظ به بالرغم من توسطه بالبدر . قال ابـــن رشيق : (١) " ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين استأذنه في الرجوع الى وطنه ، فعتب عليه وحجبه :

ولما رأيت البدر قمت مسلمـــــا
عليه وأظهرت الخضوع لديـــه
وقلت له إن الأمير ابن يوســــف
شبيهك قد عز الوصول اليـــه
فكن لي شفيعا عنده ومذكـــرا
إذا جئته تبغى السلام عليـــه

قال : فكتب هذه الأبيات ولقيه بها في منتزه له فطرب وأعجب بهـــا إعجابا شديدا وأمر له بمال كثير ، قال والأبيات مأخوذة من قول ابن الرومي :

بالله يا قمر السمـــــا كن لي لمن أهوى شفيعـــا

---

(١) المصدر السابق : ٤٠ .

ولم تقف جهود الكلبيين الأدبية عند صلة الشعراء ، والاحسان اليهم ، بل تعدى ذلك الى استنهاض همم الشعراء ، وإيقاظ مواهبهم الأدبية ، ولا غرو فهؤلاء الأمراء ذووا معرفة بالقريض ، وأصحاب ذوق شعرى ، ويدفعون حرفة الأدب قدما ، وتتجلى عنايتهم بصقل ملكات الشعراء عندما يعن لهم منظر زاه ، أو طائر جميل . فيلتمسون من أحد الشعراء أن يحيل ذلك الى لوحة شعرية على نحو ما فعل الأمير ثقة الدولة وقد حل وسط أرض ناضرة ، فسأل الشاعر أبا محمد الحسن بن محمد الطوبي أن يصنع شعرا فيها فقال : (١)

روض يحار الطرف في زهراته
ويهيج المشتاق من زهراته
يبدى بأصفره بوادى عاشق
ويرى بأحمره لظى زفراته

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ٤/٢/٥٣١ .
قال عنه صاحب المختصر : قطب الأدباء الذى عليه مدارهم ومجلى الفهماء الذى به افتخارهم . وله نثر كالبرود ونظم كالعقود . المختصر : ١٠٣ .

إني اذا ذقت المدامة خلتهـــا

ريق الحبيـب و مجتنى رشفاتــه

وأرى العروضي البديع إذا شــدا

يهدى الى الانسان روح حياتــه

" وكان لابن قاضي ميله صديقان فتقاطعا وندما ،واتفق أن بنى أحدهمـا منزلا فقيل لصاحبه : لست تجد وقتا لمراجعة صديقك أحسن من تهنئتك له بهذه الدار الجديدة فركب اليه وهنأه . وكان على صاحب المنزل قبـاء ديباج ، فيه صور طواويس ،فكرر بصره فيها ذلك القاصد ،فقال له صاحبه : أتعجبك هذه الصور ؟ قال : أجل ! فوهب الثوب له صاحب المنـزل ، فقال له القاصد : وأنا عندى طواويس حية تصلح لهذه الدار ،فلبس صاحب المنزل القباء غلاما وسيما له اسمه نحرير ،كان صديقه يهواه وأهداه اليـه ، وأخذ صديقه الطواويس وأهداها مع غلام اسم بديع كان صاحب المنـزل أيضا يكلف به ".(١)

وقد بلغت هذه القصة الأمير الأكحل تأييد الدولة الصقلـي ، فأعجب بها وأمر الشعراء أن يصنعوا شعرا لتصويرها ،وكان ممن استجاب لذلك الأديب أبو عبد الله بن قاضي ميله ومن بين قوله فيها :(٢)

----

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ٥٣١/٢/٤ .

(٢) نفس المصدر : ٥٣٢ .

ولله يومكما إذ أتـــاك
مبتهجا بتمام البنـــاء
فأنفذ في حضن نحريـــره
طواويس موشيه في قبـاء
فما جنك الليل حتى بعثت
بديعا بكل بديـع المكـاء
بأحسن متخذ في البيـــوت
وأطرف مكتسب في القبـاء
تقابلتما لاختلاف الصفـات
ولولا هما لاختلاف الهـواء
ويعلى الذّنابي مدلا بهـا
على رأسه كانتصاب اللـواء
فتلحظ مرأى يروق العيـون
ويقضى لواصفه بالغنـــاء
هدايا أقمتم لا يصالهـــا
ظباء تجرنيول البهـــاء
وما عاين الناس من قبل ذا
طواويس فوق أكف الظبـاء

ومنها :

وعاين رجليه في معـزل
من الحسن حل عقود البكاء

فيهدم جلوته بعدما
أقام لها محكمات البناء
ومن سام بالنفس عين التمام
نازعه النقص حظ النماء
فيا قمريْ سؤدد قابلا
وجوه السنا بوجوه السناء
إذا الدهر رقّع قدريكما
فقد سربل الدهر ثوب العلاء

ومن مظاهر الرعاية الكلبية للشعر والشعراء الصفح عن المذنب ،والعفو عند المقدرة عن المسيء، فهم الى جانب نظمهم الشعر كانوا نقادا يلمحون مغازي الشعر ،ويدركون معانيه ،وعندما يهمس الشاعر بمعنى بعيد لا يليق ,أو يرمز باشارة خفيفة الى سوء نية فذلك لا يغيب عن أذهانهم لكنهم إن غضبوا لا يتسرعون في العقاب ،ولا يبالغون في العقوبة ،وربما حال دون ذلك غضهم عما حدث ،وعفوهم عمن أساء ، ويسوق ابن رشيق القيرواني خبرا أورده في الأنموذج كدليل على أسلوب التعامل هذا فيذكر أن عبدالله بن إبراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب خرج مرة يريد صقلية ،فأسره الروم ،وأقام مدة طويلة الى أن هادن ثقة الدولة يوسف بن عبدالله بن محمد بن أبي الحسين الروم ، وبعث اليه بالأسرى ،فكان عبدالله المذكور في جملة من بعث ، فامتدح الأمير الكلبي بقصيدة شكره فيها على صنيعه ،ورجا صلته فلم يصله بشيء يرضيه ،" وكانت فيه رغبة ، فتكلم وطلب طلباً شديداً ،وهو مستخف عند

من يعرف أهل صناعته ،وطالت المدة فخرج سكران يشترى نقلا فماشعر الا وقد أخذ وحمله صاحب الشرطة حتى أدخله على ثقة الدولة ،فقال له : ومن هو الذى يقول في شعره : " فالحر ممتحن بأولاد الزنا " قال : هو الذى يقول : " وعداوة الشعراء بئس المقتنى " فتنمر ثم أمر له بمئة رباعي (١) ،وأخرجه من المدينة خشية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد أن عفا عنه. (٢)

وهذان الشطران المستشهد بهما عجزا بيتين من القصيدة النونية التي مدح بها المتنبي بدر بن عمار ومطلع هذه القصيدة هو : (٣)

الحب ما منع الكلام الألسنا

وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وهي من مشاهير قصائده . وصدر العجز الأول قوله :

وانه المشير عليه فيّ بضلة

فالحر ممتحن بأولاد الزنا

وصدر العجز الثاني قوله :

ومكايد السفهاء واقعة بهم

وعداوة الشعراء بئس المقتنى

---

(١) الرباعي : ضرب من العملة تساوى ربع دينار.

(٢) وفيات الأعيان ٦/١٥٧ - ١٥٨.

(٣) ديوان المتنبي ص ١٥١ ،دار صادر بيروت .

ويبدو أن ثقة الدولة قد نما الى علمه استشهاد ابن المؤدب ببيت المتنبي أو حتى عجزه " فالحر ممتحن بأولاد الزنا " أو استشف من شعره ما يوحي الى هذا المعنى ، مما أثار سخطه بعد أن طوقه بصنائعه ، فلما ألقي القبض عليه ، وحضر بين يديه ، آثر العفو والتكريم على العقاب والتنكيل.(١)

---

(١) انظر العرب في صقلية : ٢٣١.

الباب الرابع

موضوعات الشعر الصقلي وخصائص الشعر

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : المدح .

الفصل الثاني : الرثاء .

الفصل الثالث : الوصف .

الفصل الرابع : الغزل .

الفصل الخامس : الخمر .

الفصل السادس : الفكاهة والسخرية .

الفصل السابع : الزهد .

الفصل الثامن : الخصائص الفنية للشعر في ظل الكلبيين .

موضوعات الشعر الصقلي

عالج الشعراء الصقليون مجمل الموضوعات التي تناولها الشعر العربي في المشرق ، ومن المسلم به أن يعكس هذا التناول ثقافتهم المشرقية التي انكبوا عليها ، فقد وضع الشاعر الصقلي نصب عينيه نماذج الشعر القديم ونسج على منوالها ، وأى غرض طرقه الشعراء قديما حذا حذوه شعراء صقلية ، ومن الطبيعي أن تدور موضوعات الشعر في الساحة الأدبية حول الأغراض التقليدية : كالمدح ، والرثاء ، والوصف والغزل ، والخمر ، والزهد ونحوها ، غير أن صلة هذه الأغراض بالأغراض التقليدية القديمة تختلف سعة وضيقا ، فمن أكثر الأغراض رواجا عند الصقليين الغزل والوصف بينما ينحسر موضوع الفخر ويقل تناوله .

ويخيل لي أن المجتمع لم تقو فيه العصبية القبلية أو العرقية كما كان الحال في العصور : الجاهلي والأموى والعباسي حتى يتسنى للقوم التغني بأمجادهم وأحسابهم .

أما الغرض الثاني الذى بات ضعيفا بين شعراء صقلية فهو الهجاء ، الذى لم يلق أذنا صاغية في المجتمع ، ولم يتجاوب معه الشعراء وربما يعلل هذا الانصراف باستجابتهم لميول الحركة النقدية في القيروان التي تنبذ هذا اللون من الشعر ، إذ يتشدد ابن رشيق في موقفه من الهجاء ، ويحرمه ويورد حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - "من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر" (١) أو قد يكون ذلك

---

(١) العمدة : ٢/ ١٧٠ .

احتراسا من سهام الذم أو انسجاما مع كبر السن (١)، وقد دلت بعض النماذج الشعرية على رفض هذا المسلك فالمهاجاة عند ابن الطوبي تقليد لنبح الكلاب ويقول: (٢)

إذا سبك انسـان فدعه يكفك الرب

ولا تنبح على كلـب إذا ما نبح الكلـب

وإذا كان الشاعر العباسي يقول:

إذا جاريت في خلق دنيا

فأنت ومن تجاريه سواء

فالفقيه أبو حفص عمر بن مازوز بن جليل يرى أن مهاجاته للأوغاد شرف لهم ولذلك يحجم عن الولوغ في هذا المستنقع ليحرمهم من هذا الشرف وذلك كقوله: (٣)

إذا سبني وغد تزيدت رفعة

وما العار الا أن تراني أسابه

ولو لم تكن نفسي علي كريمة

لامكنتها من كل وغد تجاوبه

كفى حزنا لي أن وغدا مخاطبي

وبالوغد فخر لو يراني أخاطبه

---

(١) العرب في صقلية ١٩١.
(٢) عنوان الأريب ١/١٣٢.
(٣) المصدر نفسه .

وكما ضعف صوت الهجاء ضعف صوت الحكمة في الشعر الصقلي فما لدينا من هذا اللون لم يعد يشكل أثرا يستحق الوقوف عليه ، وإذا كان من تعليل فربما لأن الزمن لم يفسح لهم المجال للتأمل والتدبر واستخلاص التجارب، فحرم هذا الموضوع من الظهور بين سائر موضوعات الشعر. وإذا كنا قد قطعنا على الشعر الصقلي بأنه أسير التقليد - فالشاعر الصقلي لم يحاول أن يخضع الشعر العربي لشخصيته بل هو خضع له ولموضوعاته في المشرق- فلا يفوتنا أن ننوه بأن الشاعر الصقلي قد أحدث شيئا في الشعر العربي الى حد ما ،يتمثل في ذلك الاثر الذى عكسته البيئة الصقلية وموقعها البحرى ،وتكيف العنصر البشرى مع تلك الحياة الجديدة المتأججة بالفتن والثورات .

وسنحاول عند حديثنا عن موضوعات الشعر الاشارة الى بعض البصمات البيئية والحربية على الشعر الصقلي ولنبدأ بأول هذه الموضوعات وهو المدح .

الفصل الأول

المدرج

الفصل الأول

المدح

ظل شعر المدح كغيره من الموضوعات الشعرية التي خضعت للتقليد عند الصقليين . فالشاعر يتغنى بالمثل العليا التي عرف بها الممدوح : من شجاعة وكرم ووفاء وحزم وبعد نظر ورجاحة عقل ،ونصرة للمظلوم ، إذ هو سيف مصلت على الأعداء . ولقد تحلق الشعراء حول أمراء صقلية الكلبيين يخصونهم بمدحهم ،وينثر عليهم هؤلاء الدراهم والدنانير نثرا حتى غدت مجالس الأمراء منتديات أدبية ،ونوادي شعرية فيها يتنافس المتنافسون ،واستقطبت لفيفا من الشعراء سعوا اليها من كل حدب وصوب ، وشدوا اليها رحالهم ، من أفريقيا والأندلس يطمحون في نيل هبات الكلبيين ويطمعون في صلاتهم ،فغدا بلاطهم يموج بالمترنمين بمواقفهم البطولية وندا هم الجن حتى نرى أبا الحسن على بن/ محمد بن الخياط الربعي يصرح بالاستجداء وأن المدح مطية تحقق غرض ممتطيها فيقول في انتصار الدولة وابنه الكلبيين : (١)

علق رجاءك بالحسين وبابنه
إن العلائق بالكرام أواصر
واعلم بأنك إن غزوت نداهما
بلواء مدحهما فانك ظافر

---

(١) المختار من شعر بشار : ١٧٤ .

ومن يجل النظر في قصائد المدح يلحظ أنها تنهج نهجا تقليديا ، إذ تتصدر بالمقدمة الغزلية التي عرفت قديما وعلل لها ابن قتيبة بأن الشاعر يستهل قصائده بالغزل ليسترعي انتباه الممدوح فيصغي اليه ،وابن الخياط ،أحد الشعراء الذين درجوا على هذا التقليد وبدأ مدحته في ثقة الدولة بالغزل فقال (١) :

طرق الخيال وساء ما طرقا
أخذ الرقاد وخلف الأرقا
عندي سرائر لو نفثت بها
في صخرة لتقطعت قطعا
حب صليت به وأكتمه
لو مس أبكم حره نطقا

وبعد أن يمضي على هذه الشاكلة يتخلص الى ممدوحه فيقول :

ملك تضم الأرض قبضته
حتى تكون جميعها طبقا
يغزو بأدهم في العجاج ترى
لمع السيوف بجسمه بلقا

ولذا اعتمد الشاعر أحيانا على المبالغة في صياغته الشعرية ، وقد يخلع على الممدوح صفات لا تليق بالمخلوق وإنما هي من صفات الخالق

----

(١) عنوان الأريب : ١٣٢/١٣٣.

كما يتضح من البيت " ملك تضم الأرض قبضته " الذى يذكرنا بقوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (١).

وإذا أردنا أن نخضع هذه المقدمات التقليدية لمقاييس النقد العربي فالذى يؤخذ عليها أنها تطول في بعض الأحايين وتستنفذ نفس الشاعر حتى إذا ما تخلص الى ممدوحه قلص مدحه وأوجزه . ومما يروى في هذا الصدد "ما يحكى عن شاعر أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مئة بيت نسيب وعشرة أبيات مديح فقال له نصر : والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك ، فإن أردت مديحي فاقتصد في النسيب" (٢).

ومن الشعراء الذين مدحوا ووقعوا في شرك إطالة المقدمة الغزلية ابن قاضي ميله التي مطلعها (٣) :

يذبل الهوى دمعي وقلبي المعنف
وتجنى جفوني الوجد وهو المكلف

---

(١) الزمر : آية ٦٧.
(٢) العمدة : ١٢٣/٢.
(٣) وفيات الأعيان : ١٥٩/٦.

وبعد أن ينشد الشاعر ثلاثة وثلاثين بيتا في نفس الموضوع يتخلص لممدوحه فيقول فيه :(١)

تقول إذا أفنيت مالك كله
وأحوجت من يعطيك ؟ قلت : يوسف

أغر قضاعي يكاد نواله
لكثرة ما يدعو الى الشكر يجحف

وقد يمزج بعض الشعراء بين هذه المقدمة الغزلية التي اتخذت المرأة موضوعا لها وبين التغني بالخمر وسقاتها على نحو ما فعل بعض الشعراء العباسيين كأبي نواس الذى ثار على النمط القديم وتغنى بالخمر كقوله :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد

وممن سلك هذا المسلك أبو الفتوح محمد بن الحسين الكاتب الذى استهل مدحته بقوله :(٢)

بلا مرية إن العذول لمسرف
غداة اغتدى في مجهل اللوم يعسف

أطال صحيحا من ملامة مدنف
وشتان في أمر صحيح ومدنف

فيا طيبها من كفه إذ يديرها
ويدنى ثناياه الي فأرشف

---

(١) المصدر السابق : ٦/ ١٦٠ .
(٢) الخريدة ـ قسم شعراء المغرب ١/ ٩٥- ٩٦ .
قال عنه صاحب الخريدة : أثنى على نظمه ونثره كثير وذكر أنه كان قدره كبيرا .

وبعدها بأبيات يتخلص الى ممدوحه فيقول :

وماذا عليهم أن أجود بتالدى
وأ فنى طريفى قبل يومى وأتلف
لهم ما اقتنوا ،فليحرصوا في ادخاره
ولي كنز شعر لا يبيد ويوسف

ولقد دار محور المدح عند شعراء صقلية حول المثل العليا على نحو ما أسلفنا وأهمها الاقدام والبطولة والفتك بالاعداء ،وبخاصة عند الأمراء الكلبيين الذين لم يخضعوا صقليه - الجامحة على الغزاة والمستعصية على الفاتحين - الا بعد حروب مريره وقتال عنيف ،وقد جسد الشعر هذه المعارك ،وأشاد الشعراء بانتصاراتهم المجيدة ، وصوروا منظر الأعداء وهم يجرون أذيال الهزيمة . ومن الشعراء الذين حفل شعرهم بهذه الصور ابن الخياط الذى يصف حادثة ظفر بها انتصار الدولة الكلبي على خارجي خرج عليه فيقول (١) :

ظن الامارة ظله فإذا بها
حرب يكاد أوارها يتأجج
ومهندات كالعقائق ماؤها
مترقرق ولهيبها متأجج
لا تستقر العين فوق متونها
فكأنما هي زئبق متدحرج

---

(١) المختار من شعر بشار : ٠٦ .

ومداعس للخيل يرمح وسطها
من غير فارسه طمر مسرج
عقرى وسالمة تعاشر في القنا
العسجدى وذو الخمار وأعوج
طرحت فوارسها على أذقانهم
طرح الكعاب فمفرد أو مزوج
في موطن سلب الحليم وقاره
فكأنما هو مستطار أهوج

والأبيات تتلاحق صورها كتلاحق مفاجآت المعارك يموج أسلوبها بالحركة والاضطراب (١). فالعين لا تكاد تستقر بنظرتها فوق متون السيوف، فلمعانها أشبه ما يكون بلمعان الزئبق المتدحرج، والجياد تضطرب في حمأة الوطيس بعد أن تطاير فرسانها مثنى وفرادى. وهكذا يشيع في النص روح الفروسية في مشاهد حركية سريعة متعاقبة.

وابن الخياط من أبرز الوصافين لهذه الملاحم البطولية التي يحتدم فيها القتال وتستعر فيها نيران الحروب، مستخدما الألفاظ الجزلة القوية الدلالة التي تنفث الخوف والفزع في القلوب. ونراه في الأبيات التالية ينعت ممدوحه بالقوة وشدة البأس ورباطة الجأش في موقف مليء بالأهوال مكتنف بالمنايا حتى ليظن أن السيف مغمد لما يكسوه من دماء بينما هو قد جرد من غمده فغدا عريانا يقول (٢):

---

(١) انظر العرب في صقلية : ٢١٣.
(٢) المختار من شعر بشار : ٦.

ويارب يوم له مسعر   إذا خمدت ناره أوقدا
تخاف به الرجل من أختها   ولا تأمن اليد فيه اليدا
وترمى رجال بأعضائهم   فمثنى تراهن أو موحدا
ترى السيف عريان من غمده   وتحسبه من دم مغمدا

وفي موقف بلغت فيه القلوب الحناجر يتغنى أبو القاسم هاشم بن يونس الكاتب ببطولة ممدوحه الذى استبسل في معركة من المعارك ، ولولا شجاعته وثباته لمني قومه بالهزيمة فيقول : (١)

ويوم تنادوا من يجير من الردى
وما لخيول القوم من متصرف
وقفت أبا نصر تكفكف عنهم
وتطعن بالخطي أشرف موقف

وعلى هذا النحو يمضى الشعراء في ظل الكلبيين في تصوير الحروب والمواقع ويشيدون بمن حققوا تلك الانتصارات فهذا الحسين بن أبي القائد يمدح أحمد بن ثقة الدولة الكلبي ويخلع على الممدوح صفات الاقدام والجرأة ، وأي غزوة يغزوها لا بد أن يتحقق فيها النصر ، وأى حصن لجأ اليه أعداؤه فمصيره الزوال يقول : (٢)

---

(١) الخريدة ـ قسم شعراء المغرب ١/ ٩٨ .
(٢) عنوان الأريب ١/ ١٣٠ .

على العادات فاجر مع الأعادى

وناد بجبك منهم كل نـــاد

فما لحصونهم منك امتنـــاع

ولو أن البناء بنــاء عـــاد

فكم من معقل للعين ســـام

سلكت اليه منهاج الرشـــاد

ويمضى الشاعر في وصف فتك ممدوحه بالأعداء ،وقد أصعد الفرسان على روابي المعركة ،وأحاط بخصومه من كل جانب فأجهز عليهم ،وإن خصومه قد هيمن عليهم الذل والخوف ، فمنهم موثقون من غير وثاق ومصفدون بلا أصفاد مستسلمون لسيفه البتار فكأن رؤوس القـــوم نبات قد أينع وحان حصاده :

وكم أخرجت منها في كميـــن

ومن عضب ومن طرف جـــواد

يغل يديه خوفك عن شبـــاه

فيضحى كالموثـــق في الصفـــاد

لقد أوردتهم بالسيف مـــاء

به ارتوت الطلى وهم صوادى

كأن رؤوسهم كانت نباتـــا

أبادته سيوفك بالحصـــاد

وعلى هذه الشاكلة يمضى الشعراء في مديحهم وكثيرا ما يرسمون صورة الحاكم المخلص الذى يحمى حمى الاسلام ويذود عن حياض الديـــن

وينظر الى الأمور نظرة ثاقبة ، و يتصرف برأى وحكمة يقضي بها ما لا تقضي المواضي وعلى هذا النسق يقول ابن قاضى ميله في مدح ثقة الدولة الكلبي (١):

حسام على من ناصب الدين مصلت
وستر على من راقب الله مغدف
يسايره جيشان : رأى و فيلق
ويصحبه سيفان : عزم ومرهف
مطل على من شاءه فكأنما
على حكمه صرف الردى يتصرف
يرى رأيه ما لا ترى عين غيره
ويفرى به ما ليس يفرى المثقف
رعى الله من ترعى حمى الدين عينه
ويحمى حمى الاسلام والليل أعضف

وعلى هذا النحو يضفي الشعراء هذه المثالية على الممدوح ، و يسبغون عليه صفات النبل والسؤدد فهو عند أبي عبدالله محمد بن عيسى الفقيه ذو هيبة ، يخشى جانبه ،منعم ، منجزه لوعده وفي بعهده ، عزيز من والاه ،ذليل من عاداه ،حريص على فعل الخير ،مستنكف عن فعل القبيح متوج هذه الشمائل بخلق كريم وعقل يزن الجبال رزانة ومن بين أبيات الشاعر قوله (٢):

---

(١) وفيات الأعيان : ٦/ ١٦٠.

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٣٦.

ذوهيبة كالميث الا انه

متردد وله النفوس عرين

بر فليس الوعد منه بمخلف

أبدا وليس العهد منه يخون

فوليه في الاكبرين معظم

وعدوه في الأصغرين مهين

وله الى الفعل الجميل توثب

وله عن القول القبيح سكون

فالظل لا متنقل ، والورد لا

متكدر ، والمن لا ممنون

خلق كنوار الحدائق زاهر

وحجى كأعلام الجبال رضين

ومن المعارف التي حذقها العرب في الجاهلية ،وقوى أثرها في ظل الاسلام علم الفراسة ،ذلك أن فراسة المؤمن تكشف لصاحبها بعض سلوك الآخرين أو هي نوع من الفطنة ليس غير على أن من الباحثين من ربطها ببعد النظر واستطلاع الغيب (١) ،ومن المادحين الصقليين من يمدح أحد الأمراء الكلبيين بتمتعه بفراسة تكشف له خبايا الأيام ،وسوء نيات الآخرين ومن ذلك قول ابن الخياط (٢) :

وكأنما الحدثان خلف زجاجة

تريانه خلل الغيوب شفيفا

---

(١) الشعر العربي في صقلية : ١٢١.

(٢) المختار من شعر بشار : ١٢١.

وكأن أسرار الوجوه تصورت
لكما بأسرار القلوب حروفا
فإذا انطوت يوما بغش نية
نشرت فأصبح سترها مكشوفا

ومن النعوت التقليدية عند المشارقة تشبيه الممدوح بالبدر أو الكوكب كما ورد عند النابغة الذبياني في قوله في مدح النعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن شعراء صقلية الذين شبهوا ممدوحيهم بذلك محمد بن عبدون السوسي الذى مدح الأمير جعفرا بقوله : (١)

ولما رأيت البدر قمت مسلما
عليه وأظهرت الخضوع لديه
وقلت له إن الأمير ابن يوسف
شبيهك قد عز الوصول اليه
فكن لي شفيعا عنده ومذكرا
إذا جئته تبغى السلام عليه

لكن ابن الخياط يشبه الأمير صمصام الدولة وأخاه تأييد الدولة بالفرقدين فيقول : (٢)

---

(١) رحلة التجاني : ٤٠.
(٢) المختار من شعر بشار : ١٨٨.

كلاهما زين أخوه به
كما يزين الفرقد الفرقد
من تره منفردا منهما
في مجلس قلت : هو السيد

ولقد استأثر صاحب الخمس ابراهيم بن محمد الشامي أحد الرجال البارزين في الدولة الكلبية ببعض مدح الشعراء فالحلواني يشد رحاله اليه ،لأنه الحصن المنيع والمعتصم لمن يأوى اليه فيقول :(١)

شدوا الحدوج وزرّوها على قمر
في الحسن تنجاب عن أنواره الظلم

وفيه يقول:(٢)

إن فرق الدهر عنها شملنا فلنا
بصاحب الخمس إبراهيم معتصم

ولقد مدح هذا الشاعر أحد الأمراء الكلبيين ولقبه "بشيخ القبيلة في الجزيرة" وخلع عليه صفات التفرد والهيمنة على الأيام ،وكأن أمرها موكل له لا تتصرف الا عن ارادته ، ولأول مرة يرتفع صوت التمجيد القبلي في مدح شعراء الكلبيين ذلك الصوت الذى يعد نادر الوجود :(٣)

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤/ ١/ ٢٩١. من الشعراء الذين عاشوا في أواخر العهد الكلبي . انظر العرب في صقلية : ١٨١.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٢٩٢.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ١/ ٢٩٣.

شيخ القبيلة في الجزيرة والذى
سبقت ظنون الحاسدين أناته
ما تفعل الأيام غير مراده
فكأنما حركاتها أدواته
هذا الثناء عليك يعبق طيبه
يابن الكرام وحاسدوك رواته

وإذا كانت القضاة تمدح بما يناسب منزلتها من تحرى العدل والانصاف، واستيفاء الحقوق، ورفع المظالم، فابن الطوبي يمدح أحد القضاة خالعا عليه صفات الذكاء والوقار والعدل في الأحكام غير أنه لا يخفى ما في بيتي الشاعر من ضعف في التركيب (١):

بهاء في سناء في ذكاء
جمعت وعظم قدر في علاء
إذا قاض قضى بالجور يوما
فأنت المرء تعدل في القضاء

ولا ريب أن أغلب المدح التي بين أيدينا قد دبجت في أمراء الكلبيين أما أكثر المعاني التي طرقها الشعراء فقد تناولت وصف المعارك والانتصارات في الحروب والتغني ببطولات الكلبيين، ولعل ذلك يعزا لواقع الجزيرة الحربي الذى انعكست آثاره على الشعر أما ما عداها من معاني فهي تقليدية يتغنى فيها الشاعر بالمثل العربية الموروثة .

---

(١) المختصر : ١٠٣ .

الفصل الثالث

الرثاء

الفصل الثانـي

الرثـــــاء

شارك الشعر الصقلي المجتمع فيما يلم به ،فلا يكاد يموت أمير ولا وزير ولا قائد نابه الا يرثيه الشعراء ، وأحيانا يصدر الرثاء لموت قريب أو صديق حميم، فتفيض أبيات الشاعر الصقلي لوعة وحسرة للحادث الجلل ،وتذرف عينه الدمع من حرقة الفاجعة (١) ، وكأن كلمات الرثـاء أنين حار لما يلاقي من جذوة الحزن الملتهبة ،لكن هذه الحرقة وذلك الألم الممض لا يطرد في بعض قصائد الرثاء ذلك أن بعض هذه المراثي و خاصة التي موضوعها أحد الرجال البارزين لا تنم من عاطفة تختنق بالحزن ،وتلذع بنار الفراق ،ولذلك جاءت ضعيفة تقليدية حيث تبدو وكأنها مشاركات اجتماعية وتعزية عادية . أو معيار اختبار لقدرة الشاعر على النظم في هذا السبيل . ومن الملاحظ أن دائرة الرثاء لم تتسع كاتساع دوائر المدح والغزل والوصف ،ويبدو أن هذا الموضوع لم يقو عوده في ظل الكلبيين وانما قوى عند احتلال النورمانديين لصقلية .

ومن الشعراء الذين رثوا أحد أمراء الكلبيين محمد بن أحمد الصقلي المكنى بأبي عبدالله ،فبعد أن وافى الأجل ثقة الدولة رثاه بقصيدة مطلعها "حنانيك ما حي طى الدهر يسلم" وفيها يقول (٢) :

---

(١) انظر الشعر العربي في صقلية .

(٢) المحمدون من الشعراء : ٦٩ .

كان صاحب ديوان الانشاء بجزيرة صقلية وله نظم ونثر . انظر نفس المصدر .

تأمل بعين الفكر تدرك حقائقـــا
من العلم ليست عن ظنون تترجـــم

إذا جاء منك الحين لم تغن رقيـــة
ولم يدفع المحتوم عنك منجـــم

فخذ حذرا من فجأة الموت إنما
تسير على إثر الذين تقدمـــوا

فلو كان مخلوق من الموت ناجيـــا
نجا في رؤوس الشمخ الصم أعصـم

يعز علينا أن توبن هالكـــا
وعادتنا فيك المديح المتمـم

سقى الله أرضا حلها قبر يوسف
من المزن وكافا يجود ويسجم

وصلى عليه الله من متوسـد
يمينا لها في كل فضل تقدم

والأبيات تنم عن فتور في العاطفة وانخفاض في حرارة الفاجعة ، وهي أشبه ما تكون بموعظة دينيه[1] يخلص فيها الشاعر الى أن النفس إذا دهمتها المنية فلا ينفع دواء ولا طب ، وطالما أن مناهل الموت وردها السابقون فلا بد أن ينهل منها اللاحقون ولن يفر من الموت لا قوى ولا ضعيف والشواهد تفضي الى التسليم بهذه الحقائق . ولقد حذا الشاعر حذو القدماء في ضرب المثل بالأفربه المعصمه بروؤس الجبال ، التي لم تستطع النجاة من الموت ، وعلى هذا

---

(١) انظر الشعر العربي في صقلية : ١٩٠ .

النمط التقليدى يدعو بالسقيا على قبر الفقيد ، ويختمها بالصلاة على الفاني الذى كان مبرزا في كل سجية من سجايا الفضيلة .

وعلى هذا النحو تسير بعض القصائد الشعرية التي رثت بعض زعماء المسلمين ، فهذا الشاعر عثمان بن عبد الرحمن السوسى تورد له المصادر قصيدة رثائية وصفت بأنها تحوى فضائل المرثى غير أن التكلف باد على أسلوبها ، فركاب المعالي في عين الشاعر قد هوى بموت الفقيد ،والسرور أُقْصِى ودنا الأسى ، وأنى للشمس والبدر أن تغزوا الوجود بنورهما بعد أن توارى منار المجد والعز ،ولم يستطع ذووه أن يدفعوا عنه ما حدث لكنه استطاع أن يُودع في نفوسهم الحزن والأسى يقول :(١)

ركاب المعالى بالأسى رحله حطـا
وطود العلى العالى تهدم وانحطا
فنائي مساءات الأسى متقـرب
وقرب مسرات السرور لنا شطا
وكيف لنور الشمس والبدر عودة
وهذا منار المجد والعز قد حطا
أصيب فما رد الردى عنه رهطه
بلى ،أودع الأحزان إذ ودع الرهطا

---

(١) خريدة القصر : قسم شعراء المغرب ١/ ٤٦ .
مالطه مسقط رأسه ،وبها تهذب ثم سكن بلرم واتخذها دارا ووجد بها قرارا ،ونيف على السبعين ،وله مرثية في بعض رؤساء المسلمين بصقلية تدل على ما حواه من فضائل . انظر نفس المصدر .

وعلى هذا النمط ينحو الشاعر في قصيدته التي نلحظ فيها ضعف العاطفة ، إذ لا يبدو أثر الحزن في القصيدة قويا ،بدليل أنه عمد فيها الى المحسنات البديعية بالاضافة الى أن القافية التي اختارها من أقبح ما يمكن أن يقع عليه شاعر ولننظر الى بعض أبيات القصيدة لاستجلاء الصورة حيث يقول : (١)

يعز علينا أن ثوى في بسيطه
ورد الردى عن كفه القبض والبسطا

كأن حماما للحمام قد انبرى
لأرواح أهل الفضل يلقطها لقطا

فيا رزء ما أنكى ،ويا حزن ما أبكى
ويا دهر ما أعدى ،ويا موت ما أسطى

عزاء عزاء قد محا الموت قبلنا
ملوكا كما يمحون من كتب خطا

فالأبيات طرزت بهذا الوشي المنمق ،وصبغت بأصباغ الطباق والجناس ، حيث نجد الطباق بين القبض والبسط ،والجناس بين حمام والحمام وبين أنكى وأبكى ونحوها من المحسنات البديعية التي دبجت به أبيات القصيدة وهذه زخارف لفظية طفت على جذوة الحزن والأسى .

----

(١) المصدر السابق : ٤٧ .

ولما وافى الأجل الأمير مستخلص الدولة رثاه ابن الخياط بقصيدة مشيدا فيها بفضائل الكلبيين ومعزيا بفقد الأمير مستخلص الدولة ،والأبيات تشيع بروح التفاني والاخلاص (١) الذى أكنته بعض العناصر العربية لهذه الأسرة الكريمة التي عمرت البلاد ورعت الآداب ،فاذا أفل نجم من نجومها فكأن الجزيرة قد أحاطت بها الذئاب من خلال ذلك الثغر الذى انفتح بموته ،وليس هناك من يذود عنها فكأنها لحم على وضم فيقول : (٢)

ليسلكم أن الجزيرة بعدكم

كما قيل في الأمثال لحم على وضم

----

(١) العرب في صقلية : ٢١٤.

(٢) المختار من شعر بشار : ٢٨٧.

تركتم بقايا حسنكم في ضرابهـــــا

كما ذبل النوار في خلل الحمـــم

وجوه كأن الله قال لمائهـــــا

ترقرق حياء وامزج الحسن بالكرم

كأنهم فوق الأسرة أنجـــــم

سعود وفي الهيجاء ضراغــه بهم

ومن طريف ما نجده في هذه المرتبة التشبيه المبتكر الذى انتزعه الشاعر من بيئة الصقليه التي كثيرا ما شاهد فيها ثورة بركان "اتنا" (١) التـــي تزحف حممه على الرياض والزهور ، فتختنق زهوره ،ويذبل نواره ، فهـذه الفتن والاضطرابات التي تشتعل أحيانا في الجزيرة وتفسد صنائـــع الكلبيين أشبه ما تكون بذلك البركان الذى يفسد طراوة الزهور ويشـــوه جمالها :

تركتم بقايـا حسنكم في خرابها

كما ذبل النـوار في خلل الحمم

ولم يقف شعر الرثاء عند هذا الحد بل شمل أيضا رثاء الرجال الصالحين الذين تزودوا بالعمل الصالح ،واستعدوا ليوم الحساب ، وورث فقدهم الحزن والحسرة في قلوب الناس ، ومن هذا اللون مرثية أبي عبدالـــه التي نظمها في أحد هوءلاء الصالحين والتي يشير في مطلعها الـــى عادة اعتادها الصقليون وهي ارتداء السواد حين المشي خلـــف

----

(١) العرب في صقلية : ٢١٤ .

الجنازة وفيها يقول :(١)

سعوا مشاة وهم في الزى أغربة
مسودة من وراء النعش تتبع

ولم يكن لهم بالعيد من فرح
ولا لهم في التسلي بعده طمع

لو يفتدى لافتدته من عشيرته
ذوو الحفيظة والأنصار والشيع

لكن من غاله الموت المحتم لا
يفدى ولا من ينوب الخطب ينتزع

جاءت ملائكة الرضوان معلمة
بأنه بجنان الخلد مرتفع

وقد أعدت له أعماله غرفا
فيها لأنفس أهل الفضل مرتبع

ومع أن القصيدة وصفت في عصرها بأنها " مما يحل للقيام حبى المستمع الجاني "(٢) - أى أنها موءثرة - الا أننا نلحظ في هذه الأبيات الضعف والصنعة اللتين تبدوان على كل بيت من أبياتها .

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ١/٣٨ .

واذا كانت قصيدة الرثاء هي مظهر ذلك الحزن الذى تفيض به قلوب الشعراء والتي من خلالها يقاس هذا التأثر قوة وضعفا ، ففي قصائد الرثاء التي نظمت في موت الأقارب من البنين تتجلى قوة التأثر ، وتوقد لهيب الحزن ، الذى فاضت به مهج الشعراء وانكوت بناره ، ومن أمثلة ذلك هذه الأبيات التي ينزف قلب قائلها على موت أخيه ، فالحزن العميق الذى امتلأت به نفس أبي عبدالله الصقلي/ محمد بن الحسين الفرني الكاتب شع وقعه على قيثارته الحزينة حينما عيل صبره بفقد أخيه الذى كان يده وسيفه ورمحه ، فتحدر دمعه جاريا غير منصت لقولة لاح أو عذول ، وكيف يشعر بالسعادة في حياته وقد بات مهيض الجناح فقال: (١)

أبا حفص فقدت الصبر لما
رأيتك تحت أطباق الصفاح

وكنت يدى وسيفي عند بطشي
ورمحي عند مشتجر الرماح

ولست وإن لحاني من بكائي
عليك بسامع ما قال لاح

ولا أرجو صفاء من زمان
يغص المرء بالماء القراح

وكيف وقد فقدت لذيذ عيشي
لفقد أخي وهيض له جناحي

---

(١) المحمدون من الشعراء : ٢٥٨ .

وعلى هذا النمط يسير رثاء الشعراء لأقاربهم، فهو رثاء صادق يمتزج بالحزن والحسرة ولا تبدو فيه الصنعة والتكلف كما هو الحال في رثاء الأمراء والقواد، وإذا كان ثمة ملحظ في هذا اللون فهو انعدام رثاء المدن والامارات الفاربة والذى ظهر عند المشارقة وشاع في بلاد الأندلس لكنه كان غائبا في الشعر الصقلي في ظل الدولة الكلبية لأنّ عصر الكلبيين لم يشهد فقدان المدن وذهابها الى أيدى النصارى كما وجدت في الأندلس مثلا لأنّ الكلبيين استطاعوا طوال مدة حكمهم أن يحافظوا على أرضهم ويذودوا عن حماهم.

الفصل الثالث

الوصف

الفصل الثالث

الوصـــــــف

الوصف أحد الموضوعات الرئيسية التي شغف بها الشعراء الصقليون ، وبه يعرف مدى امتزاج الشاعر ببيئته ،ولقد سجلت قرائح شعراء صقلية انطباعها عن كل ما تقع عليه العين ، حتى لتحسب الشعر أشبه ما يكون بآلة التصوير التي تنقل الصورة الزاهية من مختلف مظاهر الطبيعة، والمتأمل في شعر الوصف يجد أن بلابل الشعر قد تغنت بمظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة ،وترنمت ببعض الموضوعات التقليدية كالشكوى من الشيب والخضاب والحنين الى الشباب ، ولم يغب عن الشعراء تصوير بعض المظاهر الحضارية في صقلية كالرقص والغناء ووصف الحلى النفيسة والأدوات المعدنية ونحوها .

أولا : وصف الطبيعة :

افتتن شعراء صقلية بجمال الرياض والبساتين افتتانا شديدا ، فتنة خلبت ألبابهم وملأت عليهم حواسهم ،وملكت عليهم قلوبهم ،ولا غرو أن تجتذب مشاهد صقلية أنظارهم وتستأسر أفئدتهم فقد حباها الله من الجمال والطبيعة الساحرة والأنهار الجارية ما جعل الزائر لها يحس به وينبهر شاعرا كان أو غير شاعر ولهذا أفاض مؤرخو العرب في وصف مشاهدها كما أفاض الشعراء في التغني بمناظرها ، يقول ابن جبير : " وهي بهذه الجزائر أم الحضارة ،والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة ، فما

فما شئت بها من جمال مخبر و منظر ،ومراد عيش يانع أخضر ،عتيقة أنيقة ،مشرقة مونقة ،تتطلع بمرأى فتان ،وتتخايل بين ساحات وبسائط كأنها بستان ، فسيحة السكك والشوارع ، تروق الأبصار بحسن منظرها البارع ،عجيبة الشأن ، قرطبية البنيان ". (١)

لقد استدرت رياض الجزيرة ملكة الشعر ،فوهب الشعراء رحيق شعرهم في تصوير الرياض والمتنزهات ،وكأن الشاعر رسام يرسم بريشته تلك المناظر الخلابة ، على شاكلة ابن الطوبي الذى رسم لوحة فنية لروضة غناء زاهية ، لم يقف الشاعر عند نطاق الوصف الحسي فحسب ، بل مزج ذلك الوصف بمشاعره وأحاسيسه فقال: (٢)

روض يحار الطرف في زهراته
ويهيج المشتاق من زهراته
يبدى بأصفره بوادى عاشق
ويرى بأحمره لظى زفراته

فالبيتان لوحة فنية لجمال ذلك الروض الذى هيج صبابة المشتاق وحفل بزهور متباينة الألوان من أصفر وأحمر ،ويحلق خيال الشاعر ليرمز بلون الزهر الأصفر الى العاشق الذى أسقمه العشق ،وباللون الأحمر الى تلظى زفرات العاشق .

---

(١) رحلة ابن جبير - المكتبة الصقلية ص ٦١ .
(٢) مختصر الكتاب المنتخل من الدره الخطيرة : ١٠٣ .

وإذا كانت صقلية غنية بمحصولاتها الزراعية ،وثمارها اليانعة ، والتي أضفت على جمال الطبيعة حسنا وبهاء ،فان هذه الثمار لم تغب عن مخيلة الشاعر الذى استمد منها بعض صوره أو وصفها وصفا دقيقا فابن الطوبي لم يلمح جمال التفاح في شجره الأصلي ولكنه لمح جماله من الخدود فقال :(١)

بخدك آس وتفاحة وعينيك نرجسة ذابلة

وريقك من طيبه قهوة فوجهك لي دعوة كاملة

أما شكل اللوز ولذته فشبهه بصرة تحمل لؤلؤة وقد صبغ غلافها باللون الأسود :(٢)

أرابك اللوز له لذة

تجل عن وصف ومقدار

أنظر اليه فله خلقة

قد أحكمتها صنعة البارى

لؤلؤة في صُرّة ضمنت

حقا وقد قُير بالقارى

---

(١) خريدة القصر - قسم شعراء المغرب : ٥٧.

(٢) المصدر السابق : ٦٠.

ولقد أطنب الشعراء في وصف المنتزهات والفوارات التي أضفت اليهـــا يد الانسان فتنة وبهاءًا ومن هذه المنتزهات موضع يسمى (البروج) الذى اسهبت في وصفه شعراء صقلية حتى ليتتبع بعضهم في قصائده أنواع الزهور مصورا ألوانها ومشيدا بجمالها ومن ذلك قول الأمير عبدالله بن سليمان الكلبي : (١)

ألا رب يـوم لنـا بالمـــروج
بخيـل الضيـاء جواد القطـــار
كأن الشـقيق بها وجنـــــة
بآخرهـا لمعـة من عـذار
كأن البنفســـج في لونــــه
اختــلاط الظـلام بضوء النهـار
وسوسنهـا مثل بيض القبـاب
بأوساطهـا عمـد من نضـــار
ترى النرجس الغض فوق الغصون
شبيه المصابيح فوق المنـــار

فالتصوير الحسي عند الشاعر قائم على التشبيه ، فالشقائق كلون الوجنات ، ولون البنفسج أشبه ما يكون بامتزاج ضوء النهار بسواد الليل ،والسوسن يبدو بساقه الطويلة وأوراقه الملتفة ، كالقبه المركبه فوق عمـود من الفضة ،والنرجس يتراءى للمبصر بالمنار البحرى الذى تعلـــوه المصابيح ،وللمتأمل أن يلمس أثر البيئة البحرية في التشبيه الذى صور به الشاعر النرجس، ولكن غرامـه بهذه الصورة المطردة لذلـــك

------ ------------

(١) فوات الوفيات ٢/ ١٧٦ .

المنظر الخلاب قد أرهقه ، وربما كان يود أن يظهر مقدرته الفنية على التصوير .

ومن المتزهات التي وردت على ألسن الشعراء المعسكر الذى وصفه ابن الأضبطي الكاتب فقال (١) :

أنا في المعسكر مفرد في جحفـــل
من نوح قمرى ورنة بلبـــل
فكأنما يلقي علي بصوتـــه
نغمات معبد في الثقيـــل الأول

وطبيعة البلاد الحربية (٢) أوحت الى الشاعر أن يتخيل أنه في جيش من البلابل والطيور التي تعزف على أوتارها ، وتتداخل نغماتها ، وتمتزج ألحانها التي تذكره بصوت أحد مغني العصر الأموى عندما يعزف على ايقاع الثقيل الأول .

وشبيه بهذه الروح الحربية التي تمتزج أحيانا بأوصاف الشعراء قول أبي عبدالله الحسن بن أبي على القار (٣) :

أرى المعسـكر قد صفت مواكبـه
فجمعت كل أحمال تحاربـه
قضبانها الملد أرماح أسنتهـا
ثمارها ، وسواقيها قواضبـه

---

(١) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ٩٩ . هو أبو على الحسن بن علي بن محمد ، الكاتب المعروف بابن الاضبطي أحد الكتاب الافراد والكرماء الأجواد ، واكثر شعره في الحث على اقتناء المحامد وبذل الطارف فيها والتالد . انظر نفس المصدر .

(٢) انظر العرب في صقلية : ١٧٤ .

(٣) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ١٠٥ .

وللربيع في هذا المنتزه طابع خاص ،فقد رد على الأشجار لباسها ،ووشى الأرض بأنواع الزهور والورود ، حتى ليتراءى للشاعر أن الربيع قد سطا على لون الخدود فصبغ به الأشجار الوردية التي تزهو بألوانها المختلفة . يقول الحسن بن أحمد الكاتب:(١)

أنظر الى ورد المعسكر قد كسا
أشجاره نورا يخيل نارا
جاء الربيع لنا به فكأنما
سلب الخدود وألبس الأشجارا

أما المنتزه الثالث الذى نال إعجاب الشعراء فهو منتزه المعتزية المعروف بقصر الفوارة الذى شاده الأمير جعفر الكلبي قرب بلرم . وكان هذا القصر يطل على فناء ذى أروقة جليلة وبحيرة تجتمع فيها مياه فوارتين : الكبرى والصغرى . وتنعكس فيها صورة النخيل المغروس على ضفافها ، وكان يقال لهذه البحيرة "البحر الحلو" وكانت تبارى بجمالها بحر خليج بالرمو الأزرق(٢) وممن تناول وصف هذا المنتزه عبدالرحمن بن أبي العباس الكاتب فقال :(٣)

----

(١) المصدر السابق : ١٠٤.

(٢) المسلمون في صقلية : ٥٢ - ٥٣. وانظر الشعر العربي في صقلية :٩٢.

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٢٥/١.
لم يترجم له صاحب الخريدة ولكنه نسبه الى مدينة اطرابنش (TPAPANI)

فوارة البحرين جمعت المنى
عيش يطيب ومنظر يستعظم
قسمت مياهك في جداول تسعة
يا حبذا جريانها المتقسم
في ملتقى بحريك معترك الهوى
وعلى خليجك للغرام مخيم
لله بحر النخلتين وما حوى البحـ
ـر المشيد به المقام الأعظم

وواضح أنه يصور تدفق الفوارتين وانتظام مياهها في تسعة جداول لتشكل رسما هندسيا على خريطة المنظر العام للمنتزه الذى يطرب بجماله الزوار ويستهوى بفتنته العشاق . ولم تقف الصورة عند الشاعر الى هذا الحد ، بل تلتقط آلة تصويره جزئيات المشهد في تشبيهات مطردة ، فالماء الصافي المنحدر من الجداول در مذاب ،وأغصان الرياض تشرئب بهاماتها رانية الى حوت البحيرة السابح في مياهها ،والبلا بل تغرد في سمائها ، كما صور النارنج الزاهي فوق الأغصان بنار توقد على قضيب الزبرجد ،أما اصفرار الليمون فقد أشبه اصفرار العاشق الذى أسقمه النوى فقضى ليله متضجرا ،ويمضى الشاعر في تعداد جزئيات المشهد حتى لتوحي له النخلتان اللتان تشرفان على البحيرة بصورة العاشقين الوجلين اللذين تحصنا في معقل منيع، أو متهمين أخذا يتطاولان ليتبدد عنهما ذلك الاتهام وأخيرا يدعو للنخلتين بالسقيا المستديمة فيقول :(١)

---

(١) المصدر السابق .

وكأن ماء المفرعين وصفوه
در مذاب والبسيطة عندم
وكأن أغصان الرياض تطاولت
ترنو الى سمك المياه وتبسم
والحوت يسبح في صفاء مياهها
والطير بين رياضها يترنم
وكأن نارنج الجزيرة إذ زها
نار على قضب الزبرجد تضرم
وكأنما الليمون صفرة عاشق
قد بات من ألم النوى يتألم
والنخلتان كعاشقين استخلصا
حذر العدى حصنا منيعا منهم
أو ريبة طلقتها فتطاولا
يستمحيان ظنون من يتوهم
يا نخلتي بحرى بلرم سقيتما
صوب الحيا بتواصل لا يصرم

لقد اجتهد الشاعر نفسه في محاولة ابراز صورة ذلك المنتزه الفاتن ، مستجليا دقائقه مصورا جزئياته ، معتمدا على عنصر التشبيه في وصل الجزئيات بعضها ببعض ، متكلفا عناء البحث عن الصور التي يتوخى فيها الربط بين خطوط الصورة الكاملة ، ولعل ضعف العاطفة والأسلوب سمة من سمات هذا النص (١) الذى عمد فيه صاحبه الى تكرار بعض الألفاظ

---

(١) انظر ما جاء في الشعر العربي في صقلية : ١٩٢ .

بدون حاجة للتكرار كلفظ النخلتين الذى كرره في البيت الأخير بدون داع ولم يجد ما يقوله سوى أن يدعو لهما بالمطر ، أو تشبيه النخلتين في علوهما بالمرتاب الذى برز أمام الأنظار لتنتفى عنه الريبة ، وهو تشبيه في نظرى لا يتلاءم معروح النص المبنى على الاثارة والاعجاب مثله مثل تشبيه الليمون بعاشق اعتل فاصفر لونه من سهر الليالي .

وعلى كل فلقد استطاعت هذه المناظر أن تجذب انماطا شعرية تشيد بجمال الطبيعة وتتغنى به . على الرغم من تباين هذه القيم الفنية وتذبذبها قوة وضعفا . وإذا كان وصف الفوارة في شعر الشاعر جاء جزءا من المشهد الذى تناوله ، فمن الشعراء من أفرد هذه الفوارات بصورة مستقلة وتنافسوا في وصفها ، فأبو بكر محمد بن سهل يصف فوارة تقذف ماءها الى أعلى وتتخيل أن لها ثارا في السحاب الذى أمد الأرض بالماء المنهمر فترد عليه ما أنزل اليها . فيقول : (١)

وفوارة ثأرها في السماء
فليست تقصر عن ثارها
ترد على المزن ما أسبلت
الى الأرض من صوب مدرارها

----

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١٠٠ .
هو محمد بن سهل ، ابو بكر الكاتب الصقلي المعروف بالزريق ، أحد كتاب الحساب بجزيرة صقلية ، وله نظم ونثر - المحمدون ٣/٣٤٠ .

ولقد تطرق بعض شعراء صقلية الى وصف برك الماء ، وان كان هذا الموضوع لم يكن جديدا في صقلية بل تناوله المشارقة على نحو ما صنع البحترى في وصف بركة المتوكل غير أن البحترى الذى يملك أدوات التصوير استطاع أن يصف منظرها بصورة شمولية مع دقة في التصوير والتعبير بينما لا تشمل الريشة الصقلية كامل خطوط البركة الحسناء وانما وقفت عند جزئية من جزئياتها مازجة ذلك الجانب باحساس الشاعر ومشاعره على نحو ما صنع أبو الحسن على بن محمد الصقلي في وصف بركة ماء حيث تراءت له صورة القمر فيها ليلا - والرياح تحرك تلك الصورة - بقلب العاشق الصب الذى يخفق من الوجل .(١)

بركة للماء تطـــــرد للصبا في متنهـــــا زرد

بان في احشائها قمـــر مثل قلب الصب يرتعـــد

أما ابن الخياط فيشبه الماء السائل الذى يصب عبر جدول في البركـــة بالسيف في حين يشبه اجتماع الماء في البركة عندما تهب الريـــــاح بالدرع فقال :(٢)

حتى استقرت لديـه في قرارتهـــــا

ثم استمرت بـه في مرمر ســـــرب

---

(١) المختصر : لوحة ١٠٤ .

(٢) المختار من شعر بشار ٣١٩ .

لها على الجمع والتفريق أمثلة

في الدرع مسرودة والسيف في الشطب

ولم يقف شعراء صقلية عند حدود هذه الأوصاف بل انبروا الى وصف الليل والبدر والنجوم والبرق غير أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن وصفهم لهذه الجوانب كان تقليديا ،فالليل عند هؤلاء هو ليل امرىء القيس والنابغة طويل، لا تتزحزح نجومه ،ولا ينتهى الى الصبح . وهو عند ابن الخياط الصقلي بطيء الحركة ،مستقر النجوم . كثيف الظلام إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها ، فيقول: (١)

عرفت طريق السّهد عرفاني البكا

فهل لطريق النوم من أثر يقفى

---

(١) المختار من شعر بشار ١٤١.

فناهيك من ليل بطـيء مـداره
تبيت ركاب النجم في أفقه وقفا
حنادس لم يسبق السرار بجوهـا
سنا تبصر العينان من نوره الكفا
يقهقر فيها كل نجم كأنمـا
يرى كل قدام لحيرته خلفا

واذا كان الليل عند النابغة الذبياني قد تطاول حتى ظن أنه ليس بمنقض، فالدهر عند أحد الصقليين قد تحول الى ليل لا يفضي الى نهار ، ولعل سبب هذا التطاول ذلك الطيف الذى ألهب احساس الشاعر فلم يسمح له بالوصل حتى لكأنما الخيال قد تضامن مع من يهوى فناصبا المسهد العداء والهجر وفي ذلك يقول محمد بن سدوس النحوى (١) :

تطاول هذا الليل حتى كأنمـا
هو الدهر لا صبح ينير ولا فجر
وضن علي الطيف بالوصل في الكرى
فيا عجبا حتى الخيال له هجر

ولم يغب جمال الطبيعة الصقلية عن خيال ابن الخياط حينما شكا من طول

---

(١) عنوان الأريب ١٢٨/١ .
يكنى بابي عبدالله برع في النحو على أهل زمانه وكان النظم والنثر طوع عنانه وكان كاتبا للكلبيين وهو من الشعراء الذين عاشوا من أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . انظر المحمدون ص ٣٣٩ وانباه الرواة ١٥٠/٣ .

الليل فشبه المجرة في لمعانها بالجدول بينما النجوم تشبه الحصا المرصوف على ضفاف ذلك الجدول فقال :(١)

بل رب ليل بت أنشد صبحه
فكأنني أضللت منه تليفا
ليلا حسبت به المجرة جدولا
وحسبت أنجمها حصى مرصوفا

وحينما يومض البرق يهيج ذكرى الشاعر فيتذكر الأيام الخوالي والأحبة الذين آنسه قربهم فكأن البرق مفتاح ذكريات الشاعر والنافذة التي يطل عبرها الى الماضي ،ومن خلال هذا التذكر تبدو براعة بعض الشعراء في تصوير البرق كقول أبي الحسن الكاتب في تشبيه لمعان البرق على جلابيب بالظلام بسيوف تقلب على ثياب زرقاء :(٢)

بدا البرق من نحو الحجاز مذكرا
بسلمى وسعدى والتذكر ينصب
يلوح على لون الدجى فكأنه
سيوف على زرق الثياب تقلب
فلله برق عذب القلب لمعه
أكل محب بالبروق معذب

----

(١) المختار من شعر بشار : ١٤٠

(٢) عنوان الأريب ١/١٢٩٠

وأغلب الظن أن الصورة لم تكن جديدة بل مطروقة منذ القدم ولعل الشاعر قد نهج هذا النهج التقليدى ليعكس لنا أثر ثقافته الأدبية المستمدة من الذكريات المشرقية .

والبدر عند ابن الطوبي ملك ، أما المريخ فهو شمعة تتوقد بين يدى الملك فيقول : (١)

وكأن البدر والمريخ إذا وافى اليه
ملك توقد ليلا شمعة بين يديه

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٨٢ .

ثانيا : وصف الشيب والخضاب :

من الجوانب التقليدية التي تعاورها الشعراء وصف الشيب والخضاب ، والشاعر الصقلي واحد من أئمة الشعر التي عالجت هذا الموضوع ومزجته باحاسيسها ومشاعرها ، ولا ريب أن الشعراء قد وقفوا من الشيب موقفين : الأول رضي وسلم بالأمر الواقع ورأى أن هذه سنة الحياة ، ولا مناص من استقبال الشيب وعدم التبرم به ، والثاني شعر بالامتعاض من هذا الضيف الثقيل فلم يفسح له المجال ، وتنكر لقدومه وعالجه بالنتف أو بالخضاب ، ومن هؤلاء أبو الحسن : الذى انتابه الخوف عندما بدت شعرة بيضاء بعارضه فبادرها بالنتف فساءها تصرفه وقالت له : ما أنا الاطليعة جيش جاء يزحف من خلفي " ويقول : (١)

وزائرة للشيب حلت بعارضي
فعاجلتها بالنتف خوفا من الحتف
فقالت : على ضعفي استطلت ووحدتي
رويدك للجيش الذى جاء من خلفي

والشاعر في أسلوبه الحوارى المعتمد على التشخيص، لا يخفي وجله من الشيب و يعلم أن النتف حل مؤقت لا يفيد في دحر الجحافل القادمة من الشيب .

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٩٠١ .

والشيب عند أبي عبدالله محمد بن القاسم نقطة تحول من عصر الشباب الى عصر الضعف والهوان ،وصاحبه يشعر بالاحباط حينما يتنكر له الأحبة من غير زلة بدرت منه سوى وقوعه ضحية لمكر الواشي الذى غرس العداوة بينه وبين من يحب وواشيه هنا ليس ممن ينمقون الحديث لكن أثره في القلوب أقوى وأوقع ، إنه الشيب الذى كان سببا في إعراض الغواني عنه ،ولك أن تلحظ جمال الاستعارة في البيت الثالث ،وأثرها في تجسيد الصورة وتوضيح المعنى . يقول:(١)

أساء صنيعا شيبه بشبابه
وأوقف خطاب الخطوب ببابه

تجنبه الأحباب من غير زلة
سوى ما تبدى من فضول خضابه

وما إن وشى واش به فأجبته
ولكن شيب العارضين وشى به

ومن كانت الخمسون منه قريبة
تباعد عن نيل المنى باقترابه

بنفسي شباب بان غير مذمم
ووكل قلبي بالأسى وعذابه

ومن الشعراء من يأنس بالشيب ،ويرتاح له ،ويرى فيه الوفاء

----

(١) المصدر السابق : ١/١١٨.

بينما يرى في الشباب الغدر ومفارقة الخلان فيقول: (١)

يا باكيا للشباب إذ ذهبا
بكيت في اثر غادر هربا
الشيب أوفى منه بذمته
هل فارق الشيب قط من صحبا ؟

وإذا كان الليل يفضي الى الصبح فالشباب يفضي الى المشيب ، والليل والشباب حيارى حتى يهتديا بالصبح والمشيب وفي هذا المعنى يقول ابن الطوبي : (٢)

بكى الشباب رجال بئس ما صنعوا
والشيب أفضل في التحصيل والنظر
إن الشباب كليل ضل مسلكه
والشيب كالصبح يهدى العين للأثر

ومن الناس من يصطبغ بالخضاب ليستر ما بدا من الشيب ليظفر برضا الأحبة ، لكن أبا عبدالله محمد بن الحسن خضب شيبه ليحجب السرور عن عداته كموء شر لدنو موته : (٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

ما خضبت المشيب للغانيـــــــات
لا ولكن سترته عن عداتــــــي
حـذرا أن يروا مشيبي فيبـــدو
لـي منهم سرورهم بوفاتـــــي

ثالثا : وصف مظاهر الحضارة :

تفاعل الشعر الصقلي في ظل الكلبيين مع جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية والحضارية ، فوصف الشعراء المغنيين والراقصات وآلات الطرب كما وصفوا بعض أدوات الحضارة وأواني المنزل كالسكين والحمام وفصوص الخواتم ونار الفحم وسنعرض لبعض هذه الأوصاف فيما سيأتي .

الغناء والرقص :

"كان للغناء شأنه بصقلية حتى أن أحد ملوك الأندلس استقدم من الجزيرة مغنيا صقليا افتتن به وهذا على تقدم ذلك الفن في الأندلس وتبسطهم فيه ما يشهد بكبير تقدمه في صقلية الصغيرة".(١) وقد كان الغناء يشغل جزءا من الحياة الصقلية التي تميل الى اللهو أحيانا ، وتأنس لأصوات المغنين وايقاعات أدوات الطرب ، وكلما شعر الصقلي بشيء من الملل أو حل به طارق هم فرّ الى الغناء ليطرد بوتره ذلك الهم ، ويقول أبو عبد الله محمد بن الحسن الطوبي في ذلك :(٢)

---

(١) المقتطف . مقال للأستاذ أمين الخولي بعنوان (المدينة العربية في صقلية) ص ١٤٦ نوفمبر سنة ١٩٢٣م .

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ٥٩/١ .

إذا غنى يزيل الهم عنا
ويأتينا بما نهواه منه
له وتر يطالب كل هم
بوتر فالهموم تفر عنه

ويشير أحد الأمراء الكلبيين الى إحدى النزه التي قضاها مع صحبه في مروج صقلية الخضراء، وكيف أنهم يصطحبون آلات الطرب والجواري المغنيات، ويرسم صورة لذلك المكان الذى تتعالى فيه أصوات المعازف، وتتجاوب معه أنغام القمارى فتتألف من هذه العناصر وصلات موسيقية رائعة وفي هذا يقول الأمير عبدالله بن سليمان الكلبي: (١)

أقمنا نسابق صرف الزمان
بدارا الى عيشنا المستعار
تجيب لصوت الغناء القيان
إذا ما أجابت غناء القمارى
وتصبح عيداننا في اصطخاب
تلذ وأطيارنا في اشتجار

وكما تلذذ الصقليون بسماع الغناء تلذذوا بمرأى الراقصة التي تترجم ايقاعات الموسيقى الى حركات ساحره، وكثيرا ما تذكر الراقصة في الشعر الصقلى وهي تحذق التوقيع بقدميها، فكأن في رجليها عوداً و

---

(١) فوات الوفيات : ٢/٢٦٧٠

مزمارا ونأيا كقول ابن الطوبي في وصف راقصة (١) :

راقصة كالغصن من فوقه
بدر منير تحت ظلماء
تلهب مثل النار في رقصها
وهي من النغمة كالماء
كأنما في رجلها عودها
وزامر يتبع بالناء
ساحرة الرقص غلا مية
منها دوائي وبها دائي
اذا بدت ترقص ما بيننا
يرقص قلبي بين أحشائي

ومع أن الشعر الصقلي أعطى صورة حية لمجتمع يهوى الرقص ، الا أن هذا اللون لم يعرف بالمشرق ، فالشعر الصقلي يتفرد عن الشعر المشرقي برصد حركات رجلي الراقصة وتوافقها مع النغم ، ويبدو أن الصقليين ابتدعوا هذا الفن ثم انتقل بعد ذلك الى الأندلس مع من هاجر الى الأندلس من شعراء صقلية كأبي العرب الصقلي وابن حمديس وإن كانت المسألة فيها نظر عند الدكتور احسان عباس عندما لفتت نظره راقصة في شعر ابن حمديس فقال (٢) : " وفي ديوان

---

(١) الخريدة - قسم شعراء المغرب ١/ ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) العرب في صقلية : ٢٠٢ .

ابن حمديس صورة مستوفاة للراقصة التي أرسلت شعرها طويلا متموجا، ولبست ثيابا ملونة تجر ذيولها، وهي توافق النغمات بقدميها وتومىء الى كل عضو بما يحل فيه من أثر الحب، فإن ذكرت دمعا أشارت الى العين، وإن وصفت وجدا أشارت الى القلب وهي مع ذلك تعبر عن تدلل المحبوب، وتذلل المحب بما يليق بها من الاشارات الحسنة والحركات المنبهة على ما أرادت. ولكن لا أجزم بأن هذا النوع من الرقص كان موجودا بصقلية، والخبر في الديوان لا يعين هل هو رقص أندلسي أو صقلي، فإن كان صقليا فهو قد انتقل منها الى الأندلس، وعرفه الأندلسيون، وليس هناك ما يمنع أن يكون مشتركا بين البلدين".

وإذا كان الغناء عند أبي بكر محمد الكومى يشنف الأذن فالرقص ابداع يسر الناظرين وفي ذلك يقول[1]:

ما ان رأيت كراقص ... مستظرف في كل فن
يحكي الغناء برقصه ... كمراقص يحكي المغنى
رجلاه مزمار وعو ... د في نهاية كل حسن
فهو السرور لكل عين ... والنعيم لكل أذن

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١٠٤.

وكما وصف شعراء صقلية الرقص وطريقتهم فيه وصفوا أدوات اللهو والغناء غير أن الوصف عندهم يعتمد على الملاحظة الخارجية كما نلحظ عند أبي عبدالله الحسين بن أبي على القائد في وصف عود غناء حيث يقول : (١)

ومعاهد آنسنني بأوانس
يدنو السرور بها وفيه شطون
خمص البطون صدورها أفواهها
جعلت لها بدل النهود عيون
وذوات ألسنة أسر حديثها
الشاجي وأفصح قولها الملحون
يصدر عنها عن صدور ما بها
لما تثير من الحديث دفين
مضمومة ضم الحبيب فحمش
فيها صدور تارة وقرون
يضربن عند عناقهن فمن رأى
أن العقاب مع العناق يكون
فكما ضربن وما لهن جناية
فكذا لهن وما ألمن أنين

---

(١) عنوان الأريب ١/ ١٣٠ .
لم نجد له ترجمة ولكنه كان أحد مداح الكلبيين كما تبين من قصيدة له في مدح الأمير أحمد بن ثقة الدولة . انظر نفس المصدر.

وصف الحلي والأواني :

تناول الشعراء الصقليون بعض ما يعرض لهم من أدوات حضارية أو حلى شخصية ومن ذلك وصفهم للخواتم وفصوصها وبخاصة الفص الأسود الذى قد يكون مجلوبا من المشرق ويرمز بسواده الى حادثة معينة كزعمهم بأن صبغة السواد كانت احتجاجا لقتل الحسين وهي فكرة يتضح فيها التشيع كما ورد في قول ابن الطوبي في وصف فص أسود (غروى) (١) :

أنا غروى شديد السواد
وقد كنت أبيض مثل اللجين
وما كنت أسود لكنني
صبغت سوادا لقتل الحسين

ومما يؤكد أن هذه الفصوص تستورد من المشرق قوله أيضا في فص أحمر (٢) :

حمرتي من دم قلبي
أين من يندب أينا
أنا من أحجار أرض
قتلوا فيها الحسين

---

(١) الخريدة . قسم شعراء المغرب ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق .

وقوله في فص أخضر:(١)

لا تعجبوا من خضرتي فانها مرارتي

تفطرت لما رأت ما صنعوا بسادتي

ومن أدوات المنزل التي وصفها الشعراء : السكين التي هي عند الأمير أبي محمد/ ميمون بن الحسن الكلبي من أسلحة الفتك غير أنها لا تخفى اعترافها بأن سهام اللحظ أمضى في الفؤاد، منها وأشد فتكا فيقول:(٢)

أنا أخت للمنايا طبعها طبعي وفني

غير أن اللحظ أمضى في فؤاد الصب مني

ومن الصور الرائعة عند الشعراء الصقليين وصفهم لنار الفحم حيث شبه ابن الطوبي النار بالمبرد والشرر الذى يتطاير منها ببرادة الذهب فقال:(٣)

ونار فحم ذى منظر عجيب

يطرد عنه الشرار باللهب

كأنما النار مبرد جعلت

تبرد منه برادة الذهب

---

(١) المختصر : ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦٣ .

ولقد شاع عند الصقليين فن التلغيز سواء في الأسماء أم في بعض المرافق الحيوية ومن ذلك قول أبي سعيد الوراق في وصف حمام على "اللغز" : (١)

فما شيء به الأمواه تجرى
على أرض بأسفلها لهيب
وإن أبصرت أعلاه ففيه
نجوم لا يميل بها غروب

والذى ينبغي أن يلاحظ أن الشعر الصقلي على الرغم من كما منى الشعر المشرقي في الوصف بجفاف العاطفة ،والاعتماد على الملاحظة الخارجية ، فانه سجل مع ذلك أشياء تخص بيئة صقلية كالرقص والفوارات ونار الفحم وما الى ذلك من مظاهر الحياة المتحضرة في البيئات ، الباردة .

---

(١) المختصر : ١٠٢ .
هو أبو سعيد الوراق معروف بالسداد وموصوف بحسن القناعة والاقتصاد وله مع ذلك شعر كثير . انظر المصدر السابق .

الفصل الرابع

الغزل

الفصل الرابع

الغزل

احتل موضوع الغزل مساحة واسعة من خريطة الشعر الصقلي أكبر مما احتلته موضوعات الشعر الأخرى ،ولعلنا لا نغلو إذا قلنا أن أهم موضوع استقطب الشعراء واستنفذ أشعارهم في عصر الكلبيين الغزل ، الذى كان وعاء الحب المعبر عن عواطف الشعراء وأحاسيسهم ،والذى كان ينظم أحيانا تلبية لرغبات المجتمع وحاجة المغنين والمغنيات إذ يستمدون من الغزل الظريف ما يتلاءم مع ايقاع آلات الطرب ومعازف الغناء ،وبالرغم من ازدهار هذا اللون في صقلية ،فانه لم يستطع أن ينفك من أغلال التقليد بل كانت تدور معانيه وأخيلته وأساليبه في فلك الشعر المشرقي الا ما عكسته بعض مظاهر البيئة الفاتنة ، فطرأ عليه قدر من التجديد كوصفهم للمسيحيات بحكم الاختلاط ومزجهم بين عواطف الحب ومحاسن الطبيعة ، ويبدو أن هذا قاسم مشترك بين شعر الغزل في صقلية وشعر الغزل في الأندلس فعندما درس أحد الباحثين شعر الغزل عند ابن زيدون أشار الى هذا الامتزاج فقال : " تثير الطبيعة في نفسه معاني الهوى ،وتحرك لواعجه وتصل بينه وبين الحبيبة ،فاذا عادت الرياح اليه من أمكنة الأحبة استراح اليها ،واطمأنت نفسه ،واذا تعطرت الصبا بشذاهم تعلقت بها روحه ،وإذا ابتسم البرق وأضاء بكى من طرب الحبيب". (١)

---

(١) شعر الطبيعة في الأدب العربي : ٢٦٥ .

ولم يقف شعر الغزل عند هذا الحد بل استطاع أن يمزج بين فتنة الحبيب وجمال الطبيعة الأرضية ، فالخد آس وتفاح ،والعيون نرجس ،وفارع الطول قضيب يستظل بظلاله ومن ذلك قول ابن الطوبي (١):

بخدك آس وتفاحة وعينك نرجسة ذابلة
وريقك من طيبه قهوة فوجهك لي دعوة كاملة

وقول الآخر (٢):

لعلك يا قضيب البان يوما
تمهد في ظلالك لي مقيلا

ومن مظاهر سلطان التقليد في الغزل الصقلي أن ما نظم في هذا المجال ينحصر في مذهبين لا ثالث لهما وهما مذهبان شاعا في العصر الأول .

----

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٥٧/١ .

(٢) المصدر نفسه ٧٦/١ . هو أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي .

الأول : غزل إباحي مكشوف ،لا يعرف للمرأة كرامة ولا للرجل مروءة ، يتناول وصف أجزائهما الحسية ، ويشيع فيه العبث والمجون ، ووصف الخدود والنهود والعيون والأصابع والخصور والأرداف ونحوها .

الثاني : غزل عفيف كالذى شاع عند بني عذرة لا يتصل بصفات المحبوب الحسية بل يصف لواعج الهوى ،ونار الشوق وتباريح الحب ونحوها ،وقد يكون من دواعي اعتناق هذا اللون حرص الشاعر على الترفع عن الأوصاف الحسية ، ورغبته في ارتداء ثوب الطهر والنقاء .

وإذا كان الشاعر الصقلي يقع تحت سلطان التقليد كما أسلفنا فلقد اتخذ التقليد أشكالا متعددة وأولها الوقوف على الأطلال والسؤال عن المحبوبة ،وكأنما تصور الاطلال نوازع الفناء التي تتراءى للانسان باستحالة تكرار ما مضى من الحب والذكريات وما يدور في هذا المعنى قول أبي موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي:(١)

قف باللوى المنعرج وناد بالركب عج

واسأل سليمى أين با ن ركبها بالدلج

وشاعر آخر لا يقف باللوى ولكنه يقف بوادى سلم ،وتلك مواطن بالشرق

---

(١) المصدر السابق : ١/٧٦ .

لا بصقلية ولعلها رموز لمواطن أخرى ،ولقد ذهب الخيال عنده الى أن الضوء المنطلق من البرق لم يشع سناه الا لانطلاقه من ثغر محبوبته ، التي رمته بالهجر وكان يطمع منها في الوصال والتلاقي ، فلا أبعدته ولا أدنته ، بل أضرمت لواعج السقم فيه وفي هذا المعنى يقول الأمير عزالدولة الحسن بن ثقة الدولة الكلبي (١) :

أناملها سلمت أم عنم
غداة وقفنا بوادى سلم
وهذا الذى لائح مبسم
أم البرق من ثغرها يبتسم
رمتني سلمى بهجرانها
فهل لي منها وصال أمم
خليلي إن مت من أجلها
سيحدث بعدى لسلمى ندم
وما عزني غير قولي لها
أتحيي قتيلا ؟ فقلت نعم
فما أتبعت قولها نائلا
ولا أذهبت لا عجا من سقم

ومن رموز هذا النهج التقليدى أن الشاعر إذا لم يعرج على ديار محبوبته

---

(١) أنباه الرواة ٤/٥٧ .

ذكرته البروق بتلك المواطن ، فيسعد لرؤيتها كما يسعد بطيف الحبيبة عندما يطرقه بالوصال وفي ذلك يقول أبو القاسم عبد الرحمن ابن الحسن الكاتب عندما لمح البرق فهيج أشواقه : (١)

ولما بدا للعين من جانب الحمى
لوامع برق شاق نحوك شائق

كأنك فيها مائل وكأنما
ديار الحمى بين البراق بوارق

فيا حبذا برق بأرضك لائح
ويا حبذا طيف لوصلك طارق

أما أبو القاسم الكلبي فيرى أن البرق يفجر الشوق ويهيج المستهام فتطيب الحياة به حتى أن ريح الصبا نسيم يهب من ديار الأحبة فيقول : (٢)

وأهاجني برق يشوق الى الحمى
قلب المشوق فلا يزال يهيم

حسنت به الدنيا فكل قرارة
روض وكل صبا يهب نسيم

----

(١) عنوان الأريب ١٣١/١ .

(٢) المصدر نفسه ١٢٦/١ .

وبالرغم من اختلاف الزمان والمكان فلا زال الشاعر الصقلي يستخف ذكر بعض الأسماء التقليدية الشائعة في الشعر العربي كسلمى فيما مضى وكبثينة في قول أبو محمد جعفر بن محمد :(١)

بثينة قد والله زادت بي الحال
وأرقني شوق اليك وبلبال
فقد صار قلبي للصبابة موطنا
معاهدها فيه غدو وآصال
فوالله لا أشكوك ما هبت الصبا
ولو كثرت في الأحاديث والقال
لعل يد الدهر البخيل تضمنا
فللدهر فيآت تكر وا قبال

ومن المعاني التقليدية التي شاعت في الشعر العربي منذ القدم الاستئناس بطيف الحبيبة فهو الصورة الحالمة التي يتطلع اليها العاشق المستهام ،وقد أكثر شعراء العصر الكلبي من ذكر الطيف وترديده في أشعارهم ،ذلك أنه يسمح بالوصل الوهمي ،ويقرب ديار من يهوون كقول أبي القاسم هاشم بن يونس الكاتب:(٢)

---

(١) المختصر (مخطوط) ١٠٨ . انظر الشعر العربي في صقلية ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٩٧/١ . انظر الشعر العربي في صقلية ٢٧٣.

ذكر أنه صاحب ترسل ومقامات ،وملح وروايات . انظر الخريدة ٩٧/١.

ولما بدا طيف البخيلة سامحت
بوصل ،ولا وصل لمن هو طالبه
عجبت لدان وصله وهو نازح
كأني على بعد الديار أقاربه
بعيد قريب في الفؤاد محله
فدار تنائيه ونفس تصاقبه
وبتنا ونار الحب تضرم بيننا
ودمع الهوى يهمى على الحد ساكبه
أقبله طورا وطورا أضمه
وأعرضت عن دهرى فلست أعاتبه
وفارقني عند الصباح برغمه
وكل عطاء النوم فالصبح سالبه

ولقد فجر الطيف صراعا بين العاشق والمعشوق وكلاهما يسوق الحجج والبراهين علة ينتصر لموقفه ، أو يحكم له لو كان هناك قاض للحب ، فابن الخياط يرى أنه عندما يستقبل الطيف لكي يتوخى فيه ملاجا

لسقمه ودواء لدائه ،ولا يرى في ذلك ذنبا اقترفه في حق من يهوى، لكن حبيبه يرميه بفتور الحب وقلة الاخلاص وآية ذلك أنه لم يكن ذا سهر ،والصب ذو سهر وتسهيد فيقول: (١)

لو أن للحب فيما بيننا حكما
إذا لبين حقا أينا ظلما

عتب ولا ذنب الا أن تأوبني
طيف تزودت من المامه لمما

قالت : لو أنك صب كنت ذاسهر
ولم تكن للكرى والطيف مغتنما

فالحب أعظم شغلا عند صاحبه
من أن يذوق مناما أو يرى حلما

يا ويلتاه أمحظور على دنف
متيم أن يداوى بالكرى سقما

---

(١) المختار من شعر بشار : ٢٢٣.

واذا كان بشار بن برد يقول :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم

ونفى عني الكرى طيف ألم

فالمعنى نفسه يردده ابن الخياط الذى كان يصلى نار الحب الحامية ، فلو مس ما به الحجر لانشطر ولو مس الأبكم لنطق فقال:(١)

طرق الخيال وساء ما طرقا

أخذ الرقاد وخلف الأرقا

عندى سرائر لو نفثت بها

في صخرة لتقطعت قلقا

حب صليت به وأكتمه

لو مس أبكم حره نطقا

----

(١) عنوان الأريب ١٣٢/١ .

والليل عند المولع طويل وقصير ،طويل إذا لم يسمح الزمان فيه بوصل ، وقصير إذا جاد بذلك ، هذا ما خلص اليه الأمير عبدالله بن سليمان الكلبي فقال: (١)

فليت ليالي الصدود الطوال
فداء ليالي الوصال القصار
زمانا أبيت طليق الرقاد
وأغدو خليا خليع العذار

ومن الشعراء من يظهر التذلل والخضوع لمن يحب فيصل من قطعه ويجزى ناكث العهد بالوفاء،وهذا المنهج سلكه أبوالعباس الفقيه أحمد بن محمد اللخمي فقال : (٢)

فلا أنتم للعهد ترعون حقه
ولا السلم يرجى آخرالدهر منكم

---

(١) المغرب في حلى المغرب ٤/١٧٤ (من كتاب الألحان المسلية) ـ مخطوط ـ.

(٢) المختصر : ١٠٦.

فان تقطعوا حبلي فاني واصـــل
وان تقطعوا عهدى فاني مبـــرم

وشعراء المشرق الغزليون تبرموا من البين والفراق وضاقوا به ذرعـا ، وتبعهم شعراء العصر الكلبي في موقفهم هذا، غير أن شكواهم لا تخلـو من التكلف والمبالغة أحيانا كما نلحظ من أبيات أبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسين التميمي الذى ذهب فيها الى أنه تحمل من حبيبته ما لو تحمل بعضه الجبل الاشم لتصدع فواصل أنفاسه مترقبا وصلها أما دموعه فقد نفدت من هـول يوم الفراق فقال: (١)

ذكرتك ذكرى لو تذكر بعضهـا
ثبيـر تداعى وكره وتصدعـا
وواصلت أنفاسا الى طول وصلهـا
لقلبي الا أن يكون مقطعـا
وأفنيت دمع العين يوم فراقكـم
فلم يبق لي دمع يصافح مدمعـا

---

(١) المختصر : ١٠٣ - مخطوط .

ومن الشعـــراء من تمرد علـى وفاق الشعـــراء وموقفهـم من البيــــن والفـــراق - ذلـك الموقــف الطبيعـي الـــذى اتســم بالبكـــاء والحســـــرة والنـــدم - فشـــعـــر بالسرور وغمرته الفرحة حين الوداع وحين القدوم ، كقول أبي عبدالل‍ـــه محمد بن أبي الفضل المعروف بابن الرقباني : (١)

موقـف البيـن أيها العاشقينـــا
ما تـرى العيـن فيه الا حزينـــا
لـي في البيـن فرحتان فأمـــا
فرحتـى في الفـراق بالراحلينـــا
فاعتـناق لمـن أحـب وتقبيـــل
حبيب بحضـــرة الكاشحينـــا
ثم لي فرحـة إذا قدم النـــاس
وتسـليمهم علـى القادمينـــا

---

(١) المختصر : ١٠٣ .

ويبدو أن فتور عاطفة الحب التي تتسم بها الأبيات أحلت الفرح محل الحزن ، وربما نوى الشاعر أن يصيد معنى جديدا فاصطنع هذا الموقف ليدلل على مقدرته الشعرية وخروجه على المألوف.

وتعالى الشاعر على أحبته وشموسه عليهم شيء ملموس في الأبيات ، ويخيل لي أن الجذوة " العاطفية " فاترة في الأبيات ،فهو وان أبدى التحسر في البيت الأول فهو تحسر مصنوع وآية ذلك ظلمهم بقبح جفائه ، والجفاء من جانبه موقف معيب يتنافى وتذلل المحبين ، وإذا كان النقاد قديما عابوا على الشاعر روح التعالي وشموسه على أحبته كما ورد عن قدامه قوله:

" يجب أن يكون النسيب الذى يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقة ، أكثر مما يكون فيه من التخشن والجلاده ، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الاباء والعزة ، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحفظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض ". (١)

---

(١) نقد الشعر : ٤٣ .

فقد ورد من هذا اللون الذى لا يتسم بالرقة والخضوع وافراط الصبابة قول الأمير أبي محمد القاسم بن نزار الكلبي: (١)

إني متى يجفوا الحبيب وصلت جفوته ببين
ومنعت عيني أن تراه ولو رأته فقأت عيني
وجعلته بفعاله له في العين مثل قذاة عين
ووصفته دون الحضيض لو أنه في الفرقدين
وقطعته لو كان يشبه أحمد بن أبي الحسين

وقد أخذ النقاد قديما على كثير قوله: (٢)

ولست براض من خليل بنائل
قليل ،ولا أرضى له بقليل

وقيل له : هذا كلام مكافيء، ليس بعاشق ... وأصدق منك ابن أبي ربيعة حيث يقول :

ليت خطي كلحظة العين منها
وكثير منها القليل المهنا

ومع أن ما قاله ابن قدامة من التذلل وفرط الوجد واللوعة تقليد في الشعر

----

(١) الخريدة - قسم شعراء المغرب : ١/ ٨٦.
الاغاني ٥/ ٩٥.

العربي ،فليس ذلك في نظرى ضربة لا زب ،أفلا يمكن أن يأتي المحدث بغير ذلك ويجيد ؟

وعلى كل ففي الأبيات عيب عروضي يقرن بضعف نسجها فقد كرر الشاعر كلمة " عين " في البيتين الثاني والثالث بدون فاصل ، وذلك ما يسمى في علم العروض بالايطاء .

ومن أنماط التقليد ،عند شعراء الفترة الكلبية كثرة الشكوى من الوشاة والتبرم من العذال واختلاس النظرة بعيدا عن أعين الرقباء (١) ، وقد يسعى العاذل أحيانا الى تحقيق هدفه بنشر الأخبار المفرضة التي تزهد في المحبوب ،غير أن المحب أعمى فمنهم من تزيده أحاديث العذال اغراء واندفاعا ويستحيل حل عقد الحب بين المحبين ومن ذلك قول أبي حفص عمر بن الحسن الفونى (٢) :

بأبى من غدا في فؤادى محله
والذى عقد حبه ليس خلق يحله
أيها العاذل الذى طال في الحب عذله
أتراني ملته لست ممن يمله
لا ولا اعتضت غيره بل له الود كله

---

(١) الشعر العربي في صقلية : ٢٧٤.
(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١/١٠٣، ١٠٤.
ذكر أنه لغوى ،شاعر ، كاتب ،منجم ، مهندس . انظر نفس المصدر.

أما ابن الخياط فقد استسلم لسلطان الرقباء ،ولا سبيل له الا بالنظرة العجلى فقال: (١)

وما أنسى لا أنسى اغتفال رقيبه
مخالسة باللحظ ساعة ودعا
وأحسبه لولا عيون وشاته
لصعد أنفاسا وصوب أدمعا

وقد يسرق نظرة سريعة كقبض جناح الطائر موهما الرقيب بحك العين من القذى: (٢)

ولقد أحك العين أوهم بالقذى
واللحظ بين جفونها متواتر

---

(١) المختار من شعر بشار: ٢٦٠.
(٢) المصدر نفسه .

ولربما غفلوا ففزت بنظـــــرة

عجلا كما قبض الجنـاح الطائـر

وإذا كان بعض الشعراء وقف عند هذا النوع من الغزل الذى يصور لوعة المحبين وظمأهم الى روءية معشوقاتهم فمنهم من تحول الى الغزل الصريح الذى يمتد الى وصف الصفات الحسية في المرأة كالعيون والخـــدود والنهود والخصر والأرداف ، وتحدثوا عن مغامرات مريبة ، ولقاءات مختلسة ، ووصفهم في معظمه تقليدى ، فالمرأة عندهم كالظبي في الملاحـــة وكالبدر في الجمال ، لحظها بابلي ، تتعطف كالغصن ، عسلية الرضـاب لوءلوءية الأسنان ومن صور ذلك قول أبي عبد الله محمد بن عيسى الفقيه : (١)

بأبي ظبي مليـح فائـــــق

بابلي اللحظ غصني القـــوام

عسلي الريـق ، خمرى الهــــوى

لوءلوءى الثغـر ، درى الكـــلام

ان تثنى ماس غـصنا في نقــــا

أوتبدى لاح بدرا في تمـام

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١/٣٨ .

وانظر الشعر العربي في صقلية : ٢٧٦ .

حزت اذ نادمني من وجهه
دعوة تمت بروض ومدام

وخشيت البين إذ ودعني
فانثني يوم وداعي بالسلام

ومن الشعراء من يغلو في وصف معشوقته ويمزج بين جمالها وبين كسائها وحليها ، تلك الغادة التي ألبستها الذوائب خمارا وتحلت بعقود كالنهود في شكلها ويستوفى الصورة عندما يرى مظهرها العام بما فيه من عناصر الزينة كالوشاح والخمار والحلي يحاكي الشمس المتوشحة بالضيا ،والمتوجه بالظلمة والمقلدة بالنجوم تلك اللوحة يرسمها أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي فيقول: (١)

سلب الفؤاد من الجوانح غادة
أدلت اليه بدلها المستحكم

عذراء تنسب درعها من خدها
وخمارها من ذى ذوائب أسحم

وعقودها من نهدها في شكلها
وحلاتها من لوني المتسهم

فكأنها ووشاحها وخمارها
وحليها للناظر المتوسم

شمس توشحت السنا وتتوجت
جنح الدجى وتقلدت بالأنجم

----

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨ .

ويبدو لي أن في الصورة اضطراباً فتشبيه محبوبته بالشمس في اشراقها أمر لا غبار عليه، ولكن كيف نفهم قوله بأنها تقلدت النجوم والمعروف أن الشمس إذا بدت محت كل ضوء متوهج عداها وقديما قال النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر :

كأنك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن تشبيهات الشعراء التقليدية التي درج عليها بعض شعراء صقلية تشبيه الرضاب بالخمر كقول ثقة الدولة :(١)

اني اذا ذقت المدامة خلتها
ريق الحبيب ومجتنى رشفاته

وتشبيه الوجنات بالورود ،والألحاظ بالسيوف مثل قول ابن الطوبي :(٢)

أى ورد يلوح في وجنتيه
طار مني الفؤاد شوقا اليه
فاذا رمت أجتنيه ثناني
عنه وقع السيوف في مقلتيه

---

(١) المختصر : ١٠٣ .
(٢) المحدون من الشعراء : ٢٥٦ .

أما الأرداف فهي في الامتلاء تحاكي الكثبان ، في قوام يتثنى كما تثنت غصون البان ،هكذا يرسم صورتها أوعبدالله محمد بن عيسى الفقيه :(١)

عنت له وتبخترت في مشيها
فأرت غصون البان كيف تلين
وترجرجت أردافها فرأى بها
كيف انتقى كثبانها يبرين (٢)

ومن طرائف التشبيه تشبيه الأرداف بزق غير ممتلئ يعتلى حمارا أعرج ، هذه الصورة المبتكرة فيما أظن ،اقتنصها عيسى بن عبد المنعم الصقلي فقال :(٣)

يجذب خصرا مخطفا بكفل مرجرج
كمثل زق ناقص على حمار أعرج

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٣٥ .
(٢) يبرين : موضع بالجزيرة العربية مشهور بكثرة رماله .
(٣) الخريدة قسم شعراء المغرب ١/ ٣١ .

وعادة الشعراء أن يتغزلوا بالجوارى البيض اللاتي يشبهن الأقمار في الحسن والجمال غير أن من المفارقات العجيبة أن يتجه أحد الشعراء مثل ابن الطوبي لوصف الجوارى السود متغزلا فيقول (١) :

تحبك - يا سوداء نفسي بجهدها
فمالك لا تجزينها بودادها

وأنت سواد العين مني أرى به
وليس بياض العين مثل سوادها

وكرر نفس الفكرة في صورة أخرى فقال (٢) :

شبيهات المشيب تعاف نفسي
وأشباه الشبيبة هن حور

سواد العين نور العين فيه
وما لبياضها في العين نور

ونقض معنى معتادا ليس جديدا عند شعراء صقلية لا سيما اذا اقترن بحسن التعليل وكل هذا مأخوذ من قول الشاعر المشرقي أو شبيه به .

تفاريق شيب في الشباب لوامع
وما حسن ليل ليس فيه نجوم

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٥٩ . انظر الشعر العربي في صقلية ٢٧٩ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٠ .

ومما درج عليه شعراء صقلية سعيا وراء ركاب التقليد ، وصف المغامرات الماجنة واللقاءات المريبة باسلوب غزلي مكشوف كقول الفقيه أبي موسى الصقلي في وصف لقاء تم له: (١)

لاعبتها فتية بمثلها في منعج
وأحسن الدهر لنا احسان غير محرج
ينعم كل بالذى يهواه غير مزعج
من لثم خد أصبح ورشف ثغر أفلج
وعض نهد معصر وعضد مدملج
من عكبن كأنها طي رباط المدرج (٢)
وفوقها وتحتها من مركب ومولج
كل على كل كما ركب زوجا مسحج (٣)

ويصف ابن الخياط مغامرة سرى اليها مدرعا بجلباب الظلام فقال: (٤)

ولرب مأربة لبست لها الدجى
وقضت بها وطرا لطاقة مدخلي

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٠ .

(٢) المدرج : الورق الذى تكتب فيه الرسائل ويطوى .

(٣) المسحج : حمار الوحش .

(٤) عنوان الأريب ١/ ١٣٣ .

أسرى كما تسرى النجوم لحاجتي
والناس بين مدثر ومزمل

وقد أسلفنا القول بأن الغزل في صقلية لا يكاد يتميز عن الغزل المشرقي الا فيما عكسته بعض مظاهر الحياة الصقلية كاتساع دائرة الاختلاط بين المسلمين والمسيحيين والذى لم يكن بمعزل عن شعراء الغزل فمنهم من هام بالمسيحيات وغالى في وصفهم وتوسع في هذا الباب أكثر مما عمد شعراء المشرق . ومن ذلك تغزل الفقيه عيسى بن عبد المنعم بفتاة مسيحية تعلق بها فقال (١) :

يا بني الأصفر أنتم بدمي
منكم القاتل لى والمستبيح
أمليح هجر من يهواكم
وحلال ذاك في دين المسيح ؟
يا عليل الطرف من غير ضنى
واذا لاحظ قلبا فصحيح
كل شيء بعدما أبصرتكم
من صنوف الحسن في عيني قبيح

ويبدو أن أكثر سقاة الخمر كانوا من الغلمان الذميين ولذلك شاع

---

(١) الخريدة ـ قسم شعراء المغرب ١/٢٧.
وانظر الشعر العربي في صقلية : ٢٠٨.

الغزل بهم في كنف دورها ومجالسها كقول محمد بن الحسين القرقودى في وصف ساق : (١)

ولي في قلوب الغانيات مودة
تحل محل السر أو هي ألطف
أأصبر عن غزلان صبرة إنني
لأوهى قوى مما يسوم وأضعف
مدى الدهر لا أشكو، وفي الأرض منزل
به قهوة بكر وساق مهفف
فيا طيبهما من كفه إذ يديرها
ويدني ثناياه الي فأرشف

ولم يكن التغزل الشاذ بالغلمان حديث عهد في صقلية ، بل شاع في المشرق على لسان أبي نواس ومن حذا حذوه، وأكبر الظن أن كثيرا من هذا الغزل وسالفه " لم يكن يصور حقائق واقعه ، إنما كان يصور حقائق خيالية من بعض الوجوه إذ كان يراد به الى التندير والفكاهة في مجالس هؤلاء المجان الخليعين فهم ينظمونه ويتداولونه للضحك والدعابة ... ونظن ظنا أنه فات مؤرخي الأدب العباسي أن يلاحظوا هذه الظاهرة ، وكأنه يشبه من بعض الوجوه ما قد يجرى على بعض الألسنة في

---

(١) المحمدون من الشعراء ص ٢٥٨ (هكذا ورد ترتيب الأبيات في هذا المصدر وهو يخالف ترتيبها في خريدة القصر : قسم شعراء المغرب ١/ ٩٥) .

عصرنا من نكت جنسية ".(١)

ومن الشعراء الصقليين الذين نظموا في هذا اللون ابن الطوبي الذى أعياه سلوك ذلك الغلام ، ويطمع منه أن يتغير كما يتغير الحصرم بعد أن قنط من وصاله فقال:(٢)

أتعبت قلبي بالصدو
د وليس أيأس من وصالك
فخذ الدليل فقد زجر
ت لما أؤمل من نوالك
ناولتني من حصرم
فرجوت نقلك عن فعالك
إذ كان يحمض أولا
وتراه يحلو بعد ذلك

وقال أيضا في غلام قبله ، فقيل له : سرقت الورد من خده ، والقطع لازم في حده :(٣)

قالوا : سرقت الورد في قبلة
من خد يحيى بن أبي العز

---

(١) العصر العباسي الثاني : ٢٢٢ شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ١٩٧٥.

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١/٥٧.

(٣) المصدر نفسه : ١/٥٩.

فقلت : لا قطع على سارق

إلا إذا استخلص من حرز

وفي البيتين ما يدل على ثقافة الشاعر الفقهية ،ومعرفته بشروط إقامة الحد على السارق ، وفي نفس الوقت ربما يؤيد هذا ما سبق طرحه من أن بعض الشعراء يورد هذا اللون للتندر والدعابة ،وليس معنى هذا أننا ننكر صدق ذلك أو ننفيه بل نقول إن بعضا منه يرد على هذه الشاكلة الفكاهية .

ويبدو أن كثرة دور الخمر وغلمانها في النصارى في صقلية شاع حتى استحوذ على صور بعض الشعراء ومن ذلك قول ابن الطوبي في غلام تهافت عليه العشاق بالرغم من نبات الشعر في خديه : (١)

قلت لما كثر الشعر عليه عاشقيه

أحرقت فضة خديه فغالى الناس فيه

واذا كان ابن الطوبي يتغزل بالجوارى السود مدافعا عن موقفه بقوله إن النور يكمن في سواد العين وليس في بياضها فالفقيه أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي يدافع عن موقفه مستخدما نفس الصورة فيقول : (٢)

وقالوا التحى فانحط نصف جماله

فقلت لهم بل زاد في حسنه الشعر

فلولا سواد العين ما كان نورها

ولولا ظلام الليل ما حسن البدر

وقد يجنح ببعضهم الخيال الشعرى فيعتدى على حرمة المسجد متخذا إياه مكانا للهو كابن الخياط الذى يقول : (٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦٦ .

(٢) المختصر- مخطوط - ١٠٦ .

(٣) شرح المختار من شعر بشار : ٣٦ .

يا حبذا المسجد الذى جمعتـ
ـنا فيه مقصورة الى العصر
ما كان الا بستان تلهية
لولا مراعاة حرمة الشهر

ومن هذا القبيل قول ابن الطوبي في غلام نصراني من نصارى الفرنج واسمه نسطاس : (١)

أقول وقد مر نسطاس بي
وقلبي فيه عذاب أليم
وقد ماس كالبان فوق الكثيب
وأقبل يرنو بألحاظ ريم
لئن كان في النار هذا غدا
فاني أحب دخول الجحيم

ومن الغريب أن يلحظ المرء تهالك بعض الشعراء وتذللهم نحو الغلمان شبيها بتهالكهم نحو النساء حتى لتعد العين ما كان قبيحا حسنا ومن ذلك قول ابن الطوبي في غلام عرضت بفيه حرارة : (٢)

---

(١) أنباه الرواة : ١٠٧/٣ .
(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ٥٦ .

قـالوا بفيـك حـرارة

فعجبت كيف يكـون ذاكـا

ورضـاب ريقـك مطفـىء

نيـران أقـوام سـواكـا

وقوله في غلام أصيب بالجدري وعدّ ذلك حلية له كما تحلى الفضة بالنقش (١)

جُدّر فـازدادت مداجاتـه

ونحـن في الحـب لـه زدنـا

وكـان كالفضـة ما نقشـت

فزادهـا أن نقشـت حسنـا

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ٥٦٨

واذا كان الشعراء قد تناولوا جزئيات الجمال في المرأة ، فكذلك فعلوا بالنسبة للمذكر فكثيرا ما يشبهون العذار بلام المسك التي كتبت على زهر الجلنار كقول ابن الطوبي (١) :

لما رأيت عذارا ... له خلعت عذاري

وبان للناس عذري ... فما أخاف اشتهاري

كأنه لام مسك ... خطت على جلنار

وقد يعمد بعض الشعراء أحيانا الى التلغيز بمن يهواه مستعينا ببعض المصطلحات النحوية لاخفاء اسم من يحب كقول الشاعر أبي الحسين علي بن عبد الله بن الحسين التميمي في من اسمه " علي " (٢) :

اسم الذي تيمني عشقا ... يتعب ذا اللب اذا يلقى

ثلاثة ان رخمت كان ما ... رخم جذر الذي يبقى

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ٦٨ .

(٢) المختصر : ١٠٣ .

الفصل الخامس

الخمر

الفصل الخامس

الخمـــــــــــــر

لم تكن معاقرة الخمر حديثة عهد في زمن الكلبيين بل ظل الناس يمعنون في شرب الخمر واحتساء كئوسها ،مدمنين عليها لا يرعوون ولا يزدجرون بالرغم من تحريم القرآن الكريم لها ،واجماع الفقهاء على تحريم قليلها وكثيرها ، وتعد الخمر من الكبائر التي يقام الحد على محتسيها ، ومع ذلك فقد أولع بعض الشعراء بها منذ فجر الاسلام الأول كأبـي محجن الثقفي في عهد عمر بن الخطاب والوليد بن يزيد في العهد الأموى اللذين شغفا بها ووصفاها ،لكن الشعراء لم يتوسعوا في هذا الباب الا فـي العصر العباسي الأول " . . . وأشهر من نظم في وصفها من شعرائـــــه أبو نواس فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع . . . ولذلك عدوا أبا نواس إمام الوصافين للخمر "(١) ويبدو أن كل واحد من شعراء العصر العباسي رأى أن يكون له خط متميز ، فانحاز أبو نواس الى جانب الخمر وأبو العتاهية الى الزهد ،وأبو تمام الـى البديع لكثرة اغراقه فيه ،ولذا لا نستغرب كثرة ما نظم أبو نواس فـي الخمر ،واذا كان أبو نواس قد ذاق الخمر وتغنى بها فمن الشعراء من وصف الخمر ولم يذقها قط بل افتتح بها قصائده كما يفعل بعضهم بالنسبة للغزل . ومن هؤلاء على سبيل المثال أبو الطيب المتنبي الذى ذكـــر

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ،جرجي زيدان : ٣٥١/٢ .

الخمر ولم يذقها كما يستدل من سيرته . والخمر صاحب الثورة على القديم والخروج على نظام القصيدة الجاهلية في الوقوف على الاطلال، وتفقد آثار الأحبة ومعاهدهم ،فبدلا من أن يستهل الشاعر القصيدة بالوقوف على الأطلال استهلها بذكر الخمر ، ويبدو أن بدء القصيدة بالخمر اتجاه شعرى لم يكن منفصلا كل الانفصال عن الحركة الشعوبية ،التي قصد بها محاربة التقليد العربي الذى يقضي بافتتاح القصيدة بالوقوف على الأطلال والتغزل بساكنيها . وممن سلك هذا الاتجاه أبو نواس الذى قال متهكما بمن يقف على الأطلال :

قل لمن يبكي على ربع درس
واقفا ما ضر لوكان جلس

والشاعر الصنوبرى الذى يأمر بمعاقرة الخمر وينهى عن البكاء على الطلل فيقول: (١)

لا تبكين على الأطلال والدمن
ولا على منزل أقوى من الزمن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية
تنفي الهموم ولا تبقى من الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن

---

(١) ديوان الصنوبرى : ٤٩٦ تاحسان عباس بيروت ١٩٧٠م.

وقد يطفئون لظى الخمر وحدة القيظ بمزجها بالثلج . فقد أنفذ أحد أمراء صقلية ثلجا في يوم حر يتلظى الى أبي عبدالله محمد ابن الحسن الصقلي فكتب اليه مادحا صنائعه التي بمثابة الغيث ينتفع بها البدو والحضر فقال:(١)

أتاني أطال الله عمرك للعلى
فأنت لها لا زلت كالسمع والبصر
من الثلج ما داويت حر بلابلي
به ،وشفيت النفس من وحر الفكر
مزجت به راحي العتيقة ،فاغتدت
لمبصرها كالشمس مازجت القمر
درعت به قيظا وحقك صابرا
فلاقاه منه الزمهرير فما صبر
فلا زلت يا بدر الملوك وعزها
غياثا لما يحيى به البدو والحضر

ومن استقرأ شعر الخمر في ظل الكلبيين فانه لا يجد قصيدة كاملة تصف الخمر وتتناول جزئياتها ،بل يأتي وصفها عرضا في القصيدة ، ويكون

---

(١) المحدون : ٢٥٦ .

عنصرا من عناصرها ،ولم يكن وصفا شاملا بل هو وصف جزئي يلمس جانبا من جوانب الخمر ،ومع أن التقليد سمة ملازمة للرصيد الشعرى الصقلي الا أن ما قيل في الخمر لا يخلو من بعض الصور الجديدة التي أوحت بها البيئة الصقلية ،ومن تلك الصور التعبير عن دهشتهم حينما يرون قنان الخمر تجمع بين عنصرين متناقضين : الماء والنار ويتوخون من وراء ذلك رسم صورة حية لامتزاج الخمر ،ولم تكن هذه الصورة غائبة عن الشاعر الصقلي الذى كثيرا ما تشهد عيناه بركان صقلية المتفجر الذى يرسل حممه على الوادى الخصيب المتدفق المياه ،كابن الطوبي الذى يقول: (١)

قد شربنا المدام من كف خود
أقبلت كالهلال والليل داج

ونعمنا لولا مغيبك عنا
سماع الأرمال والأهزاج

وعجبنا للماء يحمل نارا
في قنان كأنها خرط عاج

وفتاة تكشفت للندامى
وعجوز تسترت بالزجاج

فاغتنم لذة الزمان وبادر
كل ضيق تخافه لانفراج

---

(١) الجزيرة : قسم شعراء المغرب : ٦٢/١ . وانظر العرب في صقلية : ١٩٧ .

ويعيد الصورة مرة أخرى أبوعلى الحسين بن أحمد فيقول :(١)

وكأس من الماء مخروطة
تنير لها مثل نور النهار
تبدت وفي وسطها جمرة
تكاد تصدعها بالشرار
فحسبك من عجب ما تراه
بتأليف ما بين ماء ونار

واذا كان امروء القيس يقول :

سموت اليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال

فيستخدم صورة الحباب في الغزل فابن الطوبي يستخدم صورة الحباب في الخمر إذ خشي الماء أن تطير منه الراح بعد أن مازجها فنسج على

---

(١) عنوان الأريب ١/١٢٩.

الكأس غطاء كالشبكة من الحباب ،واستعمال الشبكة في صيد السمك حرفة يعرفها سكان الشواطيء ومحترفوا صيد البحار ،ولا شك أن هذه الصورة من وحي البيئة البحرية الصقلية يقول:(١)

والماء يحذر منها أن تطير فقد
صاغ الحباب عليها صيغة الشبك

ويقول عبد الله بن سليمان بن يخلف الصقلي أبو القاسم الكلبي في المعنى نفسه:(٢)

كأن حبابها شبك مقيم
لصيد الألسن المتطايرات

وفي شعر الخمر يستطيع القارىء أن يلمس الجو الحربي الذى تميزت به صقلية في بعض مراحل الحكم الكلبي ،فلقد استعار بعض الشعراء صورا وألفاظا قتالية وعبروا بها عن صفات الخمريقول الأمير أبو القاسم الكلبي مشبها انبعاث الخمر(٣) من الدن كما انبعث دم الجراح :(٤)

فأبرزها بزال الدن صرفا
كما انبعث النجيع من الجراح

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٧٨/١ . وانظر العرب في صقلية ١٩٧.

(٢) فوات الوفيات ١٧٧/٢.

(٣) انظر الشعر العربي في صقلية : ٢١٧.

(٤) المختصر : ٩٩ .

وفي هذا البيت ما يثير التقزز لاشارته الى أن الخمر تشبه الدم، وهو شبيه ببيت لحافظ إبراهيم في العصر الحديث وهو قوله :

خمرة قيل أنهم عصروها
من خدود الملاح في يوم عرس

وفي تعبير آخر يصف شجاعتها في قتل الهموم بالكمى الذى لا يخش ملاقاة الكماة : (١)

معتقة ألذ من التصابي
وأشرق في النفوس من الحياة
تسير الى الهموم بلا ارتياع
كما سار الكمي الى الكماة

وهي عند شاعر آخر خصم لدود يحسن النزال والمراوغة ولذلك فهو يهاب لقاءه ويخشاه خشية من يريد النجاة من الموت : (٢)

أهاب الكأس أشربها وإني
لأجرأ من أسامة في النزال
أراوغها مراوغة كأني
ألاقي عند ذاك شبا العوالي

---

(١) فوات الوفيات : ٢/١٧٦ .

(٢) المختصر : ١٠٤ . هو أبو الحسن علي بن الحسن بن حبيب اللغوى .

والهم والسرور عند ابن الخياط جحفلان أحدهما يهزم الآخر فيولي طريدا يقول: (١)

ذخيرة قوم يسبكون عقارهم
عقارا إذا ارتاحوا وإن كان تالدا
ترى همهم فيها طريد سرورهم
وأحبب بشيء كان للهم طاردا

محمد المعروف بالصقلي

والخمر عند أبي الحسن علي بن/ تشع كشعاع النار يقول : (٢)

وقهوة كشعاع النار في قدح
قد شجها بمزاج الماء ساقيها
يريك درا نثيرا في أسافلها
يعود درا نظيما في أعاليها

ولقد أمعن الشعراء في وصف الخمر وتطرقوا الى أدواتها . فالخمر عند أبي القاسم الكلبي تشبه الأصيل أما قدحها فيشبه انبلاج ضوء النهار

---

(١) المختار من شعر بشار : ١٦٦.
(٢) المختصر : ١٠٤.

يقول (١) :

لنا في لونها شفق العشايا
وفي أقداحها فلق الغداة

وهي تصب في كأس مخروطي الشكل له نور كنور الشمس يقول الحسين ابن أحمد (٢) :

وكأس من الماء مخروطة
تنير لنا مثل نور النهار

والخمر عنده تتراءى داخل الكأس كترائي الوجنتين خلف النقاب ،فيقول (٣) :

صان منها الزجاج مثل الذى صا
ن من الوجنتين شف النقاب
فكأن الزجاج دمع التجني
وكأن المدام خمر التصابي

والساقي عندهم بديع الحسن متورد الخدين كقول أبي العباس القاف (٤) :

---

(١) فوات الوفيات ١٧٧/٢ .
(٢) عنوان الاريب ١٢٩/١ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٨٨/١ .

وسقانا الراح ساق ما له في الحسن ند

فهي في الكأس أقاح وهي في خديه ورد

ولكن الساقي عند أبي الفتح محمد بن الحسين ، غلام مهفهف ، يقدم الخمر ويدني ثناياه ليرشف شاربها يقول: (١)

أأصبر عن غزلان صبرة انني

لأوهى قوى مما يسوم وأضعف

مدى الدهر لا أشكو ، وفي الأرض منزل

به قهوة بكر وساق مهفهف

فيا طيبها من كفه إذ يديرها

ويدني ثناياه الي فأرشف

وابن الخياط لا يتغزل بالساقي ولكنه يتغزل بالساقية فقال: (٢)

جئنا بها صفراء درية

كأنها في البيت قنديل

تسعى بها هيفاء مجدولة

كأنها أهيف مجدول

---

(١) المحدون من الشعراء : ٢٥٨ .

(٢) المختار من شعر بشار ٢٥٩ .

ولم يقف وصف الساقي أو الساقية عند الأجزاء الحسية (١)، بل تعدى ذلك الى وصف الحديث وحلاوة المنطق الذى يجذب الزوار ويغرى الرواد يقول ابن الخياط في هذا الصدد (٢):

هذا وأشمط رب دسكـــــرة
رحب الفنـــاء لكل مــن أمـــا
مستنزل جلبـــاب زائـــــره
ببشـــاشة تستنزل العصمـــا
ضقنا به ذرعا فهب لنـــا
بزجاجة خلنا بها نجمـــا

ومن الجزئيات التي تناولها وصافوا الخمر أثرها فيمن عاقرها حيث وصفــوا دبيبها في الجسد وصراعها للقوم ولننظر الى أبي الحسن الطوبي فــي ذلك إذ يقول (٣):

----

(١) الشعر العربي في صقلية : ٢٢٧.
(٢) المختار من شعر بشار : ٣٥.
(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٧٩.

والكأس تخدعهم عني وقد نذروا
بأنني غير مأمون على التكك

حتى إذا أقبلوا منها ومال بهم
أخذ الكرى وتداعى كل متسك

د بيت أكتم في أنفاسهم قدمي
كأنني بينهم ماش على الحسك

ويصور أبو القاسم عبدالله بن سليمان الكلبي مجلسا من مجالس المجون حيث اكتملت فيه أثافي اللهو الثلاثة : الخمر والغناء والحسان فيقول : (١)

أقمنا نسابق صرف الزمان
بدارا الى عيشنا المستعار

تجيب لصوت الغناء القيان
إذا ما أجابت غناء القماري

وتصبح عيدانا في اصطخاب
تلذ وأطيارنا في اشتجار

تشم الخدود شميم الرياض
ونجني النهود اجتناء الثمار

ونسقى على النور مثل النجوم
ومثل البدور اعتلت للمدار

---

(١) فوات الوفيات ٢/١٧٦.

عقار هي النار في نورهـــــا
فلولا المزاج رمت بالشـــرار
إذا ما لقيت الليالي بهـــــا
فأنت على صرفهـــا بالخيـــار

ومن خلال النماذج الشعرية التي سلفت في وصف الخمر في عهد الكلبيين يتضح لنا أن أوصافهم في معظمها تقليدية ،وإذا كان هناك من تجديد في الصور الشعرية فقد أملاه موقع صقلية البحرى وطبيعتها الحربية .هذا وتجدر الاشارة الى أن شعر الخمر في الشرق كان له شعراؤه الذين عرفوا به ،أما في صقلية فقد تناوله معظم الشعراء في مقطعات شعرية دون أن يتخصص فيه شعراء معينون . وربما كان لكثرة النصارى والقرب من أوربا حيث تشيع الخمر أثر في ذلك .

الفصل السادس

الفكاهة والسخرية

الفصل السادس

الفكاهــة والســخريـــة

لم يقف المد الشعرى الصقلي عند الجوانب والموضوعات التي سلفت، ولكن شاعت فيه روح الفكاهة والسخرية ،فقد كان الشعر الصقلي فـــي ظل الكلبيين ينضح بهذه الروح التي تعتمد على الصورة ، و يعبر عن نفسية الصقليين الذين يميلون الى الدعابة والمفاكهـة ،وحلاوة الظرف ، وأغلب الظن أن هذا الاتجاه قد كان انعكاسا لحياة الأندلس الأدبية التي تمتزج بألوان الدعابة والظرف ،وكأن ذلك جبلة فيهم كما ذهب صاحب نفح الطيب الذى قال : " ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة فـــي محاوراتهم وأجوبة بديهـة مسكتة والظرف فيهم والأدب كالغريزة". (١)

ولا غرو أن ينجذب الصقليون نحو هذه الظلال الفكهـة إما تقليدا لغيرهم أو فرارا من معاناة النفس وما يتراكم عليها من مشاكل وهموم ،وقـــد اتخذ هذا الجانب مسارات متنوعة : منها ما جاء على شكل محاورات وأجوبة مسكتة ، ومنها ما جاء على هيئة نقد ساخر .

---

(١) نفح الطيب : ٧٨٦/٢ .

ومنها ما كان على سبيل الدعابة والظرف كقول ابن الطوبى :(١)

ومسقمي من طرفـــــه بما بـــه مـــن سقـــــــم
أوما لتقبيل يـــــدى فقلت : ما ذنب فمـــي ؟

وإذا كان الأول سمح له بتقبيل يده ، فالثاني حرمه من تقبيلها خوفا من ترقى القبلة الى خده فيقول:(٢)

لي سـيد جـار علـى عبـــــــده
وعـبده بـاق علـــــــــى وده
يمنعنـي من يـده قبلـــــــــــة
حـذار أن ترقـــى الـــى خـــده

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٥٧.
(٢) نفس المصدر : ١/٥٩.

وقد يتشاءم بعضهم، ليعتقد أن النحس خليفه أينما تولى لا يأتي بخير فقد روى عن الشاعر رزيق بن عبدالله أنه بَرّ من أحد الروءساء بدنانير وظن أنه يعينه فلما عاد الى بيته وجد لصا قد سرق جميع ما فيه فقال في أسلوب ساخر (١) :

محاني الله من ديوان سعده

وأيأس راحتي من نيل رفده

إذا ما السعد أسعفني بشيء

يقوم النحس محتسبا لرده

وأحيانا ترد على هيئة نقد ساخر الى بعض فئات المجتمع ،فقد روى أن قوما خرجوا لأداء صلاة الاستسقاء فلم يمطروا فقال فيهم ابن الخياط (٢) :

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١٠٥.

(٢) معجم السفر : مخطوط ٢/١٣٢.

خرجوا ليستسقوا وقد نشـ

ـأت مجنوبة شرق بها السفح

حتى إذا اصطفوا لدعوتهم

وبدا لفيض دموعهم نضح

كشف الغمام إجابة لهم

فكأنما خرجوا ليستصحوا

وقد تأتي أحيانا التندر على بعض الشخصيات الملتحية كقول ابن الطوبي في رجل يدعى جعفر بن محمد كث اللحية فقال: (١)

ما إن رأيت ولا سمعت بلحية

عرضت كلحية جعفر بن محمد

سدت عليه وجهه فكأنما

عيناه في ثقبي كساء أسود

وقال في شخص يدعى حمدون: (٢)

لحية حمدون دثار له

تكنه من شدة البرد

كأنها إذ غاب في وسطها

قطيفة لفت على قرد

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦٠.

(٢) نفس المصدر ١/ ٦٢.

ومن النوادر التي نسجت حول البخلاء قول أحدهم وقد دخل على بخيل فلمح انزعاجه فلما أخبره بامتناعه عن الطعام وأنه صائم أشرق وجهه وتهلل فقال : (١)

تبرم إذ دخلت عليه لكن
فطنت فقلت في عرض المقال

علي اليوم نذر في صيام
فأشرق لونه مثل الهلال

ويصور ابن الطوبي رجلاً بخيلاً وقد زاره، وظن أن زيارته من أجل أخذ شيء من ماله، فجزع وكاد يهلك من ذلك فقال ابن الطوبي يصف حالته : (٢)

أتيته زائرا أحدثه
ولست في ماله بذي طمع

فظن أني أتيت أسأله
فكاد يقضي من شدة الجزع

ولقد تطرق شعر السخرية الى وصف بعض الأخلاق المنبوذة والصفات المعنوية كقول أبي عبدالله محمد بن الحسن ابن الطوبي : (٣)

---

(١) المصدر السابق ١/ ٧٠.
(٢) نفس المصدر ١/ ٦٤.
(٣) نفس المصدر ١/ ٦٩.

لو كان في النـــار لما أحرقـــت
وخـــاف أهلوها من الفالـــج
وعذبوا فوق الذى عذبـــوا
إن هولم يطرح الى الخـــارج

وحول هذا المعنى يقول ابن الطوبي : (١)

أتيت اليه في قيظ شـديد
فحياني محياه بثلـــج
فقلت : عدمت عندى بادهنجا
ولكن وجه هذا بادهنجـي (٢)

واذا كان الغناء قد شاع في صقلية وازدهر حتى لتفيد احدى الروايات أن واحدا من ملوك الأندلس استقدم من جزيرة صقلية مغنيا افتتن به ، وهذا على تقدم ذلك الفن في الأندلس (٣) فنظن أن سبب تقدمه يؤول الى موجة النقد التي حفت بالمغنين ،واذا كانت ظاهرة انتقاد المغنيين قد وجدت في المشرق عن شاعر كابن الرومي فانها لم تشع في شعر غيره من الشعراء في المشرق أما في صقلية فإنا نجد كثيرا من الشعراء ينتقدون المغنيين بصرف النظر عن قيمة هذا الشعر مما يدل على أن نقد الغناء كان شائعا في صقلية ومن ذلك قول ابن الطوبي ينتقد مغنيا : (٤)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١ / ٦٤ .

(٢) البادهنج : كلمة فارسية تعني المنفذ الذى يمر منه الريح .

(٣) انظر مقالا بعنوان " المدينة العربية في صقلية " امين الخولي ص ١٤٧ عدد نوفمبر سنة ١٩٢٣م .

(٤) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١ / ٦٧ .

ومغن لو تغنـــــى   لك صوتين لمتـــا
سمج الخلقة غــث   ينحت الآذان نحتـا
ويغني ما اشتهـــاه   لا يغني ما أردتـــا
كلما قال : اقتـــرح ،قلـــت : اقتراحي لو سكتا

وإذا عنّ لأحد الناس أن يقتحم الوسط الغنائي وصوته مستكره فالنـاس تعرض عنه ولا ترتاح لسماع صوته مرة أخرى : (١)

غنى كمن قد صاح في خابيـــة
لا وهب الله له العافيـــــة
ما أحد يسمعه مـــــرة
فيشتهي يسمعه ثانيـــه

وهكذا نرى هذا النقد الساخر يلاحق المغنين ليتنحوا عن هذا الفـن إن لم يحسنوه ومن ذلك أيضا قول ابي الطوبي في مغن: (٢)

لنا مغن غنـــاه   يعـــود شرا عليـــه
لم يأت منزل قـوم   فعــاد قط اليـــه

----

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٦٨/١ .
(٢) نفس المصدر ٦٨/١ .

والمشرف بن راشد يطلب من أحد المغنين أن يعتزل عنه بعد أن أضنى فؤاده بصوته البعيد كل البعد عن الغناء : (١)

غنى فكد وعنى منى فؤادا معنى

فقلت : ماذا غناء ! تنح بالله عنا

ويرسم ابن الطوبي صورة ذلك المغني الذى لا يطرب صوته بل يحزن فاذا ما دُعى الى عرس حول ذلك العرس الى مأتم ممتزج بالوجوم فيقول : (٢)

يغني فنهوى انسداد الصماخ

ونبصره فنحب العمى

دعاه رجال الى عرسهم

فصير عرسهم مأتما

وعلى هذا الطراز يسير النقد الساخر للمغنيين والذى نجم عنه كما أسلفنا تطور هذا الفن وظهوره لوقوف الشعراء بالمرصاد لكل من تطفل واقتحم هذا الباب ، وهوفاقداً لصوت المطرب والأداء الحسن .

----

(١) الخريدة قسم شعراء المغرب ١/ ٩٣ .

(٢) نفس المصدر ١/ ٦٨ .

الفصل السابع

الزهد

الفصل السابع

الزهد

لم تكن الحياة في صقلية في جميع صورها لاهية ماجنة ،بل ينبغي أن ندرك أن حركة المجون والترف لا تعم الناس جميعا ، فمن الصقليين من كابد حياة المسغبة ،وعاش على شظف العيش ،ولم تستمله مغريات الحياة وملذاتها ،وليس معنى هذا أن الفقر هو سبب الزهد - إذ لو كان كذلك كان زائفا لأنه ناشيء عن الحاجة لا عن التقوى - بل نجد من الصقليين من كان من ذوى اليسار ولكنه عكف على عبادة الله وندم على كثرة ذنوبه وضياع عمره بلا عمل يرضى الله ،وقد شاع هذا اللون كثيرا بين الفقهاء الذين يعظون الناس ويذكرونهم بالدار الاخرة التي يفوز بها من تزود بالأعمال الصالحة ويجزى بالجنة ويخسر فيها من حبط عمله وتمنى على الله الأماني وكانت النار منقلبه ومثواه .

وممن نظم في شعر الزهد ابن الطوبي الذى يندد بموقف الناس من الشريعة التي أهملوها فنسيت ، وجاهروا بالمعاصي ،واستشرى شرهم ، وقل خيرهم ، ولم يعدوا العدة ليوم مليء بالأهوال يقول : (١)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١/٧٢ .

لو قلت لي : أى شيء تهوى ؟ القلت : خلاصي
الناس طرا أفاع فلات حين مناص
نسوا الشريعة حتى تجاهروا بالمعاصي
فشرهم في ازدياد وخيرهم في انتقاص
حتى يوافوا المنايا فيؤخذوا بالنواصي
يا ويحهم لو أعدوا لهول يوم القصاص

وجدير بمن حقق في هذه الحياة ما تمنى ، أن يستعد ليوم الرحيل ولا يفرح بما نال فلكل شيء إذا ما تم نقصان كقول أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الغني المقرىء الواعظ (١) :

أيا من نال في الدنيا مناه
تأهب للفراق وللرحيل
ولا تفرح لشيء قد تناهى
فما بعد طلوع سوى النزول

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١١٠ .

وكثيرا ما نجد في شعر الفقهاء هذه النظرة المحتقرة الى الدنيا وزخرفها ،واعترافهم بالتقصير و قلة الزاد ومن ذلك قول الفقيه أبي محمد عبد الحق بن محمد (١) :

أرى فتن الدنيا تزيد وأهلها
يخوضون بالأهوال في غمرة الجهل
فما إن ترى من مخلص ذى بصيرة
وما إن ترى من صادق القول والفعل
الى الله أشكو ما أرى من تغير
وإياه أدعو في إيابي على جهل
فيا سوء حالي حين أصبحت فارغا
ولم أدخر زادا وما زلت في شغل

والغنى والفقر موضوع شغل الناس ، واستولى على ألبابهم ،ومن الحمق أن يقلق الانسان ،وتساوره الهموم في رزق مضمون ،ومقدر وقد نصت عليه الايات من مثل قوله تعالى * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون * (٢) هذه المعاني ترد عند شعراء الزهد من مثل قول أبي بكر عتيق بن عبد الله بن رحمون الخولاني (٣) :

لا تخش في بلدة ضياعا
حيث حياة فثم رزق

---

(١) المختصر : مخطوط ١٠٦ .

(٢) الذاريات ٢٢ ،٢٣ .

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ١١٠ .

قد ضمن الله للبرا يـــــا
رزقهـــم فالعنـــاء حمـــق

واللهث خلف الغني سعي لا طائل من ورائه ،بل يجني صاحبه التعب والارهاق هذا ما تبادر الى ذهن أبي محمد المعافرى بعد أن جرب الدنيا وخدعته ببريقها ولم يظفر منها بشيء فآثر الراحة ورضي بالقناعة حيث يقول : (١)

أنا لعمـــرى يئســـت من الغني فاسترحـــت
وقد قنعت فحسبـــي من الغنـي أن قنعـــت

ولقد سرت هذه النظرة الى بعض الأغنياء حتى لنجد من بينهم من يدعو الى التخلص من المال الوفير ،وذلك بانفاق نصفه في سبل الخيـــر والتمتع بالنصف الاخر طالما أن الانسان سوف يحاسب على كسب يديه كقول أبي على الحسن بن محمد الكاتب : (٢)

ذروني وأموالي التي قد جمعتهـــا
أقدم لي نصفا وأرتع في النصـــف
إذا كان أموالي علي حسابهـــا
فما لي إذا وليت أتركها خلفـــي

وهذه الموجة الحادة من الزهد تولدت عنها موجة صوفية سرت فـــي بعض طبقات المجتمع فمن طبقة القضاة ابن محرز وعمرو بن ميمون وبعضهم

---

(١) المصدر السابق ١/ ٨٢ ، هو أبو محمد عبد العزيز ابن الحاكم عمر بن عبد العزيز المعافرى ،وصف بالبراعة في الصناعة والمهارة في العبارة ، والتنزه في رياض الرياضيات ،والتنبه في سحريات السحريات وله شعر منه البيتان . انظر المصدر السابق .

(٢) المغرب في حلى المغرب (من كتاب الالحان المسليه) مخطوط ٤/ ١٧٤ .

زهاد صقليون أفضى بهم الزهد الى حياة التصوف، ومن أبرزهم أبو الحسن الصقلي الحريرى الذى قضى عمره صامتا لا ينطق الا بذكر الله أو بما يعنيه ،فاذا أقيمت الصلاة تأوه واجتر نفسه وتواجد وقال : واذهاب عمرى في خسارة (١) . ومنهم أيضا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى الصقلي الذى ألف عدة مؤلفات في التصوف وكان قد حج سنة ٣٥٠ هـ وحدث بها (٢) .

ويبدو أن هذه الموجه الصوفية قد بلغت ذروتها في مطلع القرن الخامس وأخذت طرائق عدة وكثر في هذه الطائفة الدخلاء الذين يتظاهرون بالزهد ، ويتواجدون ويبكون عند الغناء ويرقصون ويتفاشون ، وقد انتقد مسلك هؤلاء أبو عبد الله بن الطوبي في أبيات شعرية كقوله (٣) :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خائفا لله ذا ندم
على ذنوبك طول الدهر محزونا

---

(١) رياض النفوس ، المكتبة : ١٩٤ .
(٢) العرب في صقلية : ١١٥ .
(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٧٢ .

ولم تكن هذه الموجه الصوفية قد نبتت نباتا في صقلية فهي وإن نجمت عن حياة الزهد التي هبت رياحها هناك فان ظهورها كان في المشرق أساسا "وكانت مقدماتها أخذت تظهر منذ أواخر القرن الثاني الهجرى عند ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي صاحب اليد الطولى في مبدأ التوكل واشاعته بين أوائل المتصوفة ومعروف الكرخي الذى أشاع مبدأ المعرفة الالهية وأنها غاية المتصوف وحدها لا النجاة من عذاب الآخرة ".(١)

---

(١) العصر العباسي الثاني : د. شوقي ضيف ص ١٠٦.

الفصل الثامن

الخصائص الفنية للشعر في ظل الكلبيين

الفصل الثامن

الخصائص الفنية للشعر في ظل الكلبيين

كانت صقلية بالنسبة للشعر العربي بيئة جديدة تختلف في بعض من خصائصها عن البيئات التقليدية التي نشأ فيها ذلك الشعر ، ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بخصائص هذه البيئة ، وتظهر فيه آثارها ، غير أن الشعر العربي يتميز بارتباطه بتقاليد لازمته على مر العصور وهي تقاليد ترجع الى تلك البيئات الأصلية التي نشأ فيها وتحتفظ بخصائصها وسماتها . ولذلك ظل الشعر العربي في صقلية متمسكا ببعض هذه التقاليد في الوقت الذى انعكست فيه خصائص البيئة الجديدة عليه وظهرت آثارها واضحة في موضوعاته وصوره وأساليب تعبيره .

أولا - اتجاهات الشعر في ظل الكلبيين :

أ - اتجاه تقليدى :

شكل التقليد جانبا من ملامح الشعر الصقلي ،فمن يمعن النظر يجد أن جل شعرهم يسير في ركاب التقليدى المشرقي سواء أنظرنا الى معانيهم أو الى أساليبهم.

ومن ذلك تشبيه محمد بن عبدون السوسى ثقة الدولة بالبدر في أبيات منها قوله : (١)

ولما رأيت البدر قمت مسلما
عليه وأظهرت الخضوع لديه

---

(١) الوافي بالوفيات : ٣/٢٠٦.

وقلت لـه : إن الأمير ابن يوسف

شبيهك قد عز الوصول اليـه

فكن لي شفيعا عنده ومذكـرا

إذا جئته تبغى السلام عليـه

فقد أخذ الشاعر هذا المعنى من قول ابن الرومي :(١)

بالله يا قمر الدجـى كـن لي الى قمرى شفيعـا

ومن معاني بشار وصيته للعاشق بالصبر والتحمل وإن أغلظ له في القول كقولـه :(٢)

لا يوءيسنك من مخبـأة

قـول تغلظه وإن جرحـا

عسر النسـاء الى مياسـرة

والصعب يمكن بعدما جمحـا

فقد أخذ هذا المعنى أبو الحسن الربعي الصقلي فقال :(٣)

ولقد تعبدنـي على حريتـي

غصن تنعم في الرحيق السلسل

---

(١) الوافي بالوفيات : ٣/٢٠٦.

(٢) المختار من شعر بشار : ١٠٦.

(٣) نفس المصدر : ١٠٧.

داريت قسوته بلين تلطفي
والصلب تعطفه يد المتحيل
فاذا بليت بهاجر فاصبر له
فالماء ينبط من صفاة الجندل

ووصف ابن الرومي حلاوة الحديث وأنه السحر الحلال ،بل هو شرك يتصيد العقول فيأسرها فقال:(١)

وحديثها السحر الحلال لو أنه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت
ود المحدث أنها لم توجز
شرك العقول ونزهة ما مثلها
للمطمئن وعلقه المستوفز

قال شارح المختار : أخذ الربعي أبو الحسن معنى هذا البيت الأخير فزاد عليه قال وأنشدنيه:(٢)

وحديثها كأنما هو منه رطب يانع وخمر عتيق
شرك يقنص العقول فلا يسلم منه الا فؤاد وثيق
ليت قوتي ولا أريد سواه منك لو نلته حديث وريق

---

(١) المختار من شعر بشار : ٤١ .
(٢) نفس المصدر .

هذه المعاني التقليدية التي طرقها شعراء صقلية ما كانت لتتأتى لهم وتمتزج باشعارهم لولا انقطاعهم الى الثقافة العربية بعامة والى الشعر المشرقي بخاصة ،فظهر ذلك جليا في معانيهم وأساليب تعبيرهم .

ومن ألوان التقليد ترسم خطى القدماء في المشرق وحشد الصور التشبيهية في البيت الواحد أوتكرارها في كل أبيات القصيدة ،طلبا للإجادة كقول عبدالله بن سليمان الكلبي في وصف متنزه (١) وقد تكررت عنده التشبيهات إذ نراه يقول : (٢)

كأن الشقيق بها وجنة
بآخرها لمعة من عذار
كأن البنفسج في لونه
اختلاط الظلام بضوء النهار
وسوسنها مثل بياض القباب
بأوساطها عمد من نضار

---

(١) انظر العرب في صقلية : ١٧٥ .

(٢) فوات الوفيات : ٢/١٧٦ .

ولقد جارت القصيدة الصقلية بعض قصائد المشارقة ذات الموضوعات المتعددة إذ نجد ذلك جليا عند كثير من شعراء العصر الكلبي مثل ابن الطوبي وابن قاضي ميله وابن أبي القائد وغيرهم ، فتتألف عناصر القصيدة من الوقوف على الأطلال المشفوع بالغزل ثم وصف الخمر أووصف الرحلة ثم الوصول الى الغرض الأساسي وهو المدح مثلا ، ومن أمثلة ذلك قصيدة ابن قاضي ميله التي نهجت هذا النهج حتى انتهت بمدح ثقة الدولة الكلبي (١) وقصيدة أبي يوسف يعقوب بن علي الزبيدى الصقلي التي بدأها بالوقوف على الأطلال التي كانت مفتاحا لذكرياته التي هيجها ذلك

الرسم البالي فأفصح عما يضمره من حب دفين وما يقاسي من لواعج السقم فقال : (٢)

أناملها سلمت أم عنم
غداة وقفنا بوادى سلم
وهذا الذى لائح مبسم
أم البرق من ثغرها يبتسم

---

(١) وفيات الأعيان ١٥٩/٦ ومابعدها.

(٢) انباه الرواة ٥٧/٤.

رمتني سلمى بهجرانها

فهل لي منها وصال أم

خليلي إن مت من أجلها

سيحدث بعدي لسلمى ندم

وما عزني غير قولي لها

أتحيي قتيلا ؟ فقالت : نعم

فما أتبعت قولها نائلا

ولا أذهبت لا عجا من سقم

ب - اتجاه تقليدى مجدد :

استطاعت صقلية أن تمثل نفسها الى حد ما ،ففي اطار التقليد مثلت فروسيتها وجزيرتها وزروعها وخيراتها ،فلم يكن وعاء الشعر الصقلي في ظل الكلبيين تقليديا خالصا، بل انصهر الشعر الصقلي الممتد الجذور في البيئات المشرقية في بوتقة الحياة الصقلية الجديدة فصور الشعراء بيئتهم تصويرا طريفا ،كما استطاعت صقلية أن تمثل ذلك الاختلاط بين مجتمع مسلم و مجتمع لا يدين بالاسلام ،وبين عرب وغير عرب وانها مثلت موجة الزهد والتصوف التي كانت منبثة في بعض جوانبها أيضا .

وإذا كانت صقلية «تمتاز بطبيعتها الفنية ،ووديانها الخصبة وأنهارها الجارية وجناتها المشرقة ،فلقد أثارت سكانها من أقدم العصور الى التغني بحياتها الريفية» (١) وصور الشعراء هذه البيئة تصويرا بديعا فمن ذلك قول أبي القاسم الكلبي متدحا جمال صقلية ومعرضا بالبيئة الصحراوية : (٢)

وأهاجني برق يشوق الى الحمى
قلب المشوق فلا يزال يهيم
حسنت به الدنيا فكل قرارة
روض وكل صبا يهب نسيم

----

(١) شعر الطبيعة : ٢٦٨ - د . سيد نوفل ،دار المعارف .

(٢) عنوان الأريب : ١٢٦ .

تلك الرياض المحييات نفوسنا
أنفاسها لا الشيح والقيصوم
سقيا لأيام الربيع وحسنها
لو أن ذاك الحسن كان يدوم
طابت حدائقها ورق كأنها
جودى النثير ولفظي المنظوم

لقد صور الشعر جمال صقلية وحسن مناظرها، وذهب الشعراء يشيدون بجمال الطبيعة ومواطن الفتنة فيها وتركوا لنا رصيدا شعريا في هذا الجانب، وقد أشار الى تأثير الطبيعة في الشعر د. احسان عباس فقال: (١)

" وهذه الطبيعة الأرضية - وهي أول عنصر في شخصية الجزيرة - كان لها أثرها في توجيه الحياة الاسلامية لها، وكان لها أثران بارزان في الشعر، أما أولا فقد أقرت أصولا خلقية عامة يقبلها الناس في حياتهم فأصبح في الشعر صدى لهذه المقاييس العرفية أو الدينية، أى أنه أصبح يحث على هذه الأخلاق أو تلك، فاستقام في هذا مع دروس أهل الوعظ ومع الطابع العام للدراسات الفقهية في المساجد، وأما ثانيا فقد نشأ من الاتجاه الى الحياة العملية اتجاهات دنيوية تحل بمقاييسها الجديدة محل الدين . . . ففي أواخر العصر الاسلامي كان الشعور بالوطن قد أخذ يقوى على كل شعور، وأصبحت فكرة الوطنية هي الدين الجديد الذى يربط بين الصقليين أنفسهم، ونحن نتفق مع الدكتور في أن الشعر مثل بعض المقاييس الفقهية التي تدرس في المساجد وتلقى في مجالس

----

(١) العرب في صقلية : ٣٠٠ .

العلم ولا نتفق معه في أن الفكرة الوطنية هيمنت على الساحة الأدبية وطغت على ما عداها أما عن الحالة الأولى فقد رصد الشعر أى خروج على مقاييس الفقه ثم بادر بانتقادها لا سيما اذا لم تنسجم مع التوجيهات الدينية كما فعل ابن الطوبي حينما رأى انغماس بعض الصقليين في طقوس التصوف فأبدى موقفه منهم قائلا (١) :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا تغاشي كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خائفا لله ذا ندم
على ذنوبك طول الدهر محزونا

وبالرغم من أن روح النزعة الوطنية لم تكن طاغية في ذلك الوقت الا أنها كانت موجودة فقد هتف بها بعض الشعراء خصوصا حينما دب الوهن في جسد الدولة الكلبية ، وخشي على صقلية من الاحتلال الأجنبي ، ولكن بطريقة لا تتنافى مع النزعة الدينية ومن ذلك قول أبي محمد القاسم بن عبد الله التميمي (٢) :

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١ / ٧٢ .

(٢) عنوان الأريب : ١٣٥ .

سقى الله هيم الغرب لا بعض هامه

كما يمنع الغمض السليم المنادم

وما كنت أسقى الغرب لوكان لم تكن

صقليه منه وان لام لائـــــــم

ولقد بلغ من حرص ابن الخياط على مصير البلاد وخشيتـــــه مـــن وقـــوعهـــا فريســـــة للأعــــداء أن أسدى لولاتها النصح وأخلص لأهلها الرأى ،وذلك بنبذ الفرقة ، وترك الانقسامات حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه فقال:(١)

وقلت تلافوا شجة الدهر انهـــا

اذا نغلت أعيت مطيـــــة آس

فلما أماطت الفتنة اللثام عن وجهها وانحسر حكم الكلبيين وشاعت الفوضى في البلاد قال:(٢)

---

(١) المختار من شعر بشار : ١٧٣.

(٢) نفس المصدر : ٢٨٧.

ليسلكم أن الجزيرة بعدكم

كما قيل في الأمثال لحم على وضم

وإذا كان المجتمع الصقلي ، يحوى أمشاجا من البشر عربا وغير عرب ، مسلمين ونصارى فلم يغب هذا الامتزاج عن التصوير الشعرى . فقد فتن بعضه الشعراء بغلمان النصارى فتناولوهم بالوصف ونظموا فيهم الشعر ومن ذلك قول ابن الطوبي في غلام نصراني: (١)

شمس الضحى من فوق إزراره

والغصن في عقدة زناره

سراج أهل الدين في حسنه

يجلو دجى الليل بأنواره

كأنما هاروت في طرفه

ينفث سحرا بين أشفاره

أحرقني ظلما بنار الهوى

نجاه رب العرش من ناره

ومن الغريب أن يدعو له بالنجاة من النار مع علمه بأنه نصراني كافر مآله الى النار ، ولعل هذا يعطي موء شرا آخر وهو ضعف الوازع الديني عند بعض الشعراء ومنهم ابن الطوبي . ولقد شاع عند الصقليين هذا النوع من الغزل الشاذ لا سيما الذى يقترن بدور الخمر ومحال بيعها .

---

(١) المحمدون من الشعراء : ٢٥٦ .

وقد صرح أحدهم باسم من يحب ويفهم من ذلك أنه ليس عربيا بل أعجميا ، وربما كان من غلمان النصارى ويدعى " مرتين " وفيه يقول : (١)

يا سيدى قد جاء مسيني
أرق من حالي ومن ديني
جاء به (مرتين) في دنه
لا عطبت أجفان (مرتين)

أما ابن الخياط فليمح الحسن والجمال في آحد الكنائس المسيحية

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميرى : ١٢٠ .

مشفوعا برهبانية التعبد على طريقتهم فيبهره ذلك الجمال فيقول: (١)

كأن في لباتهم وخدودهم
وذائل ملسا من لجين وعسجد
ترى كبرياء الحسن في لحظاتهم
يشاب برهبانية المتهجد
إذا قبلوا صلبانهم رشفت بهم
حصى برد فيه مجاجة صرخد

ولقد مر بنا أثناء دراستنا لبعض النماذج الشعرية أن شعر الغزل عند الأمراء الكلبيين كمثل أبي محمد القاسم بن نزار الكلبي وأبي محمد عمار ابن المنصور الكلبي ومستخلص الدولة وغيرهم تشم منه رائحة الاعتداد بالنفس ،والشعور بالعزة ،وهو ما يخالف التقاليد الشعرية التي نادى بها النقاد واتبعها الشعراء من تذلل مفرط للمحبوب ومن ذلك قول الأمير مستخلص الدولة: (٢)

قلت يوما لها . وقد أحرجتني
قولة ما قدرت أنفك عنها
أشتهى لو ملكت أمرك حتى
آمر الآن فيك قهرا وأنهى

---

(١) المختار من شعر بشار : ٢٩١ .
(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٨٥ .

فبكت ،ثم أعرضت ،ثم قالت

ختنتني في محبة لم أخنها

قلت إن أنت لم تجودى بوصل

فالمنى ما عليك لو نلت منها

وقد يتعالى أحدهم في حيه الأرستقراطي ويظل في برجه العاجي متى أحس جفاء الحبيب بل يحرم عينيه من رؤيته فإن لم يستجب لارادته كان عقابها الازالة والاعدام ،هكذا رأى الأمير ابي محمد القاسم ابن نزار الكلبي (١) :

انى متى يجفو الحبيب وصلت جفوته ببين

ومنعت عيني أن تراه ولو رأته فقأت عيني

وجعلته بفعاله في العين مثل قذاة عيني

ووضعته دون الحضيض لو أنه في الفرقدين

وقطعته لو كان يشبه أحمد بن أبي الحسين

ولقد فرضت الحياة السياسية على الجزيرة رفع علم الجهاد ،فلم ترخ صقلية عنانها لدولة الكلبيين المسلمة الا بعد حروب طاحنة ، وغزوات متعاقبة مع الطامعين والغزاة وقد كان الروم يشكلون خطرا مستمرا على البلاد ، ولا ريب أن هذه الحوادث لم تكن غائبة عن مخيلة الشعراء

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٨٦ .

فسجل الشعر انتصاراتهم ،وأشاد بغزواتهم ؛ ومن هذا اللون قول أبي عبدالله الحسين بن علي يحض على الجهاد ويمتدح أحد الأمراء:(١)

على العادات فاجر مع الأعادى
وناد يجبك منهم كل نـاد

ومنها :

عبيدك من تؤم من الأعادى
وأرضك ما تروم من البلاد
فدونك يا عميد الملك فاعمد
تنل إن رمتها ذات العماد
صرفت عن الأغاني والغواني
هواك الى العوادى والأعادى
وقدمت الركاب على كماب
مخضبة الترائب بالجساد
وكم باتت جفونك ساهرات
سهادا يقتضي طيب الرقاد
ومن يك في اللذاذة ذا اجتهاد
فانك ذو اجتهاد في الجهاد

ومن هذه المعاني أيضا قول ابن الخياط الربعي:(٢)

---

(١) عنوان الأريب : ١/١٣٠.
(٢) نفس المصدر ١/١٣٣.

ملك تضم الأرض قبضته

حتى تكون جميعها طبقا

يغزو بأدهم في العجاج ترى

لمع السيوف بجسمه بلقا

ومن الملامح الجديدة في الشعر الصقلي شيوع إضمار الأسماء وتعمد التصحيف لاخفاء الأسماء والتلاعب في الألفاظ للتعتيم وابعادها عن الأفهام لتحتاج في حل رموزها الى اجالة فكر وكد ذهن ،ولقد شاع هذا اللون من الاضمار في الأدب الأندلسي فهل لنا أن نقول إن الصقليين يعارضون شعراء الأندلس في هذا الاتجاه ؟

ثانيا : سمات أسلوبية وثقافية :

إن قارئ الشعر الصقلي يلمس التطور والتحضر الذى طرأ على أسلوب الشعر ، والقاموس الصقلي مزيج من الألفاظ السهلة المألوفة التي ابتعدت عن الجفاف والتعقيد ونأت عن لغة التصحر والبادية ولم يعد الشاعر الصقلي يصر على الركض خلف الغريب والبحث عن الألفاظ المتوعرة بل لان اسلوبه وعذب لفظه وشاع في صياغته بعض الألفاظ المتحضرة والكلمات المتمدنة مثل : (يا شقيق الفؤاد ، وقاسي القلب ، وسيدى ، ومولى الندى ، وزهر النهى) ومن ذلك قول المشرف بن راشد :(١)

يا شقيق الفؤاد حكمك جور
لك مني حب ولي منك بغض

وكذا قول ابن الطوبي :(٢)

يا قاسي القلب ألا رحمة
تنالني من قلبك القاسي

وترددت كلمة " سيدى " عند أبي الفضل جعفر بن البرون كقوله :(٣)

اني أبثك سيدى ما ليس يحمله بشر

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١٠٣/١ . وانظر الشعر العربي في صقلية ٣٧ .

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٥٥/١ .

(٣) نفس المصدر ١٧/١ .

وكتب أحد الصقليين الى ثقة الدولة مستخدما لفظة (مولى الندى) في أسلوبه الشعرى فقال : (١)

أنت مولى الندى ومولاى لكـــن
ربّ مولى يجور في الأحكـــام

لكن هذا الأسلوب الســهل الذى يغلب على لغـة الشعـر عند الصقليين قد ينحدر أحيانا الى لغة العامـة كقول أبي الفضل المشرف بن راشد في ذم مغن : (٢)

غنى فكد وعنـى منـي فوءادا معنـــى
فقلت : ماذا غنـاء؟ تنح بالله عنـــا

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١٠١ . لم يرد ذكر صاحب البيت في المصدر .
(٢) نفس المصدر ١/٩٣ .

وقد يميل بعضهم الى التكرار اللفظي اما بنفس المعنى أو بمعنى مخالف كقول ابن الطوبي :(١)

كتبت فلم تجبني عن كتابي
ولم يعد ،الرسول علي حرفا
فآها ثم آها ثم آها
وأفا ثم أفا ثم أفا

ومن الشعراء من يخالف قواعد اللغة فيقصر الممدود للضرورة الشعرية كقول أبي على القاف الكاتب حيث حذف همزة " تشاء ":(٢)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٧٠.

(٢) نفس المصدر ١/ ٨٧.

أيها الخائف المكا　　ره وطن لها الحشا

رب أمر كرهته　　نلت فيه الذى تشا

وبعض الشعراء لا يحسن اختيار الألفاظ الشاعرية والجمل المنسجمة مع اللغة الشعرية بل يستخدم أحيانا كلمات غير مألوفة وألفاظاً متنافرة مما يتنافى مع أسلوب الشعر.

وكقول أبي العباس القاف (١) :

وزعمت أنك لا تكلمني

عشرا فمن لك أنني أبقى ؟

وإذا كانت صقلية مركزا ثقافيا كما مر فان الشعراء الصقليين كانوا جزء من هذا المجتمع الذى نهل من روافده الثقافية ، فظهر أثر ذلك على أساليبهم ومعانيهم ، فمن تأثرهم بالقرآن الكريم اقتباس ابن الطوبي قوله تعالى * ختامه مسك * في قوله (٢) :

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٨٨.

(٢) نفس المصدر ١/٨٠.

يا حبذا كأس يكون بهــــا
ريق كأن " ختامه مســـك"

وابن الخياط يلمح قوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ (١) فيضمن هذا المعنى بيتيه التاليين فيقول: (٢)

وان أولى نبات أن تثمره
صنيعة أنت مولاها ومولیها

قربها انها سبع سنابلهــا
في حبة بارك الرحمن لي فيها

ولقد انعكست العلوم الفقهية على لغة الشعر ومعانيه ، واستعار بعض الشعراء مصطلحات فقهية في أشعارهم في بعض الأغراض.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦١.
(٢) المختار من شعر بشار : ١١٦.

ومن الاشارات التاريخية المرتبطة ببعض الحوادث في الاسلام قول ابن الطوبي (١) على لسان فص أحمر :

حمرتي من دم قلبي أين من يندب أينا

أنا من أحجار أرض قتلوا فيها الحسينا

وكقول المشرف بن راشد وقد أورد لسم نوح عليه السلام ووالده "لمك أو لامك" (٢):

فاسمع بعينك عنها مثلما سمعت

أذناك من قبل عن نوح وعن لمك

ولم يغفل الأسلوب الشعرى دور المثل إذ ضمن بعض الشعراء الصقليين شعرهم شيئا من الأمثال كقول سليمان بن محمد (٣):

سبحان من صاغ الأنام بقدرة

منه وأفرد بالملاحة جعفرا

حمل المحاسن كلها مجموعة

في وجهه " كالصيد في جوف الفرا"

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦٠ . وانظر الشعر العربي في صقلية ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر ١/ ٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٩٥ .

ومن المصطلحات التي وضعها المتكلمون الجوهر والعرض اللذان وردا في قول ابن الطوبي (١) :

كأنها جوهر في ذاته عرض

قد شيب منسبك فيه بمنسبك

---

(١) الخريدة . قسم شعراء المغرب ١/٧٨ .

وكقول أبي محمد قاسم بن عبدالله وقد جانس في كل بيت من أبياته التالية: (١)

يا معتبا لوشاء ما أعتبا
يعذب عندى كلما عذبا

لا تنكرن الموت من لحظة
ما بين أجفان الظباء الظبا

كأنه من طيف أنفاسه
نشر الصبا يهدى الى الصبا

وقد يورد بعض الشعراء في البيت الواحد أكثر من جناس كقول أبي حفص عمر بن عبدالله الكاتب وقد جانس بين لفظتي (أرق ،أراق) ولفظتي (وهوى ، هوى) في البيت التالي: (٢)

أرق أراق مصون دمعي كاربه
وهوى هوى بجميل صبرى غالبه

---

(١) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ورقة : ١٠٩ .

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/١١٢ .

وأحيانا يمزج الشاعر بين الجناس والطباق في بيت واحد كقول الأمير جعفر بن الطيب الكلبي :(١)

ضحوك مرة جهدا وباك
وشاكر حاله حينا وشاك

فقد وقع الطباق بين (ضحوك وباك) والجناس الناقص بين شاكر وشاك ، وكلا المحسنيين في بيت واحد .

وأحيانا يجرف بعضهم تيار الاهتمام بتعدد الطباق ، اذ أن ذلك في منظورهم معيار لاجادة ومقياس السبق كقول ابن الطوبي وقد طابق بين ثلاثة وثلاثة في قوله :(٢)

يقرب قوله لك كل شيء
وتطلبه فتبصر بعيدا
فما يرجو الصديق الوعد منه
ولا يخش العدو له وعيدا

ويظل التنافس بين الشعراء الصقليين قائما في هذا اللون حتى ليأتي من يطابق أربعة بأربعة كقول المشرف بن راشد :(٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١ / ١١٣ .

(٢) نفس المصدر ١ / ٧١ .

(٣) المصدر نفسه ١ / ٩١ .

فأقصاهم رضوان عن روح جنـة
وأدناهم من لفحة النار مالـك

وقد يتخطى بعضهم الطباق الى المقابلة كقول الأمير جعفر بن الطيب الكلبي : (١)

وفقدتكم من ناظرى فوجدتكـم
لما أردت لقاءكم في خاطـرى

ثالثا ـ الصورة الفنية :

يرى نقاد العرب "أن الكلام المشتمل على الخيال أروع وأشد تأثيرا في النفس من الكلام الذى يكون حقيقة كله ،ولهذا دار على ألسنتهم كثيرا قولهم : المجاز أبلغ من الحقيقة .ورأوه أحسن موقعا في القلوب والأسماع ذلك لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس بـه ، سريعة الى التأثر بصوره ". (٢)

والشعر الصقلي يعتمد على الصورة أحيانا ،ومع أن غالبية صوره تدور في اطار تقليدى ،الا أن من صور الشعر في العصر الكلبي ما كان منتزعا من البيئة ،ممثلا لحياة البحر، مصورا لحياة الطبيعة الحسناء ،التي تختال بها صقلية ،وقد تمتزج الصورة أحيانا بجو الجزيرة الحربي الذى ساد

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ١١٤ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب : ٥١٠ .

البلاد فترة من الزمن . ومن تلك الصور التي دارت في جو حربي ممتزجة ببعض معطيات الطبيعة قول ابن الخياط في وصف جيش :(١)

وإن يدى رهن لهم منك بعدما
يضايقه كالنار أو جمرها أحمر
من التاركات الأرض بالحرب جذوة
إذا كانت الأعشاب فيها من البشر

وقد تعتمد الصورة في بعض الأحايين على عنصر التشبيه الذى يتكرر غالبا في كل بيت كقول عبدالله بن سليمان الصقلي :(٢)

كأن الشقيق بها وجنة
بآخرها لمعة من عذار
كأن البنفسج في لونه
اختلاط الظلام بضوء النهار
وسوستها مثل بيض القباب
بأوساطها عمد من نضار

وإذا كان التشبيه جاريا على ألسنتهم كثيرا فان التمثيلي أكثر استعمالا كقول الفقيه أبي موسى عيسى بن عبد المنعم في الغزل :(٢)

---

(١) المختار من شعر بشار

(٢) المغرب فى حلى المغرب من كتاب (الألحان المسليه) مخطوط ٤/١٧٤ .

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ٢٨/١ .

فكأنها ووشاحها وخمارها
وحليها للناظر المتوسم
شمس توشحت السنا وتتوجت
جنح الدجى وتقلدت بالأنجم

ومثله أيضا :(١)

فكأنها في درعها وخمارها الأبيـ
ـض والمحمر عند المنظر
ياقوتة كسيت صفيحة فضة
وتتوجت صفح العقيق الأحمر

وليس معنى ذلك غياب التشبيه المفرد بل هو موجود ،لكنه كان أقل استعمالا ومن ذلك قول ابن الخياط في الكلبيين :(٢)

وجوه كأن الله قال لمائها
ترقرق حياء وامزج الحسن بالكرم
كأنهم فوق الأسرة أنجم
سعود وقى الهيجا ضراغمه بهم

وأحيانا يستمدون صورهم من الرموز الكتابية كقول ابن الطوبي :(٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٢٨.

(٢) المختار من شعر بشار : ١٧٣.

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٨٣.

لم أنس إذ عانقت بدر التمـــام
فـي غسـق الليل وجنح الظلام
كأننا لامـان قد قوربـــا
فألصق الخط فصارا كـلام

ومن التشبيهات التي تناولها الشعراء الصقليون ما لا يخلو من طرافة وابتكار وجده كقول الفقيه أبي موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي وقد شبه كفلا بزق ناقص :(١)

تجذب خصرا مخطفا بكفـل مرجــج
كمثل زق ناقص على خمار أعرج

وكقول ابن الخياط وقد شبه اللحظة الزمنية التي لمح فيها من يهوى وسط الرقباء بمثل ما يقبض الطائر جناحيه ،أى أنها كانت على عجل:(٢)

ولقد أحك العين أوهم بالقذى
واللحظ بين جفونها متواتـــر
ولربما غفلوا ففزت بنظـــرة
عجلا كما قبض الجناح الطائـر

وقد أبدى اعجابه بهذا التشبيه شارح المختار من شعر بشار العلامة اسماعيل بن أحمد التجيبي فقال : " وهذا معنى - فيما أراه - مخترع وتشبيه مبتدع أعني عجز بيت أبي الحسن هذا ".(٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٣٣ .
(٢) المختار من شعر بشار : ٦٢ .
(٣) نفس المصدر .

وقد يدخل في بناء الصورة الفنية عند الصقليين عنصر التشخيص
علي بن محمد بن الخياط
والتجسيد كقول أبي الحسن/الربعي في مدح مستخلص الدولة الكلبي : (١)

فكأنما الحدثان خلف زجاجة
تريانه خلل الغيوب شفيفا
وكأن أسرار الوجوه تصورت
لكما بأسرار القلوب حروفا
فاذا انطوت يوما بغش نية
نشرت فأصبح سترها مكشوفا

والبيئة الصقلية تميزت عن غيرها من البيئات باجتماع عنصرين متضادين هما الماء الذى تشهده الجزيرة بكثرة أمطارها والنار التي تندلع من بركانها المشهور ،وهذه الثنائية شغلت الشعراء واستولت على صورهم
علي بن محمد بن الخياط
أحيانا ، وممن تفاعل مع هذه الثنائية أبو الحسن/الربعي الذى شبه الخراب الذى سرى في جسد الدولة الكلبية في أواخر عهدهم وأخذ يشوه محاسنهم بحمم البركان التي تزحف على الأزهار فتخنقها بعد أن كانت ناضرة فقال : (٢)

---

(١) شرح المختار من شعر بشار : ١٢٠.

(٢) نفس المصدر : ٢٨٧.

تركتم بقايا حسنكم في خرابها

كما ذبل النوار في حلل الحمم

وقد يجنح الخيال بالشاعر ليلمح هذه الثنائية في أى مكان آخر سواء في موضوع الخمر أم الغزل ، فهذه الصورة قد تتراءى لهم أحيانا في كأس الخمر كقول أبي عبدالله محمد بن الحسن ابن الطوبي الفقيه : (١)

وعجبنا للماء يحمل نارا

في قنان كأنها خرط عاج

وقد تنتقل أحيانا الى موضوع الغزل فيلمح اجتماعها في وجنة الحبيبة كقول ابن الخياط : (٢)

تعارضنا مقابلة بلحظ

فأطرقنا وقد فهم المراد

وطار بماء وجنته شرار

كأن اللحظ بينهما زناد

أما الشاعر عبد العزيز المعافرى فقد تمثلت له هذه الصورة عند وصفه للعذار فقال: (٣)

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٦٢ .

(٢) المختار من شعر بشار : ٦٣ .

(٣) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٥٤ .

مات حد القياس إذ صيغ ماء

وسط درمركب فيه نار

وإذا كانت صقلية تتربع على مياه البحر الأبيض المتوسط فلم يكن هذا الموقع غائبا عن مخيلة الشعراء ولذا تراهم يستمدون بعض صورهم منه فابن الطوبي يشبه لمع الكأس بالشراع الممدد في قوله: (١)

وصهباء كالابريز تبصر كأسها

من اللمع في مثل الشراع الممدد

وأبو عبدالله القرني تلوح بذهنه صورة الناجي من الغرق الذى كابد الموج فشبه حالته بهذه الصورة فيقول: (٢)

ينضح جسمي على الفراش لما

بالقلب من لوعة ومن حرق

بعارض يستهل واكفه

على واش بالوابل الغدق

مثل غريق نجا بمهجته

وكابد الموج خشية الغرق

والصيادون عادة يستخدمون الشباك للصيد في البحر، لكن صورة الشبكة تراءت لبعضهم حينما كوّن حباب الكأس نسيجا شبكيا فوقها ليمنع ما

---

(١) الخريدة - قسم شعراء المغرب ١/ ٨١.

(٢) نفس المصدر ١/ ٩٦.

بداخلها من الخروج ومن ذلك قول ابن الطوبي : (١)

والماء يحذر منها أن تطير فقد
صاغ الحباب عليها صيغة الشبك

وكقول أبي القاسم الكلبي : (٢)

كأن حبابها شبك مقيم
لصيد الألسن المتطايرات

وإذا كان الغالب على الجزيرة في ظل الكلبيين السمة الحربية (٣)، فقد استمد بعض الشعراء صورهم من أرض المعركة لا سيما في غرضي الخمر والغزل ومن ذلك قول أبي القاسم: (٤)

تسير الى الهموم بلا ارتياع
كما سار الكمي الى الكماة

ويقول أيضا : (٥)

فأبرزها بزال الدن صرفا
كما انبعث النجيع من الجراح

---

(١) الخريدة - قسم شعراء المغرب ١/٨٧.

(٢) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ٩٨.

(٣) الشعر العربي في صقلية : ٤٥٠.

(٤) فوات الوفيات : ٢/١٧٦.

(٥) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ٩٩.

أما ورودها في موضوع الغزل فكقول أبي عبدالله محمد بن قاسم يصف زرقة العين :(١)

وعابوا زرقة في العين منه
وقالوا الدعج أسلب للعقول
فقلت : الزرق أفتكها فعالا
كفاكم ذاك من زرق النصول

رابعا : سمات صوتية :

شهدت بعض بيئات الشعر العربي تطورا وتجديدا في المعاني والصياغة و بعض الجوانب الصوتيه ،ولعل أهم البيئات التي أحدثت انقلابا في دنيا الموسيقى الأندلس ، وذلك بما أحدثته من أوزان جديدة عرفت بالموشحات ومن أن صقلية مجاورة لبلاد الأندلس الا أنها لم تحدث ما أحدثته الأندلس بالرغم مما قيل من أن الصقليين هم الوسطاء الذين قاموا بترجمة الموشحات الى الايطالية (٢) ولكن قد يكون ذلك النقل تم في عصور متأخرة عن العصر الكلبي ،ومع هذا فقد استطاعت الموجه الفنية من الغناء أن تحدث تطورا في موسيقى الشعر اذ استبعدت الأوزان الطويلة (البسيط ، الطويل ،الكامل) واستبدلت بها أوزان أخرى كثر النظم فيها كالوافر والخفيف والمتقارب والسريع ونحوها ،و قليل

---

(١) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ٩٠ .
(٢) صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية : ٢١٦ .

ما ينظم الشعراء على هذه البحور الطويلة وقد تجزأ أحيانا وتحور لتتناسب مع ذوق المغنين.

ومن هذه الأوزان القصيرة قول أبي حفص عمر بن الحسن الفوني : (١)

بأبي من غدا　　في فؤادي محله
والذي عقد حبه　　ليس خلق يحله
أيها العاذل الذي　　طال في الحب عذله
أتراني مللته　　لست ممن يمله
لا ولا اعتضت غيره　　بل له الود كله

وقد يعمدون أحيانا الى النظم في بحر المجتث أو الوافر لتتلاءم مع

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب : ١/١٠٣، ١٠٤.

الايقاع الموسيقى والأداء الغنائي كقول الأمير تاج الدولة الكلبي (١) :

إن مست النار جسمي　　أبديت طيب نسيمي
كالدهر إن عض يوما　　أبان فضل الكريم

وكقوله : (٢)

اصبر على الشوق صبرى
على ملاقاة جمر
وطب كطيبي إذا ما
نالتك سطوة دهر

ومما جاء على بحر الوافر المجزوء قولهم : (٣)

أرى بدرين قد طلعا　　على غصنين في نسق
لدى ثوبين قد صبغا　　صباغ الخد والحدق
فهذه الشمس في شفق　　وهذا البدر في غسق

---

(١) المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة : ١٠٤.
(٢) نفس المصدر .
(٣) المغرب في حلى المغرب ٤/٣٤١ من كتاب "الألحان المسلية ".

ونجد من الشعراء الصقليين من يعتني بشعره ، ويحرص على تنميقه ونظمه فيوفر له قدرا من الموسيقى الداخلية كقول ابن الخياط : (١)

عجبت ولم أعجب بغير عجب
لمن يشتكي داء الغير طبيب

ونلحظ هذه الموسيقى في قول محمد بن عيسى الفقيه : (٢)

في طرفها سقم وفي ألحاظها
غنج ، وفي تلك المعاطف لين

وعلى الرغم من عناية بعض الشعراء بخفة أوزانهم ورشاقتها فانها لم تسلم من العيوب العروضية ، ومن هذه العيوب

----

(١) المختار من شعر بشار : ٢٤٧.

(٢) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/٣٨.

ماورد في هذا البيت: (١)

يا رب زدني غراما في محبته

ودع فؤادي بالأشواق يتلفه

فالبيت من بحر البسيط والعيب العروضي هو "الخبن". (٢) وهو العيب الذى نراه في الشطر الثاني من بيت الامير تاج الدولة الكلبي : (٣)

إن مست النار جسمي أبديت طيب نسيمي

وإذا كانت القافية شريكة الوزن في غمر الشعر بالموسيقى الظاهرية فهناك من القوافي ما جاءت قلقة غير مرادة بل تأتي أحيانا لاستكمال الوزن الشعرى كقول ابن الطوبي : (٤)

إن أنت لم يحتج اليك الورى

كنت بهم في تعب متعب

فأى معنى جديد افادت كلمة "متعب" بعد أن تقدمتها كلمة "تعب" إذ أن المعنى قد استوفى بدونها وانما الذى أرغم الشاعر على ايرادها الوزن.

وكذلك قول أبي القاسم الكاتب: (٥)

---

(١) معجم السفر : ١/ ١٥٠.

(٢) الخبن : حذف الثاني الساكن.

(٣) المختصر ١٠٤.

(٤) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٦٥.

(٥) نفس المصدر ١/ ٩٧.

وأغيد مجدول القوام مهفف
دعاني فلم ألبث ولم أتخلف

فكلمتا ألبث وأتخلف هما بمعنى التأخير ويبدو أنه لم يأت بلفظة "لم أتخلف" الا ليستقيم الوزن عنده.

ومن القوافي التي لا تأتي طبيعية في مكانها بل تبدو وكأنها قلقة قول الشاعر أبو علي حسن بن داود الملقب بالفاون[1] :

فتعسا لدهر حط علو مراتبي
وقلل إخواني وأكثر ذامي
إذا اخضر يوما منه للمرء جانب
غدا فجلا للعين كيف بنام

فقد قال المحقق أن البنام لغة في البنان[2] ولكن أى معنى أفادته القافية هنا ان المقصود غير واضح بسبب القافية التي وردت غير مطلوبة في البيت .

*

ومن خلال دراستنا لهذه الخصائص نلاحظ أن الشعر الصقلي يدور بصفة عامة في فلك التقليد فالشاعر كثيرا ما يبدئ ويعيد في معاني القدماء وأساليبهم وصورهم ولكن في نفس الوقت هناك بعض

---

(١) الخريدة : قسم شعراء المغرب ١/ ٢٦.
(٢) انظر نفس المصدر .

اللمسات التجديدية التي تعد انعكاسا للبيئة الصقلية والتي ظهرت آثارها واضحة على الشعر . وإذا كانت هذه الخصائص قد رسمت شيئا من الضعف في التراكيب والأساليب والتدني بالألفاظ الى مستوى العامة فليس معنى ذلك أن ما قيل يصدق على كل الشعر الصقلي اذ أن قارىء هذا الشعر يلمس قدرا من القوة والاجادة عند بعض الشعراء في صورهم ومعانيهم وأساليبهم .

الخاتمة

الخاتمـــــة

تبين لنا من خلال هذه الدراسة التي خصصناها للشعر الصقلي في ظل الكلبيين النتائج التالية :

أولا : النزعة التقليدية :

إن السمات الفنية التقليدية التي اتسم بها شعر المشارقة كانت المثال المحتذى لشعراء صقلية ،فلم يستطـع الشاعر الصقلي أن ينفـذ من سلطان التقليد، بل ظل شعر هؤلاء يدور في إطار الشعر المشرقي سواء من ناحية المعاني والألفاظ أم الصور والأخيلة ،وبالتالي لـم تستطع صقلية أن تحدث مذهبا جديدا أو تستقل بشخصيتها ، ومعنى هذا أن تطور الشعر في صقلية لم ينفصل عضويا عن تطور الشعر في المشرق .

ثانيا : صلة صقلية بأفريقيا والأندلس :

وقد تبين من خلال البحث أن ارتباط صقلية بأفريقيا سياسيا صاحبه صلات ثقافية ،ومن أهمها حركة النقد التي كانت تلقى بظلالها على صقلية سواء ما كانت تتبنى من مقاييس نقدية مستمدة من الشرق أو ما كان لها من آراء شخصية في بعض شعراء صقلية بالاضافة الى تأثر الصقليين بمدرسة ابن رشيق النقدية التي ترفض الهجاء لأنه لا يتفـق مع ذوق العصر . أما ارتباط صقلية بالأندلس فقد أثبتت الدراسـة

أن الاقليمين لم يكن بينهما عزلة كما ذهب بعض الباحثين، بل هناك صفات مشتركة تجمع بينهما كميل الاقليمين الى الأوزان الشعرية القصيرة أحيانا لتتلاءم مع الأداء الغنائي وفن الرقص اللذين عرفا فيهما، الى جانب سريان موجة الزهد التي هبت رياحها على صقلية والأندلس في نطاق بقية أقطار العالم الاسلامي .

ثالثا : السمات الخاصة لشعر الأمراء الكلبيين :

تبين لنا من خلال البحث أن لشعر الأمراء الكلبيين في عصرهم سمات خاصة تميزوا بها عن سائر الشعراء ، فهم الوحيدون الذين طرقوا باب الفخر بينما ندر هذا اللون عند غيرهم من شعراء صقلية ، أما شعر الغزل عندهم فيتسم عند كثير منهم بالتعالي والكبرياء على من يهوون، فهم لا يتهالكون ولا يتولهون ولا يسترضون الحبيب وذلك خروج على تقليد شعر الغزل الذى يشع فيه التوله وافراط المحبة .

رابعا : أثر البيئة على الشعر الصقلي :

إن الشعر الصقلي رغم أنه كان تقليديا فانه عكس في بعض الأحيان الملامح الخاصة لبيئته كالتغزل بغلمان النصارى ،ووصف برك الماء والأنهار والمتنزهات وبعض مظاهر الطبيعة ، كوصف البركان والبيئة البحرية ونار الفحم ، بالاضافة الى أن الحروب التي شغلت صقلية حينا من الزمن انعكست بوضوح على الشعر العربي في الجزيرة .

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

١ - المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة اختيار أبي اسحاق بن أغلب ، نسخة مصورة رقم ٢٢١٦ تاريخ بالمكتبة التيموريه ، دار الكتب المصرية نقل من خزانة باريس سنة ١٣٤٤هـ.

٢ - مسالك الأبصار ج ١١ - ابن فضل الله العمرى - مصوره ٥٥٩ مخطوط دار الكتب - معارف عامه.

٣ - معجم السفر - مخطوط للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ، نسخة مصورة رقم ٣٩٣٢ تاريخ/ دار الكتب المصرية .

٤ - المغرب في حلى المغرب ، الجزء الرابع لابن سعيد مخطوطة رقم ٢٧١٢ تاريخ / دار الكتب .

ثانيا : المطبوعات :

(أ)

١ - آثار البلاد وأخبار العباد . في المكتبة الصقلية .

٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ط ٢ ليدن سنة ١٩٠٦ .

٣ - اختيار الصيرفي من الدرة الخطيرة - نشر ضمن عنوان الأريب.

٤ - الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ،
د . أحمد هيكل ، ط / دار المعارف . مصر

٥ - الأدب الاندلسي - موضوعاته وفنونه .
د . مصطفى الشكعة . بيروت

٦ - الأدب العربي في الأندلس .
د . عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية - بيروت .

٧ - الاسلام والحضارة .
تأليف الاستاذ محمد كرد علي ط ٢ ،سنة ١٩٥٠م ،
مطبعة لجنة التأليف - القاهرة .

٨ - الاشتقاق . لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد . تحقيق : عبد السلام هارون - نشر مكتبة الخانجي - مصر .

٩ - انباه الرواة على أنباه النحاة : للوزير جمال الدين أبي الحسن
القفطي. تحقيق أبو الفضل ابراهيم - دار الكتب القاهرة
سنة ١٩٥٢م.

(ب)

١٠ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد
ابو الفضل ابراهيم ط / عيسى الحلبي مصر .

١١ - البيان والتبيين للجاحظ .
المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٦م.

١٢ - تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان
مطبعة دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت .

١٣ - تاريخ الأدب العربي في صقلية .
منشورات الجامعة الاردنية ط/ عمان ١٩٦٥م
تاليف امبرتوريزينانو

١٤ - تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس
تاليف د . سيد عبد العزيز سالم ،أحمد مختار الصاوى
دارالنهضة العربية بيروت سنة ١٩٦٩م

١٥ - تاريخ التراث العربي فوءاد سزكين طبع جامعة الامام محمد بن سعود .

١٦ - تاريخ جوهر الصقلي . تاليف على ابراهيم حسن
مطبعة حجازى القاهرة ط/ سنة ١٩٣٣م.

١٧ - تاريخ الحكماء (وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء باخبار الحكماء) ط / المتنبي بغداد .

١٨ - تاريخ ابن خلدون لابن خلدون - دار الكتاب اللبناني .

١٩ - تاريخ الشعوب الاسلامية . كارل بروكلمان . بيروت ١٩٦٤م.

٢٠ - تاريخ صقلية الاسلامية . تاليف د . عزيز احمد .وترجمة د . امين توفيق الطيبي الدار العربية للكتاب ١٩٨٠م+

٢١ - تاريخ الطبرى . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
ط ٣ / دار المعارف بمصر .

٢٢ - تاريخ العرب مطول . د . فيليب حتى وآخرين .
دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع سنة ١٩٥١ بيروت

٢٣ - تاريخ علماء الاندلس . ابن الفرضي - مجريط سنة ١٩٥٤م.

٢٤ - تاريخ المعارضات في الشعر العربي . د . محمد محمود قاسم نوفل - الرسالة : بيروت ١٤٠٣هـ.

٢٥ - تاريخ المغرب الكبير . محمد علي ديوز عيسى الحلبي القاهرة سنة ١٩٦٤م.

٢٦ - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي (٥٠١هـ)
القاهرة سنة ١٩٦٦م تحقيق د . عبد العزيز مطر.

٢٧ - تراث الاسلام : تاليف جب وآخرين .
ط. لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٣٦م

٢٨ - تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض : تحقيق محمد الطالبي . المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية بتونس . سنة ١٩٦٨م.

٢٩ - تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي . د . احسان عباس
ط ثانية سنة ١٩٧٩م بيروت.

٣٠ - ترتيب المدارك للقاضي عياض . تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٧م

٣١ - التكملة لكتاب الصلة . تأليف ابي عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار، ط/مجريط
سنة ١٨٨٦م.

(ح)

٣٢ - حضارة العرب - تاليف جوستاف لوبون .
ترجمة عادل زعيتر مطبعة دار احياء الكتب العربية
القاهرة ط ٢/ سنة ١٩٤٨م.

٣٣ - الحله السيراء تاليف ابن الأبار تحقيق د. حسين موءنس
ط/ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٣م.

(خ)

٣٤ - الخريدة : قسم شعراء المغرب للعماد الاصفهاني الكاتب
تحقيق محمد المرزوقي وآخرين ط/ تونس سنة ١٩٧٣م.

(د)

٣٥ - دائرة المعارف الاسلامية الجزء الثاني مادة (بنو الأغلب) .

٣٦ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .
لابن فرحون المالكي تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور
دار التراث .

٣٧ - ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د/ إحسان عباس ط / بيروت سنة ١٩٦٠م

٣٨ - ديوان الصنوبرى . تحقيق د. احسان عباس .
بيروت ١٩٧٠م الثقافة .

٣٩ - ديوان امرىء القيس - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ٢
دار المعارف مصر سنة ١٩٦٤م.

٤٠ - ديوان النابغة الذبياني . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.
ط ٢ / دار المعارف سنة ١٩٧٧م.

(ذ)

٤١ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تاليف ابن بسام الشنتريني
القسم الرابع - الجزء الاول تحقيق د. احسان عباس
دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧٩م.

(ر)

٤٢ - رايات المبرزين وغايات المميزين. لابن سعيد الاندلسي
تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي.
مطابع الاهرام، القاهرة سنة ١٩٧٣م.

٤٣ - رحلة التجاني. أبو محمد عبدالله بن محمد بن احمد التجاني
(٧٠٦ - ٧٠٨ هـ) قدم لها حسن حسني عبدالوهاب
المطبعة الرسمية بتونس ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

٤٤ - رحلة ابن جبير نشر د: حسين نصار ط. دار مصر للطباعة.

٤٥ - الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميرى
ت ٩٠٠ هـ تحقيق د. احسان عباس سنة ١٩٧٥م.

(س)

٤٦ - سفرنامه - ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ط١ / مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٣٦٤هـ

(ش)

٤٧ - شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي
مطبعة الاستقامة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

٤٨ - الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجرى، د/ فوزى سعد عيسى
ط/١ سنة ١٩٧٩، الاسكندرية، مصر.

٤٩ - الشعر الاندلسي (بحث في تطوره وخصائصه) تاليف اميليو غرسيه
غومس ترجمة حسين مؤنس ط/ لجنة التاليف والترجمة
سنة ١٩٥٢م.

٥٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ
مطبعة الفتوح الأدبية سنة ١٣٣٢هـ

٥١ - شعر الطبيعة في الادب العربي - د . سيد نوفل
دار المعارف مصر ١٩٧٨م.

٥٢ - شمس العرب تسطع على الغرب - زيغيرد هونكه - بيروت .

(ص)

٥٣ - صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط الاسلامية
د . تقي الدين عارف الدوري - بغداد .

٥٤ - الصلة لابن بشكوال - ابو القاسم خلف بن عبد الملك
الدار المصرية للتاليف والترجمة

٥٥ - الصناعتين لأبي هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥
مطبعة محمد على صبيح .

٥٦ - صورة الأرض . أبو القاسم بن حوقل النصيبي - بيروت.

(ط)

٥٧ - طبقات الأمم . ابو القاسم صاعد الاندلسي (٤٦٢هـ)
ط/ الآباء اليسوعيين - بيروت.

٥٨ - طبقات الشافعية الكبرى - مطبعة عيسى البابي الحلبي
القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٥٩ - طبقات النحويين واللغويين للامام تقي الدين ابن قاضي شهبة
الاسدى الشافعي تحقيق د . محسن عياض ،مطبعة
النعمان ،النجف .

(ع)

٦٠ - العرب في صقلية . تاليف د . إحسان عباس

ط/ دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٩م .

٦١ - العصر العباسي الثاني . د . شوقي ضيف

دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥م .

٦٢ - عصر القيروان - تاليف ابي القاسم محمد كرو وعبيدالله شريط

دار المغرب العربي تونس سنة ١٩٧٣م .

٦٣ - العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ط/ الخانجي .

٦٤ - عنوان الاريب فيما نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب ،

محمد النيفر التونس - تونس سنة ١٣٥١هـ .

٦٥ - عيون الانباء في طبقات الأطباء . تحقيق الدكتور نزار رضا

منشورات مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٥م .

(ف)

٦٦ - فتح العرب للمغرب - محمد علي دبوز

القاهرة سنة ١٣٨٤هـ

٦٧ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف

دار المعارف - مصر .

٦٨ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبي سنة ٧٦٤ هـ

تحقيق د . احسان عباس - دار صادر بيروت .

٦٩ - في الأدب الجاهلي - طه حسين

مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٧م .

(ق)

٧٠ - قصة الحضارة - تاليف ول . ديورانت . عصر الايمان
ترجمة محمد بدران ط٣ - سنة ١٩٦٥ الجزء الرابع
من المجلد الرابع .

(ك)

٧١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير -
دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦ .

٧٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
حاجي خليفة طبع بعناية وكالة المعارف سنة ١٩٣١م .

(ل)

٧٣ - لسان العرب - لابن منظور
دار صادر بيروت سنة ١٩٥٥م .

(م)

٧٤ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . نصر الدين بن الاثير المتوفى
سنة ٦٢٧ هـ طبع المطبعة البهية بمصر

٧٥ - المحمدون من الشعراء . علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ)
دار اليمامة الرياض تحقيق حسن معمرى سنة ١٣٩٠هـ .

٧٦ - المختار من شعر بشار اختيار الخالديين - شرح ابي الطاهر
اسماعيل بن احمد بن زيادة الله التجيبي البرقي
مطبعة الاعتماد القاهرة .

٧٧ - مختصر تاريخ العرب - سيد أميرعلي ترجمة عفيف البعلبكي -
دار العلم للملايين بيروت .

٧٨ - مسالك الابصار احمد بن يحيى بن فضل الله العمرى (٧٤٩هـ)
في المكتبة الصقلية ٦٤٩ .

٧٩ - مسالك الممالك للاصطخرى (٣٢٣هـ)
ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الكرخي
بريل ليدن سنة ١٩٦٧م.

٨٠ - المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا .
تاليف احمد توفيق المدني نشر الشركة الوطنية للنشر
الجزائر سنة ١٩٦٩م.

٨١ - المسلمون في صقلية للدكتور مارتينو ماريو مورينو - بيروت سنة ١٩٥٧م.

٨٢ - المطرب في أشعار أهل المغرب ت مصطفى عوض .
مطبعة مصر الخرطوم سنة ١٩٥٤م.

٨٣ - المعارف - ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)
تحقيق ثروت عكاشة دار الكتب مصر سنة ١٩٦٠م

٨٤ - معالم الايمان في معرفة أهل القيروان - تعليق ابن ناجي
المطبعة العربية التونسية سنة ١٣٢٠هـ ٤ اجزاء في
مجلدين بغداد سنة ١٣٩٨هـ.

٨٥ - المعجب في تلخيص اخبار المغرب - عبد الواحد المراكشي -
ضبط محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي ، مطبعة
الاستقامة القاهرة .

٨٦ - معجم البلدان للشيخ الامام شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت
بن عبدالله الحموى الرومي البغدادى دار بيروت
سنة ١٩٨٠م.

٨٧ - معجم السلفي (مطبوع) للحافظ صدر الدين أبي طاهر احمد
ابن محمد السلفي - تحقيق دكتوره بهيجة الحسن ،
دار الحرية بغداد سنة ١٣٩٨هـ.

٨٨ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - عمر رضا كحالة ،
ط / ٣ سنة ١٩٨٢م.

٨٩ - المقدمة لابن خلدون بن عبد الرحمن (٨٥٨هـ) ط / بيروت .

٩٠ - المكتبة العربية الصقلية - جمع وتحقيق ميخائيل أمارى ليبسك ،
سنة ١٨٥٧م أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى
بغداد .

٩١ - الموازنة بين شعر ابي تمام والبحترى للامدى -
تحقيق احمد صقر ط ٣ / دار المعارف مصر.

٩٢ - المواعظ والاعتبار . تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥هـ)
في اربعة اجزاء ط/مصر سنة ١٣٢٥هـ.

٩٣ - الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال - دار النهضة
لبنان بيروت .

(ن)

٩٤ - نفح الطيب من عصر الاندلس الرطيب .
لأحمد بن محمد المغربي التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١هـ
تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ،
دار الكتاب العربي - بيروت .

٩٥ - نقد الشعر . لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠هـ
مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ

٩٦ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - أبو العباس أحمد القلقشندي
تحقيق ابراهيم الأبياري دار الكتاب المصري - القاهرة .

(و)

٩٧ - الوافي بالوفيات - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
طبع دار النشر فرانز شتايز بفسبادن ، اعتناء ديدرينغ

٩٨ - الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني
تحقيق محمد ابو الفضل وعلي محمد البجاوي ، ط/ ٢
عيسى الحلبي سنة ١٩٥١م.

٩٩ - وفيات الاعيان وأنباء أنباء الزمان - ابن خلكان -
تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر بيروت .

ثالثا : الدوريات :

١٠١ - مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة مجلد ١٢ ١٥٨/١ مايو
سنة ١٩٥٦م
" الروض المعطار في خبر الأقطار - نشر اميرتوريزيتانو.

١٠٢ - المقتطف ٦٢ يناير الى يونيو سنة ١٩٢٣م
مقال بعنوان (المدينة العربية) أمين الخولي .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر	٤
المقدمة	٥ - ١٣
التمهيد: صقلية اسمها وموقعها .	١٤ - ٣٠
موقعها وتضاريسها ومناخها	١٦
مدن صقلية	١٩
صقلية قبل الفتح الاسلامي	٢١
طلائع الفتح الاسلامي	٢٣
أسباب الفتح الاسلامي لصقلية	٢٦
فتح صقلية	٢٧
الباب الأول : ولاية بني أبي الحسين الكلبيين	٣١ - ١١٩
الفصل الأول : نسب الكلبيين وحكمهم لجزيرة صقلية	٣٢
نسب الكلبيين	٣٣
الولاة الفاطميون الذين حكموا صقلية قبل	
تولي الكلبيين	٣٦
صقلية تحت حكم بني أبي الحسين الكلبيين	٣٩
حروب الحسن مع الروم	٤٢
حروب أبي الحسين أحمد بن الحسن الكلبي	
مع الروم	٤٣

الموضـــوع	الصفحة
حصار رمطـة وفتحها	٤٤
ولاية أبي القاسم بن الحسين	٤٩
ولاية جعفر بن يوسف الملقب (بتاج الدولة سيف الملة)	٥٠
خروج أهل صقلية على الأمير جعفر	٥١
ولاية الأميير تأييد الدولـة أحمد الأكحل	٥٣
الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية	٥٥
المجتمع الصقلي	٥٦
طبقات المجتمع الصقلس وأجناسه	٥٧
النواحي الاقتصادية والعمرانية	٦٦
الفصل الثالث : مركز صقلية الثقافي	٨١
أولا : المعلمون والمساجد	٨٤
ثانيا : الهجرة العلمية	٨٩
أ ـ الدراسات الدينية	٩٤
ب ـ العلوم اللغوية والأدبية والنقدية	١٠٣
جـ ـ العلوم الدنيوية	١٠٩
الغناء	١١٥

الموضـــوع	الصفحـة

الباب الثاني : الشعر العربي في صقلية بين المشرق وأفريقيا والأندلس. ١٢٠- ١٥٦

الفصل الأول : الصلات مع المشرق العربي وأثرها في الشعر الصقلي ١٢٢

ظاهرة التأثر بالمشرق ١٢٢

الفصل الثاني : صلة صقلية بأفريقيا والأندلس وأثرهما في الشعر الصقلي ١٤٦

أولا : الصلة النقدية بالقيروان ١٤٧

ثانيا : صلة صقلية بالأندلس وأثرها في الشعر الصقلي ١٥٠

الباب الثالث :حياة الشعر في ظل الكلبيين ١٥٧- ١٩٦

الفصل الأول : الموهبة الشعرية بين أمراء البيت الكلبي ١٥٩

الموهبة الشعرية ١٦٠

أبرز أغراض الشعر عند الكلبيين ودوافعها ١٧٠

الفصل الثاني : رعاية الكلبيين للشعر والشعراء ١٧٤

جهود الكلبيين في خلق جو صالح ١٧٥

أقدم شعر وصلنا خلال حكم الكلبيين ١٧٧

شعراء العهد الكلبي ١٧٨

مظاهر الرعاية الكلبية للشعر والشعراء ١٨١

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع : موضوعات الشعر الصقلي وخصائص الشعر	١٩٧ - ٣٥٠
موضوعات الشعر الصقلي	١٩٨
الفصل الأول : المدح	٢٠٢
الفصل الثاني : الرثاء	٢١٦
الفصل الثالث : الوصف	٢٢٥
أولا : وصف الطبيعة	٢٢٥
ثانيا : وصف الشيب والخضاب	٢٣٩
ثالثا : وصف مظاهر الحضارة	٢٤٢
الغناء والرقص	٢٤٢
وصف الحلي والأواني	٢٤٧
الفصل الرابع : الغزل	٢٥١
الفصل الخامس: الخمر	٢٨١
الفصل السادس : الفكاهة والسخرية	٢٩٥
الفصل السابع : الزهد	٣٠٦
الفصل الثامن : الخصائص الفنية للشعر في ظل الكلبيين .	٣١١
أولا : اتجاهات الشعر في ظل الكلبيين :	٣١١
أ - اتجاه تقليدى	٣١١
ب - اتجاه تقليدى مجدد	٣١٧
ثانيا : سمات أسلوبية وثقافية	٣٢٧

الموضـــــوع	الصفحـة
ثالثا : الصورة الفنية	٣٣٦
رابعا : سمات صوتيه	٣٤٤
الخاتمـــة	٣٥٢
الفهارس :	٣٥٤
فهرس المصادر والمراجـــع	٣٥٦
فهرس الموضوعات	٣٧٩